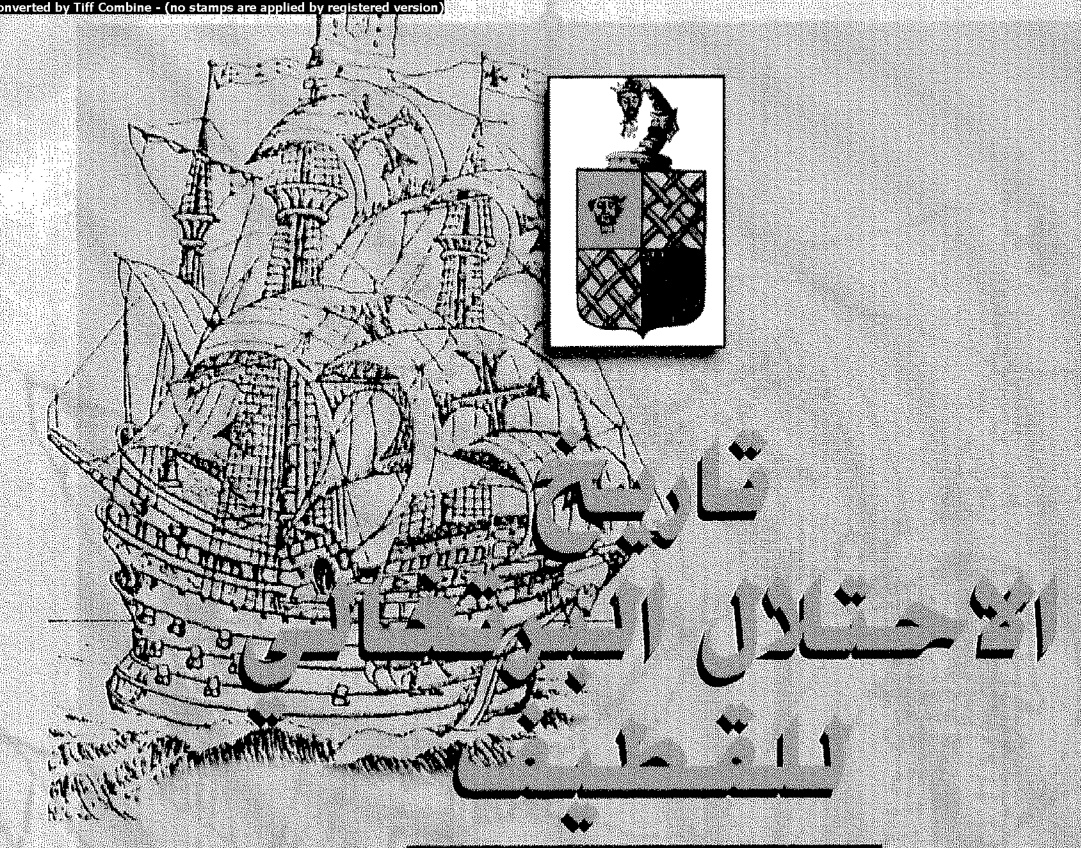


تاريخ الاحتلال البرتغالي للقطيف

978927 هـ / 1521-1572م

علي بن إبراهيم الدرورة






Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



اهداءات ٢٠٠٢

الشاعر/ محمد السويدي

الأمين العام للمجمع الثقافي بابو ظبي

تاريخ
الاحتلال البرتغالي للقطيف
١٥٢١ - ١٥٧٢م

علي بن إبراهيم الدرورة

٩٥٣/١٣٥
ع ل ت ا
علي إبراهيم الدرورة، ١٩٥٩ -
تاريخ الاحتلال البرتغالي للقطيف ١٥٢١ - ١٥٧٢م/علي بن إبراهيم الدرورة.- أبوظبي: المجمع الثقافي، ٢٠٠١.
٣٥٠ص.
ببليوجرافية: ص ٤٦١ - ٤٧٨.
١- القطيف - تاريخ - الاحتلال البرتغالي (١٥٢١-١٥٧٢).
أ- العنوان.

ابوظبي-الإمارات العربية المتحدة
ص.ب: 2380- هاتف: 6215300
Email:nllbrary@ns1.cultural.org.ae
http:/www.cultural.org.ae



تاريخ الاحتلال البرتغالي

للقطيف



تقديم

يستعرض هذا الكتاب تاريخ الاحتلال البرتغالي للقطيف، من خلال ما وقف عليه المؤلف الكريم من وثائق وكتب وبحوث باللغات العربية والانجليزية والبرتغالية.

وهو جانب مهم من جوانب تاريخ القطيف بخاصة وتاريخ الخليج العربي بعامة،في حقبة من الزمن كادت تكون من تاريخ ما نسيه التاريخ، لولا ما كُتب عنها في اللغات غير العربية، وتُرجم شيء منه إلى اللغة العربيةفكان الحافز للمؤرخين العرب إلى القيام بتدوين تاريخ هذه الحقبة المومى إليها.

وحافز آخر دفع إلى الكتابة فيها هو وجود الجامعات العربية في بلدان هذا الخليج،حيث وجود أقسام التاريخ، التي من أهم موادها الدراسية تاريخ منطقة الخليج العربية .

كما أن لانشاءمراكز لدراسات ما يرتبط بالخليج من شؤون جغرافية وتاريخية وما إليها دوراً في حفز الباحثين لذلك.. وهذه أمثال:

١- مركز دراسات الخليج العربي في جامعة البصرة.

٢- مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية وغيرهما.

وفي البين مؤرخون خارج الجامعات والمراكز وقفوا أقلامهم لتاريخ بلدانهم، متناولين ما دار في الحقبة المشار إليها من حوادث تاريخية بالبحث والاستعراض أداء للواجب الوطني .

ومنهم مؤلف هذا الكتاب الاستاذ علي بن إبراهيم الدرورة القطيفي، فقد أصدر أكثر من جانب مما يتعلق بشؤون القطيف،ونشر أكثر من بحث في دوريات مختلفة تتعلق أيضا بشؤون القطيف.

وفي هذا الكتاب يؤرخ لاحتلال البرتغاليين للقطيف،ذلكم الاحتلال الذي حدث في القرن العاشر الهجري ،السادس عشر الميلادي ،وهذا القرن هو جزء من الحقبة الزمنية التي امتدت لعدة قرون مروراً بالقرن المذكور، تعاقبت فيها على حكم القطيف مشيخات عربية، وحكومات استعمارية غير عربية.

وأود قبل أن اذكر ما له علاقة بالكتاب وموضوعه أن أتناول مفهوم الاحتلال في التعريف اللغوي والمصطلح العلمي ،ذلك أن المصطلح العلمي من المعاني في قديم لغتنا العربية،وما يرادفه من المصطلح العلمي الحديث .

إن كلمة (احتلال) في لغتنا العربية المعجمية تفيد معنى الحلول في المكان، أوقل :معنى النزول فيه وشغله، ففي معجم (الصحاح) : « احتل أي نزل » وفي (قاموس الياس) « احتل المكان : نزل فيه وشغله To occupy » .

فالكلمة لم تكن تعني ما تعنيه الآن من مصطلح علمي وإنما كانت تستعمل بمعناها اللغوي الذي أشارت إليه بعض المعجمات العربية،وهو المذكور أعلاه .

وبسبب الترجمة من اللغات غير العربية إلى اللغة العربية، وضعت كلمة (احتلال) فيما يقابل كلمة (Colomialism) وكلمة (imprialism) الإنجليزيتين .

واصبحت بهذا ترادف كلمة (استعمار) في معناها الجديد ،فهي مثلها، فقد كانت تعني في القديم (الإعمار)، ومنه ما جاء في التنزيل العزيز:﴿ وإلى ثَمُودَ أخاهم صَالِحاً قالَ يا قَوم اعبُدُوا اللّهَ مَالَكُم مِنْ إلهٍ غَيرُه هُوَ أنشَأَكُم مِنَ الأَرضِ واستَعْمَرَكُم فِيهَا فاستَغْفِروُه ثُمَّ تُوبُوا إليَه إنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجيبٌ ﴾ [1]،ثم أضيف إليها المعنى الإصطلاحي الحديث، وهو الاستيلاء القهري .

والكلمة العربية التي كانت تستعمل في القديم بمعنى الاستيلاء بالقوة،هي كلمة(غزو) . والآن ـ وفي قرننا العشرين هذا ـ رادفها، أو قل :حل محلها، وبمعناها القديم، كلمتا (احتلال) و(استعمار) .

وأدخل هذا المعنى الاصطلاحي إلى المعاجم اللغوية الحديثة، أمثال (المعجم الوسيط) لمجمع اللغة العربية بالقاهرة،فقد جاء فيه :« الاحتلال :استيلاء دولة على بلاد دولة أخرى أو

---

(١) سورة هود ١١ / ٦١ .

جزء منها قهراً ـ محدثة ـ» وفيه أيضاً : «استعمرت دولةٌ دولة أخري: فرضت عليها سيادتها واستغلتها ـ محدثة ـ» وفي معجم الصحاح للمرعشليني: «استعمار :استعمال دولة حق السيادة على إقليم خارج عن حدود أراضيها ». ومنه ننتهي إلى أن الكلمة (احتلال) معنيين، هما:

١–النزول بالكلمة وشغله.

٢– استيلاء دولة على بلاد دولة أخرى أو جزء منها قهراً وفرض سيادتها عليه.

والمعنى الأول هو المعنى اللغوي،والثاني هو المصطلح السياسي والعسكري والقانوني.

ويطلق على هذا اللون من الاحتلال الذي هو بمعنى التسلط القهري اسم الأستعمار القديم،وهو ذلك الغزو العسكري الذي تمثل في نزعة الدول القوية للتسلط والهيمنة على الدول الضعيفة سياسياً، واستغلال ثرواتها اقتصادياً،ومن ثم تحقيق أحلامها في أن تكون إحدى الامبراطوريات في العالم.

وقد عَرَفَ العالم قديماً أمثال: الإمبراطورية البابلية والإمبراطورية الآشورية،والفارسية، والرومانية.

وبعد هذه الإمبراطوريات القديمة جاءت موجه الامبراطوريات الأوربية،متمثلة في أمثال: الاحتلال الفرنسي والاحتلال البريطاني والاسباني والبرتغالي للعديد من بلدان العالم،وكانت الامبراطورية البرتغالية «أعظم امبراطورية قامت في الغرب»[1]،كما أنها كانت «الدولة التجارية الأولى في العالم[2] ويعود هذا إلى ما قام به الرواد الأوائل من القادة الملاحيين البرتغاليين من مغامرات في عرض البحار وطولها لاكتشاف المدن ذات الثروات المهمة، والمرافيء ذات المواقع الجغرافية التي تعطيها أهميتها من حيث التجارة، والمعابر التي

(١) الموسوعة العربية الميسرة:مادة البرتغال.

(٢) م.ن.

(٣) مادة :البرتغال

تستطيع الامبراطورية أن تتحكم فيها بغية تعزيز نفوذها السياسي.

ففي (الموسوعة العربية العالمية)[٣]: «وخلال القرنين الخامس عشر والسادس عشراستهل المكتشفون البرتغاليون المغامرون ما يمكن وصفة بالعصر الذهبي للاكتشافات الأوروبية، فقد قاد(بارلوثولو ميو دياز) الرحلة البحرية الأولى حول رأس الرجاء الصالح في الطرف الجنوبي لأفريقيا، وأبحر فاسكو دي جاما حول الرأس ،واكتشف طريقاً بحرياً إلى آسيا كما أبحر (بدرو الفاريز كابرال) الى ما يعرف اليوم باسم البرازيل.

ومصدر الرحلات البحرية وغيرها أدت الى تأسيس إمبراطورية برتغالية شاسعة اشتملت على مستعمرات في أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية» وفي (موسوعة أوكسفورد العربية)[١]: «ففي القرن الخامس عشر و السادس عشرأبحر ملاحون (برتغاليون) جريئون بعيداً في عرض البحر،بغية استكشاف مناطق في العالم كانت ولّما تزل مجهولة، فدار (برطو لوميو دياس)حول رأس الرجاء الصالح، ونزل (بدرو كابرال) في البرازيل، واكتشف(فاسكو دي غاما) طريق البحر باتجاه الهند عبز افريقيا».

وفي (الموسوعةالعربية العالمية)[٢] أيضاً: «كان التجار صيادو السمك البرتغاليون قد أبحروا بعيداً عن موطنهم في عمق المحيط الأطلسي قبل القرن الخامس عشر الميلادي.وما إن حل هذا القرن حتى تجمع لدى البرتغاليين قدر كبيرمن المعلومات عن البحر.وما كانوا قد أتقنوا مهارات الملاحة البحرية والمقدرة على بناء سفن قادرة على الإبحار بعيداً.

برز اسم هنري الملاح ابن الملك جون الأول كشخصية قيادية في بروز البرتغال، ولم يذهب بنفسه في رحلة بحرية، لكن دراساته أسهمت في خبرات البرتغاليين البحرية،فقد كان يشجع ويدعم كثيراً من الاكتشافات.

وصل البحارة البرتغاليون إلى جزر ماديرا عام ١٤١٩م والآزور عام ١٤٣١هـ، وعند وفاة هنري الملاح عام ١٤٦٠م كان البرتغاليون قد اكتشفوا الساحل الافريقي الغربي وتوغلوا الي

---

(١) ٣٥/٣

(٢) ٣٠٦/٤,٣٠٧

الجنوب حيث وصلوا إلى ما يسمى اليوم سيراليون، في عام ١٤٨٨م أبحر مركب برتغالي يقوده (بارتلو ميوديا ز) حول رأس الرجاء الصالح، في الطرف الجنوبي لأفريقيا. كانت الرحلة أول عمل يقوم به الأوربيون في الدوران حول هذه النقطة. أصبح (مانويل) الأول المسمى ما نويل المحظوظ ملك البرتغال. وفي عام ١٤٩٥م قرر زيادة قوة بلاده وأهميتها بأن يدعم رحلة بحرية جريئة للدوران حول جنوب أفريقيا، حتى آسيا. تسلم (فاسكو دي جاما) هذه المهمة عام ١٤٩٧م وقاد أربع سفن حول الرجاء الصالح، ووصل الهند عام ١٤٩٨م، وأرسل مانويل بعدها بدور ألفاريز كابرال ليتبع طريق دي جاما،ولكن كابرال خرج عن المسار. في عام ١٥٠٠م ، فوصل أسطوله إلى الساحل الشرقي لما يسمى اليوم البرازيل. وصل البرتغاليون أيضاً إلى شواطئ أفريقيا وشبه الجزيرة العربية والجزر الماليزية، وجزر الهند الشرقية وإلى الشرق.

اندفع المستوطنون والجنود البرتغاليون المكتشفون يؤسسون المستعمرات. وما إن جاء منتصف القرن السادس عشر حتى كان تحت سيطرة البرتغاليين إمبراطورية شاسعة فيما وراء البحار، شملت مستعمرات ما يعرف اليوم بالأقطار الأفريقية: أنجولا،وكيب فيرو،وغينيا بيساو، وموزمبيق، وساوتومي، وبرنسيب، وشملت البرازيل، وماليزيا، وإندونسيا، والصين.

كسبت البرتغال ثروة كبيرة من مصادرها في المستعمرات، فقد ربحت من تجارة البهارات في آسيا،وحصلت على الذهب من أفريقيا، واشتركت في تجارة الرق،وحصلت الإمبراطورية البرتغالية على أراضٍ جديدة. أنتج المزارعون البرتغاليون في البرازيل وأفريقيا وفي الأماكن الاخرى الحاصلات التي أضافت قوة إلى اقتصاد البلاد »،وفي (موسوعة المورد)[1]: « ولم يكد القرن السادس عشر ينتصف حتى أنشأت البرتغال إمبراطورية واسعة، ضمت البرازيل،وأجزاء من أفريقيا الشرقية، وجزر الهند الشرقية ».

وفي السواحل العربية للخليج الأخضر احتلت البرتغال جزيرة هرمز ثم احتلت البحرين

---

(١) مادة:portugal

فالقطيف.

وكان احتلال البرتغاليين للقطيف عام ٩٢٧هـ ١٥٢١م ، إذ ترجع دوافع هذا الاحتلال الى ما كانت تتمتع به بلاد القطيف من مواصفات مميزة، من أهمها:

١- موقعها الجغرافي، فهي من أهم موانئ الخليج آنذاك.

٢- استقرارها الاستيطاني، فقد كانت إحدى حواضر شبه جزيرة العرب.

٣- عراقتها الحضارية،فمنذ القدم تعاقبت عليها حضارات شتى تركت بصماتها في مظاهر التمدن وظواهرالتفكير، وآفاق النظرة الواعية للحياة، حيث يسر التعامل معهم، والاعتماد عليهم في التبادل المالي.

٤- وفرة وتنوع ثرواتها من منتجات حيوانية، ومحصولات زراعية، ومستخرجات بحرية من لؤلؤ و سمك، ومصنوعات يدوية كالسيوف والرماح الخ. مما ساعدها على ان تكون مرسى للمراكب التجارية الآتية من البحار فيما وراء الخليج إلى البصرة، والطالعة منها إلى تلكم البحار .

ـ وان تكون محطةً للبضائع التجارية الواردة إليها ومنطلقاً للأخرى الصادرة منها.

ـ وان تكون سوقاً تجارية يرتادها أبناء قبائل بوادي الجزيرة العربية القريبة منها يبيعون منتوجاتهم الزراعية والبحرية، ووارداتها من بضائع تصل إليها من وراء البحار .

ـ وان تكون معبراً بين شمال الخليج وجنوبه.

إن هذه الأسباب جعلتها مطمعاً للدول القوية التي تنشد فتح الأسواق لتجارتها، ومعبراً تنفذ منه إلى السواحل البحرية فيما وراء البحار، وتسد المنافذ بوجه الآخرين ومصدراً للثروة تفيد منها في دعم إمبراطوريتها ومركزها الأم.

وفي عام ٩٨٧هـ-١٥٧٢م انتصر أهالي القطيف على البرتغاليين فأخرجوهم من ديارهم.

واذا حاولنا أن نعرف العوامل التي دفعت أهالي القطيف إلى التخلص من الاحتلال البرتغالي فانها لا تعدو العاملين التاليين:

---

(١) النساء ٤/ ١٤١ .

١– الدين :

ويتمثل هذا في أن أهل القطيف مسلمون ملتزمون،ينطلقون من مبدأ عدم تسلط غير المسلم عليهم استناداً إلى قوله تعالى :(وَلَنْ يَجعَلَ اللَّهُ لِلكَافِرِينَ عَلَى المُؤمِنِينَ سَبِيلاً)[١].

يضاف اليه : أن خضوع المسلم لغير المسلم سلب للعزة التي جعلها الله سبحانه وتعالى للمؤمنين :(ولِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِه والمُؤْمِنِينَ)[١].

وكان الدين أقوى شعار طرحه القطيفيون لإخراج البرتغاليين من بلادهم .

٢– التحرر الوطني :

ويرجع هذا إلى قوة ارتباط أبناء القطيف بوطنهم، فمن حقهم الطبيعي أن يكون وطنهم لهم يحكمونه بأنفسهم أو من يرتضونه لذلك. ومع وجود هذه المسافة التي باعدت بين أهالي القطيف والبرتغاليين دينياً ووطنياً أفاد القطيفيون من البرتغاليين في المجالات التالية:

١– التقارض اللغوي، فقد خلف البرتغاليون شيئاً من لغتهم دخل ضمن لهجات القطيف، ولا سيّما العامية منها.

٢– التجارة،حيث أفاد القطيفيون من تجارب البرتغاليين في هذا المجال، فزادوا خبراتهم التجارية.

٣– الاعتداد بالشخصية، ذلك الاعتداد الذي يعدّ من أهم أبرز الظواهر في الشخصية القطيفية الفردية والاجتماعية، فقد نميّ وضاعف من هذا الاعتداد موقفهم من الاحتلال البرتغالي المتمثل بانتصارهم على البرتغاليين عن طريق إخراجهم من القطيف، وكرد فعل لذلك .

٤– الاحتياطات لتأمين المستقبل، وهو أمر طبيعي يأتي تلقائياً، وبخاصة من اناس عرفوا باعتدادهم الشديد بشخصيتهم هويتهم القطيفية.

---

(١) المنافقون ٦٣/٨ .

وسيقف القاريء الكريم على تفصيلات تاريخ الاحتلال البرتغالي للقطيف في هذا الكتاب، فقد استعرض فيه مؤلفه (الدرورة) كل ما يرتبط به مما استطاع الوقوف عليه في المصادر المتوافرة لديه، والأخرى التي وصل إليها.

ولأن الاحتلال المذكور حدث تاريخي يرتبط بأحداث سبقته وأخرى لحقته عرض المؤلف لذلك ليحدد موقع الاحتلال البرتغالي تاريخياً،وليعرف القارىء بمدى تاثر الاحتلال بالحوادث المحيطه به وتأثيره فيها.

وقد وقف عند بعضها معللاً، حيث اقتضت طبيعة الموضوع ذلك، وسندا لبعض أقوال المؤرخين في بعض قضايا هذا الاحتلال. والعرض والتحليل والنقد من أهم السمات التي ينبغي للمؤرخ أن يتحلى بها.

وأخيراً:

اسأله تعالى أن يوفقه لاستمراره في السير على طريق اختطه لنفسه يوفّي فيه وطنه العزيز حقه، إنه سبحانه ولي التوفيق وهو الغاية.

الدكتور عبد الهادي الفضلي

الدمام في شهر أغسطس **2000** م .

مقدمة المؤلف

تحوي آلاف الصفحات التاريخية أحداثاً وصراعات عن تاريخ القطيف المجيد لم يتم تحقيقها ونشرها بعد، وآلاف الوثائق مازالت في طي النسيان. لقد عفا عليها الزمن حتى تراكمت عليها طبقات من الغبار فلم يَجْلُها أي مؤرخ، وأبناء اليوم لا يعرفون إلا النزر اليسير عن تاريخ هذه المنطقة ذات العراقة التاريخية ومنها تاريخ البرتغاليين واحتلالهم لمنطقة القطيف، وبالرغم من أن تاريخ البرتغاليين في الخليج قد كُتِبَ وحُلّلَ ودُرِسَ وأشارت تلك الدراسات كثيراً إلى القطيف في تلك الحقبة، إلا أن هذه البحوث لم يشأ لها أن تنشر فالمنطقة وكما هو معروف عنها رفضت الاحتلال الأوربي الذي بدأه البرتغال وقاومه أبناؤها البواسل وذادوا عن حياض وطنهم القطيف، وحتى تلك الصفحات المشرقة من النضال والبطولة لم يشأ لها التدوين حتى اليوم، لما في ذلك من معوقات أحجمت المؤرخين عن الخوض فيها.

وبالرغم من أن البرتغاليين ومنهم : دوارثي بار بوسا وجون هيوفان لينخوتن و تشارلز بوكسر وكوستنيتينو، وبادجر وبيدرو تيخسيرا وصموئيل برجاس ووليام فوستر و (الهيدالجو) دون جراسيا دي سلفيا فيجورا ولويز مارينهو ولورينسو كراسبيك وبيثرو ديلا فال قد كتبوا مذكراتهم عن الملاحة والقتال والتجارة وغيرها من الأمور في الخليج إلى جانب قائمة طويلة منهم سواء من القادة أو المقاتلين أو الملاحيين و أن هناك كتباً كثيرة لم تصل إلى أيدينا بالرغم من أنها طبعت في تلك الفترة الزمنية أي في القرون : الخامس والسادس والسابع عشر الميلادية، فخلال هذه القرون الثلاثة أصدر (البرتغاليون) أو (البرتغاليون / الإسبان) أو (البرتغاليون / الهولنديون) هذه الكتب ولا نشك في أن بعضهم قد كتب مذكراته عن مشاهداته في البحرين والقطيف وغيرهما من مناطق الخليج، إلا أن تلك المذكرات حملت بين طياتها في الغالب تمجيداً للأمة البرتغالية، ومع هذا فهي تحتوي بعض

المعلومات عن بلادنا وعن تلك الأحداث التي عاصروها ودونوها، ومما يؤسف له أن أبناء المنطقة في تلك الفترة لم يدونوا أحداث زمانهم ولو تم ذلك لأعطينا صورة واضحة لمجريات الأمور كلها من خلال التحليل التاريخي فحسب .

وهذا الكلام لاينطبق على الفترة البرتغالية فحسب بل ينطبق على ما قبلها وما بعدها، ولعلها كانت مدونة من قبل المؤرخين أو الشعراء ولكنها لم تصلنا لسبب أو لآخر، خصوصاً أن المنطقة مرت بأحداث وفتن ومعارك وغزوات وغيرها من حوادث الدهر ونكباته، فلم يبق بيت في القطيف إلا وناحت فيه نائحة ولم يسلم طريق أو زقاق إلا وقتل فيه بريء ولم تبق نخلة إلا ولطخت بالدماء وهذا هو سبيل الأشراف في وطنهم .

وإذا كنتُ – شخصياً – أعتقد بأن هناك مئات أو آلافاً من الصفحات التي كتبت عن المنطقة منذ أن أرسل ملك البرتغال الدون جوان (١٤٨١–١٤٩٥) بعثاته البرتغالية المتعددة بهدف البحث عن بلاد التوابل ولكن تلك الصفحات لم تصل إلينا وكذلك الوثائق وفيها كشف صريح لما كان يدور حيث إنها لابد من أن تحتوي على معلومات مهمّة تضم أهدافاً ومقدمات لما يساور البرتغاليين من آمال في تحطيم عزة المسلمين وتدنيس لمقدساتهم والسيطرة على بلدانهم واقتصادهم، إلى جانب استمرار البعثات التدميرية لبلاد المسلمين وغزوهم في عقر دارهم، و الوضع الذي استمر إلى آخر جندي وآخر سفينة ترسو في الخليج .

إن الصفحات المفقودة عن تاريخ القطيف والدويلات الأخرى المعاصرة لتلك الأحداث في القرن العاشر الهجري لابد لها من أن ترى النور يوماً ما، ولكن حتى يأتي ذلك اليوم لا بد لنا من أن نقدم هذه الصفحات القليلة لعلها تفي بموضوع تاريخي مهم لم يطرق لعدة أسباب أهمها : عدم وجود المصادر المتخصصة في هذا الموضوع التي هي أساس البحث العلمي وكذلك عدم وجود الوثائق التي تشير بوضوح إلى الأحداث، وكما هو معروف تاريخياً أن البرتغال ضعفت في فترات حكمها، فقد ضمتها إسبانيا في حكمها سنة ١٥٨٠ حتى أخذت استقلالها سنة ١٦٤٠ م، ومع هذا لم يتأثر أسلوب البرتغاليين في الخليج فهم الغزاة الذين يرفعون علم البرتغال لا إسبانيا ولهذا كانوا حتى آخر يوم لهم في مياه الخليج

يحاربون ويغزون ويقتلون دون رحمة تحت لواء البرتغال .

ولعل القطيف هي المنطقة الوحيدة التي كان الاحتلال فيها أقل فترة من بين دويلات شمال الخليج والذي استمر أكثر من أربعة عقود متقطعة، على أنها عرفت الاحتلال البرتغالي على خمس فترات هي :

١ ـ الاحتلال الأول كان من سنة ١٥٢١ ـ ١٥٣٧ م .

٢ ـ الاحتلال الثاني من سنة ١٥٤٥ ـ ١٥٤٩ م.

٣ ـ الاحتلال الثالث من سنة ١٥٤٩ ـ ١٥٥٠ م.

٤ ـ الاحتلال الرابع سنة ١٥٥٢ م .

٥ ـ الاحتلال الخامس سنة ١٥٥٣ م .

وبعد طردهم عام ١٥٥٣ م أو بعد الاحتلال الخامس عادوا الكرة تلو الأخرى لإعادة احتلال القطيف، حيث إن البرتغاليين مكثوا فترة أطول في احتلال البحرين، ولكن تلك المحاولات كلها لم تنجح وكان الفشل حليفها، إلا أن التهديد كان مستمراً عند البرتغاليين يقابله الاستعداد عند القطيفيين فغيابهم لا يعني عدم الغزو مرة أخرى، وفي كل احتلال لم يرض القطيفيون به حيث كانوا يقاومونه اشد المقاومة، فقد ضحّوا بالأرواح والممتلكات خلال كل احتلال ولم تضعف عزائمهم في ترميم قلاعهم وأخذهم العدّة على الرغم من أن استعدادهم الدائم لأمثال هؤلاء الغزاة، إلى جانب أن التاريخ يذكر أن أبناء القطيف مسالمون إلى حد كبير فهم يقبلون بالحاكم المسلم حتى لو لم يكن من أهالي القطيف نفسها، ولم يذكر لنا المؤرخون بان أحد الحكام أزيل بسبب أو لغيره على أيدي القطيفيين أنفسهم وهذا دليل تاريخي صريح وواضح لما يتمتع به هؤلاء الناس من عدم اكترائهم بأمور الحكم والسلطة وأنهم مسالمون إلى أبعد حد لا يمكن لغيرهم أن يتصوره. وهذا لايعني أنه لا توجد شخصيات تاريخية ذات دهاء سياسي عبر التاريخ.

وإن أي مطلع على تاريخ القطيف يجد أن أغلب الحكام سواء قبل العصر البرتغالي أو أثناءه أو بعده مسلمون ومن أبناء المنطقة ا.

وقد تكون هناك هوّة بين صفحات هذا الكتاب عن بعض الأحداث، أو أن تلك السنوات اكتنفها الغموض فلعل الأيام كفيلة بإماطة اللثام عنها، وبالرغم من دراسة الشواهد والشوارد في معظم موارد تاريخنا في تلك الفترة الزمنية قدر الإمكان وتحليل ذلك، ولم نتمكن من سد تلك الثغرات سواء كانت أحداثاً تأريخية أو أعمالاً معمارية أو اجتماعية أو غيرها من الأمور الاصلاحية لهؤلاء الحكام الذين تقلدوا زمام السلطة في المنطقة وعرفنا بعضهم تباعاً، ولا شك أن لهم الأعمال الخيرية ولكن سيرتها أو تخليدها اكتنفه الغموض فلم يستطع أحد المؤرخين تدوين ذلك تاريخياً فيصل إلينا عبر الوثائق أو الكتب أو الاشعار ومن تلك السنوات، حوادث ما بين عامي ١٥٢٧ – ١٥٢٨ م، وبين عامي ١٥٣٢ – ١٥٣٦ م، وعامي ١٥٦٣ – ١٥٧١ م.

إن قلة المصادر لتلك الفترات هي العامل الرئيس في جعلها فترات مجهولة. والملاحظ على المؤرخين اختلاف ذكر الأعوام ومن المفترض أن الأساس هو تحويل الأعوام الميلادية إلى هجرية فيكون هناك عامان هجريان في أول السنة الميلادية وفي آخرها، إلى جانب اختلاف الإحصائيات، ومع هذا فقد أشرت إلى كل ما مرّ بي من اختلافات حتى يكون القارئ على بينة من دقة المعلومات .

والملاحظ أن البرتغاليين واجهوا ست ثورات من أهالي القطيف هي كما يلي :

١ – ١٥٢١ م . وهي المعروفة بثورة الجمارك على مستوى الخليج .

٢ – ١٥٢٢ م .

٣ – ١٥٢٣ م .

٤ – ١٥٢٦ م .

٥ – ١٥٢٩ م . وهي الثورة التي قتل فيها سيمون دي كونها؛ أخو نائب الملك في الهند .

٦ – ١٥٣٧ م . وهي من أنجح الثورات التي أطاحت بالبرتغاليين وسلمت القطيف

للعثمانيين .

ومن خلال التدقيق في الأحداث وتسلسلها تباعاً، وعاماً بعد عام فقد رأيت أن هناك ثغرات بقيت فراغاً ولم يُعرف ماذا حدث فيها وهي على التوالي :

١ – ٩٣٧ هـ – ١٥٣٠ م .

٢ – ٩٣٩ هـ – ١٥٣٢ م .

٣ – ٩٤٠ هـ – ١٥٣٣ م .

٤ – ٩٤٢ هـ – ١٥٣٥ .

٥ – ٩٤٣ هـ – ١٥٣٦م .

٦ – ٩٤٧هـ – ١٥٤٠ م

٧ – ٩٤٨ هـ – ١٥٤١ م .

٨ – ٩٥٠ هـ – ١٥٤٣ م .

ولا ندري إذا كان الهدوء فعلاً ساد أجواءها أم أن أحد المؤرخين أو كلهم لم يصل إلى أسماعهم حدث يمكن تدوينه، وقد تكون الأيام كفيلة بإخبارنا عن ذلك من خلال بحث ما أو مخطوطة أو وثيقة .

وإذا كانت القطيف لم تحظ بتدوين تاريخها في فترة الاحتلال البرتغالي وبقي فراغاً فلعلي أدركت ذلك واسهمت بهذا البحث المتواضع راجياً أن أكون موفقاً فيه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

علي بن إبراهيم السليمان الدرورة

جزيرة تاروت – ١٤١٩ – ١٤٢٠ هـ



الباب الأول

القطيف جغرافياً وتاريخياً

الموقع – الخرائط – التسمية التاريخية – المدن



موقع القطيف :

تمتاز القطيف بموقع جغرافي استراتيجي، إذ تقع في منتصف الخليج بين العراق وعمان وهي تتمة للمثلث الزراعي (القطيف – البحرين – الأحساء) والمثلث الملاحي (القطيف – البحرين – قطر) ومثلث شمال الخليج (الأحساء – القطيف – البصرة)، وموقعها الملاحي وإنتاجها الزراعي جعلا منها موقعاً مهماً، فهي للقادم من البحر الملاذ الآمن، وللقادم من الصحراء جنة عدن، وتجارتها بلغت الآفاق منذ عصور موغلة في القِدَم، فهي كثيرة المدن الساحلية وهذا يعني تعدد الموانئ فيها إلى جانب المدن الداخلية المنتشرة بين غابات النخيل، وكانت خيراتها لا تحصى عبر الحضارات القديمة وعندما جاء الإسلام كانت من الأمصار المعروفة في مجال الاقتصاد والثقافة، فاقتصادها المتين كان أحد دعائمها عبر كل الدويلات والمشيخات التي أقيمت على ترابها إلى جانب أنها أنجبت الكثير من العلماء والشعراء وكانت تمتاز بكلتا الصفتين (الاقتصادية والثقافية) عبر حضارات عديدة[١] .

فأي باحث في العلوم الاقتصادية لابد له من أن يشير إلى القطيف عبر حقب التاريخ سواء في العهود الغابرة أو العصور الإسلامية، وكذلك مكانتها الحضارية فهي مهد العلم والفلاسفة والفقهاء والشعراء حتى إنها سميت بالنجف الصغرى وهي صفة لم تطلق على أي مدينة في الخليج سواها وذلك للمكانة العلمية التي اشتهرت بها، وكثرة العلماء فيها حتى ذُكِرَ أنه كان في إحدى فترات التاريخ يوجد فيها أربعون مرجعاً دينياً في آن واحد، إلى جانب مدينة علمية تدعى (المدارس) وما زالت هذه التسمية تطلق على تلك الناحية من القطيف، وتعتبر في يومنا هذا حياً شعبياً يقع غرب القطيف وكان حياً علمياً فيه الكثير من المدارس التي ينهل منها طلاب العلم ومن مختلف الأقطار .

خرائط القطيف في العصر البرتغالي :

أكد كثير من الرحالة وربابنة البحر وكذلك الجغرافيون على أن الخليج العربي كان يدعى

---

(١) انظر معلومات وافية في المراجع التالية : تقويم البلدان، ص ٩٩، وتحفة الأنظار، ص ٢٨٠، وساحل الذهب الأسود، ص ٢٠١، والتجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي، ص ١٠٣ .

بحر القطيف وأثبتوا ذلك في خرائطهم كثيراً؛ وبين يدي القارئ صور لتلك الخرائط تبين أن الخليج كان يعرف باسم بحر القطيف ،إلا أن الصفويين في تلك الفترة أي فترة الاحتلال البرتغالي كانوا يسمونه خليج فارس والفرس حتى اليوم يسمونه بهذه التسمية بينما العرب على ضفافه الغربية يسمونه الخليج العربي،و لقد ظل الخليج يعرف ببحر القطيف[١] وكذلك ببحر البصرة في بعض الفترات وهي تسمية عثمانية. والواقع – والحق يُقال – أنَّ ضفاف الخليج الغربية كانت دولاً ومشيخات وإمارات عربية منذ القدم حتى اليوم إلى جانب أن الضفَّة الشرقية للخليج كانت ذات إمارات عربية أو ملحقات سيطر عليها العرب بدأً من المحمرة[٢] في الشمال والتي تعرف اليوم عرب ستان امتداداً إلى مكران وجوادر في باكستان، إذ كانت تتبع الإمبراطورية العمانية لمدة ثلاثة قرون ممّا يعني أنَّ الخليج كله إمارات عربية وقد أثبت ذلك التاريخ .

بحر القطيف أم الخليج الفارسي ؟

يقول قدري قلعجي : كان الاسم الذي يطلق على الخليج في العصور القديمة، كما دلت النقوش الأكادية البحر الأدنى أو المر Lower or Bitter Sea ويقابله فيها البحر الأعلى Upper Sea وهو البحر الأبيض المتوسط[٣] والراجح أن الاسكندر الأكبر المقدوني كان يطمح إلى أن يحمل لقب (ملك العالم) وهو أول من سماه (الخليج الفارسي) فقد أرسل الإمبراطور المقدوني أسطوله بقيادة أمير البحر نياركوس من الهند إلى العراق سنة ٣٢٦ – ٣٢٥ ق . م . عن طريق الخليج لسبر أغواره واكتشاف مصب نهر الفرات، ثم تبع باسطوله مجرى نهر قارون ليحط رحاله عند مدينة سوزه حيث كان الاسكندر في انتظاره .

ثم يضيف قلعجي عن سبب التسمية (بالفارسي) فيقول : وهكذا لم يتعرف الأميرال المقدوني في رحلته هذه إلا إلى الساحل الشرقي للخليج، أي (الساحل الفارسي)، وظل

---

(١) يسميه ابن خلدون الخليج الأخضر.

(٢) وهو ما يعرف بخوزستان أو منطقة الأهواز.

(٣) الخليج العربي بحر الأساطير ص ٧ نقلاً عن العرب والملاحة في المحيط الهندي لجورج فضلو حوراني ص٣٠٩ .

الساحل العربي مجهولاً لديه [١] .

مما دعا الإمبراطور إلى أن يطلق على الخليج ذلك الاسم ! ! وبقي متداولاً بطريق التواتر.
وفي العصور الأخيرة أي في أثناء الاحتلال البرتغالي وهي البدايات التي يؤرخ لها هذا الكتاب، أطلق العثمانيون على الخليج اسم (خليج البصرة)، أما سكان الاحساء فكانوا يسمونه (خليج القطيف)[٢] و يضيف قدري قلعجي : أن المؤرخ الروماني بليني Pliny الذي ولد سنة ٦٢ م وتوفي سنة ١١٣ م يسمي الخليج باسمه الصحيح (الخليج العربي)[٣].

ولكي نعرف المسميات كما جاءت في كتاب الخليج العربي بحر الأساطير فهي نورد الآتي :

١	البحر المر	نقوش اكادية	العصر الاكادي
٢	البحر الادنى	نقوش اكادية	العصر الاكادي
٣	الخليج الفارسي	الاسكندر الاكبر	القرن الرابع قبل الميلاد
٤	خليج البصرة	العثمانيون	القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي
٥	خليج البصرة	الاحسائيون	غير محدد
٦	الخليج العربي	الروماني بليني	القرن الاول الميلادي

إن الذي سمى الخليج خليج القطيف ليس الاحسائيين، بل ما أورده قدري قلعجي[٤] نقلاً عن كتاب (ساحل الذهب الأسود) للمؤرخ محمد سعيد المسلم حيث يقول:

ويذكر (الدكتور عبد الوهاب عزام) أن هذا الساحل كان يسمى القطيف قبل أن يغلب

---

(١) المرجع السابق ص ٨ نقلاً عن Le golfe Persique

(٢) المصدر السابق ص ٨ .

(٣) المصدر السابق ص ١٠ وقد أسهب في ذكر القطيف أو الخط وهي التسمية الثانية والاقدم لمدينة القطيف وكذلك ذكر اسم ساحل الخط الممتد من البصرة إلى رأس الخيمة .

(٤) المصدر السابق، ص٨ ، نقلاً عن المسلم ص١٧ .

عليه اسم الخط، ويذكر صاحب (التعريفات الشافية) أن الخليج العربي كان يسمى (بحر القطيف)، أما (شبرنكر) فينص على أنه كان يسمى (خليج القطيف) قبل أن يعرف بأي اسم آخر[١] .

لعل قدري قلعجي قد أخطأ بقوله : إن الاحسائيين هم الذين سموه بخليج أو بحر القطيف ولا أظن أن قلعجي قاصد وقد أسهب في الحديث عن المفارقات بين المسميين العربي والفارسي لبحر القطيف ووضع الأدلة المقنعة بأنه عربي على امتداد سبع عشرة صفحة وقد أجاد في حديثه ،ولكنه لم يتطرق إلى التسميتين، البصرة والقطيف، فالبصرة حديثة، بنيت سنة ١٥ للهجرة، وأن الذي سمى الخليج بخليج البصرة أو بحر البصرة هم العثمانيون سواء بعد أن تنازل لهم راشد بن مغامس أو بعد أن طردوه أو فر هارباً واحتلوا البصرة بأنفسهم. على أن هذا المسمى لم يستمر طويلاً، وقد بقي مسمى القطيف خليجاً أو بحراً قبل البصرة وبعدها ولم يطلقه العرب، على الرغم من تداولهم له. وهناك كثير من الجغرافيين الذين وضعوا الخرائط وهم يشيرون إلى أنه بحر القطيف أو خليج القطيف وهذه الخرائط غير محددة بجنسية ما أو أمة معينة بل هي حقائق جغرافية تركها علماء الخرائط حسبما كانوا يرونه صواباً في تلك الأزمنة .

الموقع والمساحة :

على مساحة مغمورة بالمياه، تقدر بسبع وتسعين ألف ميل مربع أي ما يعادل ٢٥٠ ألف كيلومتر مربع، يمتد الخليج العربي على شكل ذراع بحري في جنوب غرب آسيا، يحده من الشرق الساحل الإيراني الذي تقطنه قبائل عربية وفارسية، ومن الغرب شبه الجزيرة العربية، حيث جون الكويت في الشمال وفيه جزيرة بوبيان ويمتد حتى مضيق هرمز، حيث مسندم

---

(١) ساحل الذهب الأسود، وقد رجع المسلم رحمة الله عليه إلى : تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٨، ص ١٤٠ ومعجم البلدان ج ٣، ص ٤٤٩ و ج ١ ص ١٤٠ من تاريخ العرب قبل الإسلام وكذلك مهد العرب لعبد الوهاب عزام .

أو منطقة رؤوس الجبال، ثم ينفتح على خليج عمان جنوباً والذي كان يوماً يدعى – سابقاً – خليج أو بحر هرمز. وأما من الشمال فيحده سواد العراق أو منطقة بلاد الرافدين حيث الأنهار والبحيرات أو المصطلح العلمي (الأهوار) ولذلك يرى الباحثون على أن الخليج كيان واحد (من الهور إلى الجبل) .

وتبلغ أبعاد الخليج ٨٠٠ كيلومتر طولاً، ويتراوح عرضه بين ٢٩٠ كيلومتراً في قسمه الجنوبي و ٤٧ كيلومتراً عند مضيق هرمز، ومتوسط هذا العرض ١٥٠ كيلومتراً، يقع بين خطي طول ٤٨ و ٥٧ شرقاً، وخطي عرض ٢٤ و ٣٠ شمالاً [١] .

ويضم الخليج المئات من الجزر المأهولة والمهجورة ، بعضها كان مسكوناً قديماً، وقد هُجرت لأسباب عديدة، كما كان لبعضها أهمية تاريخية مثل هرمز وقيس وتاروت ودلما وابو ظبي وكمزار وفيلكا وخَرْج وغيرها وما زالت هذه الجزر كلها عامرة في يومنا هذا، بينما كانت هناك مجموعة من الجزر هُجرِّت وظلّت أطلالها دالّة على حضارتها، ومنها كران وكربّن وجنا وجريد والمسلمية والزخنونية وغيرها .

---

(١) The World al Manac, P 518 والجزيرة العربية ص ٢ / ٩٧ الخليج الفارسي، الخليج العربي – بحر الأساطير ص٢٦ .

نماذج من خرائط القطيف في العصر البرتغالي :



خريطة الجزيرة العربية، رسمها الجغرافي الفرنسي نيكولاس سانسون (N. (Sanson ونشرت عام ١٦٥٢ ، وقد أوردها سلوت في كتابه منوّهاً على أنها من مجموعة الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي حاكم إمارة الشارقة .

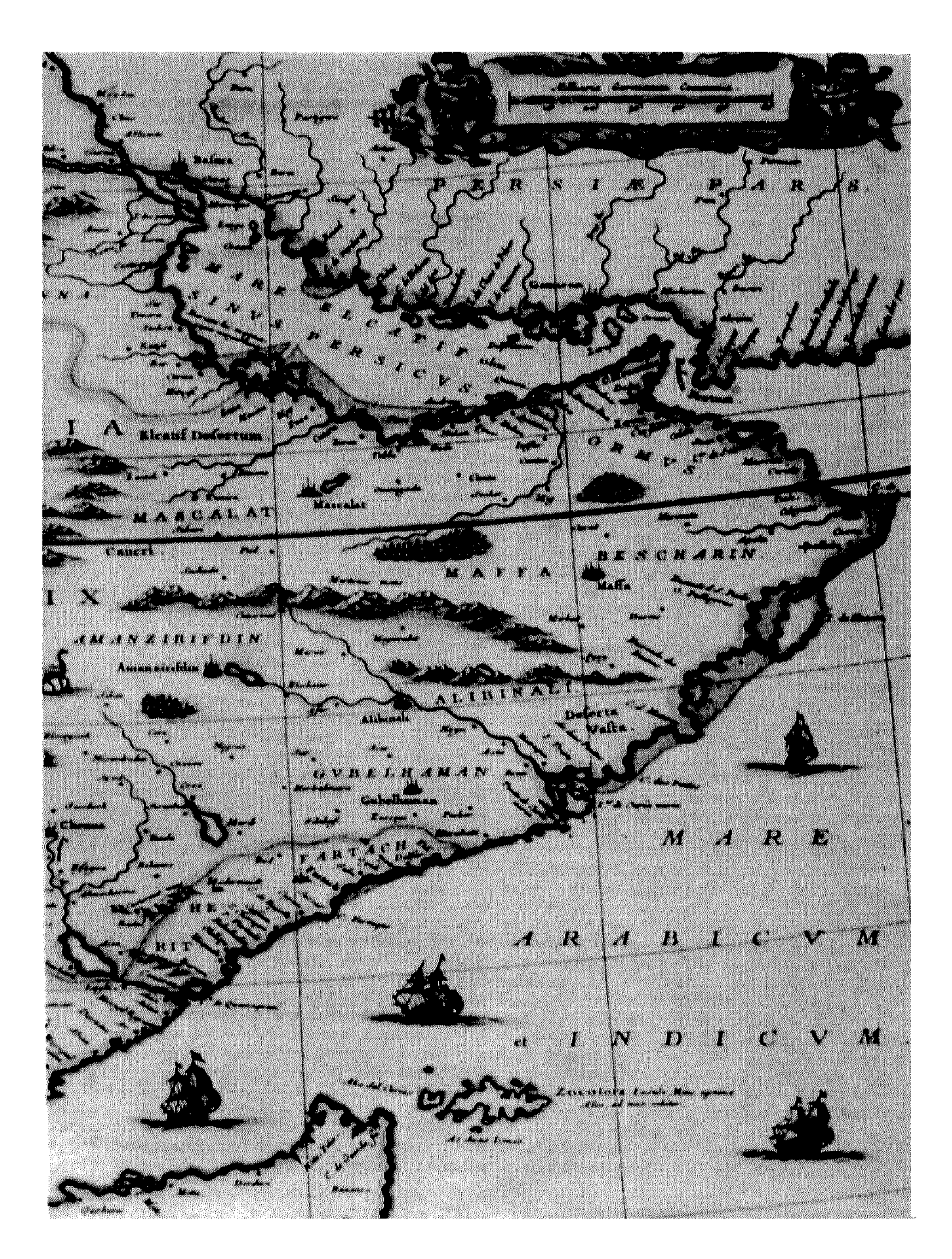


إحدى الخرائط التي تضم ثلاثة مسميات للخليج :

١ – بحر القطيف Mer Del Catif .

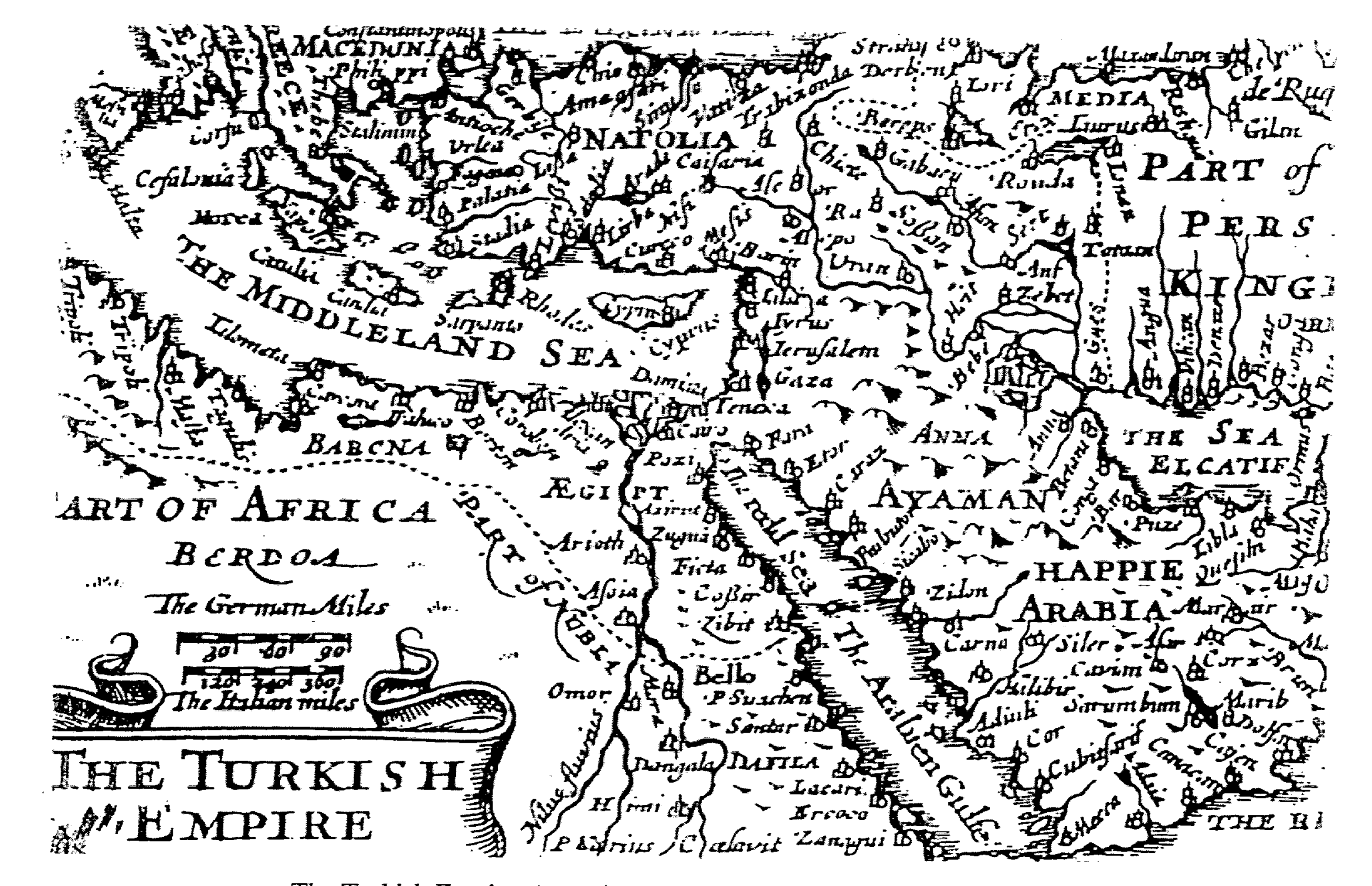
٢ – خليج البصرة Golfe De Basera .

٣ – خليج فارس Golfe De Perse .



خارطة بحر القطيف (الخليج العربي من أطلس فان هونديوس ، تعود إلى قرابة عام ١٦٦٥م) .

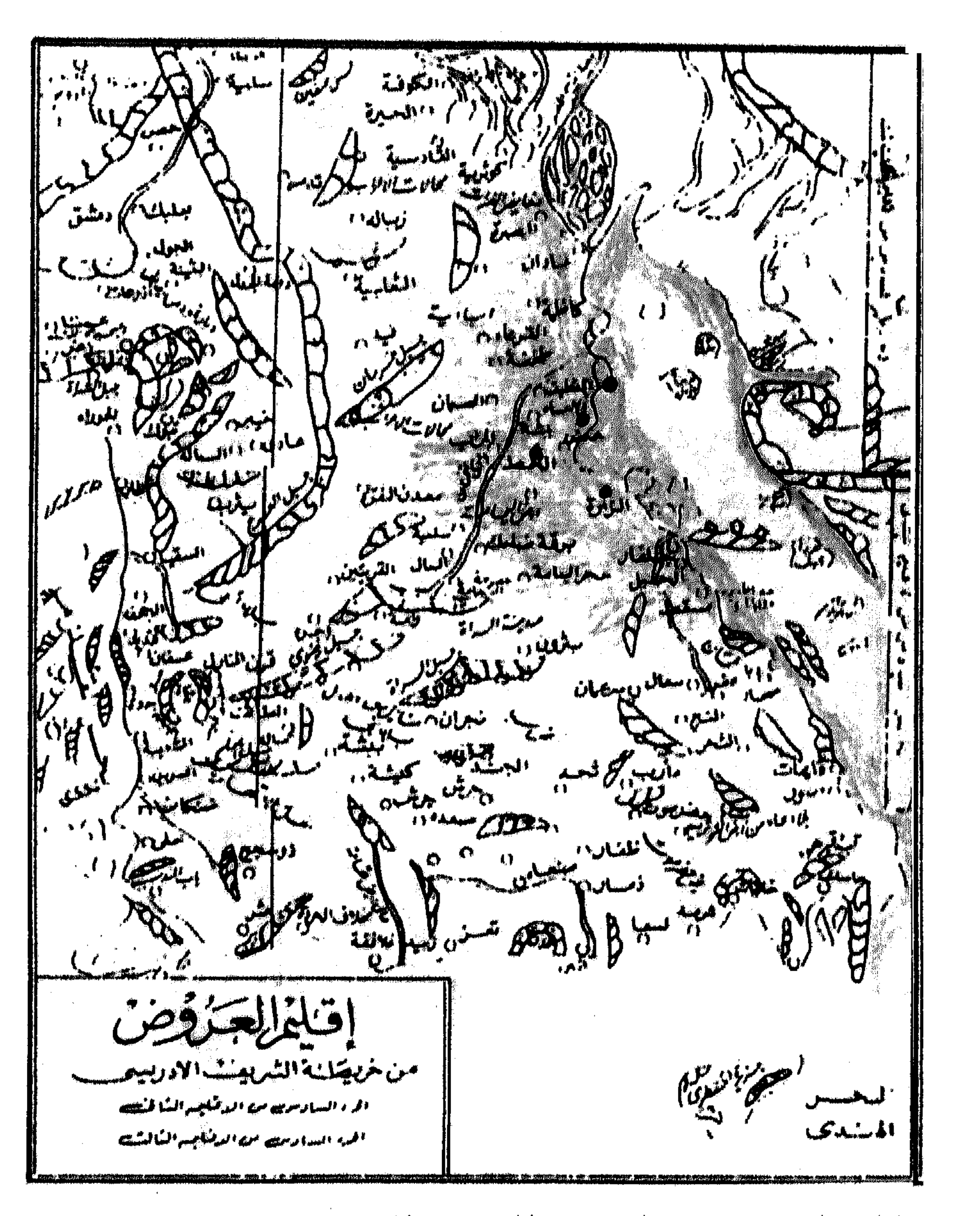
بحر القطيف، خارطة برتغالية تعود لعام ١٦٥١ – ١٦٥٤ م



The Sea El Catif بحر القطيف (الخليج العربي) من خلال خريطة The Turkish Empire



نسخة مزخرفة وضعها أبراهام أورتيليوس عام ١٥٧٦ من إحدى خرائط بطليموس وقد كتب عن الخليج (خليج البصرة وأسفله بحر القطيف) .



إقليم العروض من خريطة الرحالة الإسلامي (الإدريسي)، وتبدو فيها المدن القديمة :

القطيف، الأحساء، الخط، الزارة (وضعها أمام شبه جزيرة قطر)، برقة، كاظمة، القرعاء .

مصطلح القطيف (Qatif) عبر الخرائط :

جاء في معجم البستان : قَطَفَ الثَّمرَ يقطفه قطفاً :جناهُ وجمعهُ واقطف الكرم: دنا قطافهُ و-القوم حان قِطاف كرومهم ،والقِطاف والقَطاف أي حضر وقتهُ والقُطافة ما يسقط من الثمر والقِطْف :العنقود ساعة يقطف،والقطيف هو العنب الذي قطف توّاً والقطيف : الثمر المقطوف.[١]

وقد كتبت القطيف في الخرائط بعدة أوجه منها : Qatif و Katifو Qateef و Catifa وغيرها من المصطلحات باختلاف الحرف الأول (ق) فيورد ((K) و (Q) و (C) على أن (T) قد تكررت أحياناً ، مثل :kattif أو Qattif .

---

(١) البستان (معجم لغوي مطول، ص٨٩٣ (ق ط ف) جزءان في مجلد واحد، العلامة الشيخ عبد الله البستاني -- مكتبة لبنان، ط١ ،س ١٩٩٢م.

الأطلس / الجغرافي	الجنسية	السنة	المصطلح
لازارو لويس	برتغالي	١٥٦٣	DE CATIFA
نيكولاس سانسون	فرنسي	١٦٥٢	D'ELCATIF
نيكولاس سانسون	فرنسي	١٦٥٢	ELCATTIF
	–	١٦٥٤	DEL CATTIF
	–	١٦٥٤	EL CATTIF
فان هونديوس	–	١٦٦٥	EL CATIF
بلاو	–	١٦٦٢	ELCATIF
ابراهام اورتيليوس	–	١٥٧٦	DEL CATTIF
جان لنشوتن	هولاندي	١٥٩٦	ELCATIE-CATIFFA القطيف - الخط
الاخوان R. & J. ottens	–	قبل ١٧٣٧	CATIF امامها قلعة
	–	–	TAROUT امامها قلعة
	–	–	PORTUS CATIF
Herauli	فرنسي	–	ELHATIF
	–	–	لعله يريد بحرف H حرف K
جورج دي روي ا	فرنسي	١٧٥٨	ELKATIF
كارستن نيبور C. Niebuhr	هولاندي	١٧٦٥	TARUD - KATIF تاروت - القطيف طبعت الخارطة ١٧٧٢م
نشرها لونجمان وشركاه A. Arrowsmith	انجليزي	١٨٢٩	KATIF
جمعية نشر المعلومات النافعة	لندن	١٨٤٠	ELKATIF ,RASTANURA
هول بري Hall Bury نشر A & C BLACK	انجليزي أدنبرة	١٨٥٦	ELKATIF ,RASTANURA
كارل ريتر C. Ritter اعاد نشرها كيبرت R.Kiepert سنة ١٨٦٧م	الماني	١٨١٨	ELCATIF

مدن وقرى القطيف :

لو ألقينا نظرة من الجو على واحة القطيف ومدنها وقراها لتراءى لنا شريط أخضر يمتد على الساحل من الجنوب إلى الشمال ، ووجدنا كتلاً بيضاء تتخلل هذا الشريط تارة تكون على مقربة من الشاطئ وتارة متناثرة في وسطه ، ونرى – إلى الشمال من هذا الشريط – قطعة منفصلة منه وأجزاء أخرى صغيرة متفرقة من الناحية الغربية وقطعة أخرى تتوسط خليج كيبوس ، وتقع في الجهة الشرقية .

أما الشريط الأخضر فهي الواحة ببساتينها الغناء وظلالها وعيونها وسواقيها الجارية ، وأما البقع البيضاء التي تختلف في كبرها وصغرها ، والتي تتخلل هذا الشريط فهي مدنها وقراها، حيث تقع سيهات على الساحل في الطرف الجنوبي ، تليها عنك ، ثم مدينة القطيف، أما القرى فتقع في قلب الواحة وهي الملاحة والجش وأم الحمام وحلة محيش والجارودية والخويلدية والتوبي والبحاري والقديح والعوامية ، وأما الجزء المنفصل فهي مدينة صفوى وواحتها والتي تفصلها عن الشريط سبخة صفوى ، وتقع إلى الغرب بعض الواحات الصغيرة كأم الساهك وأبو معن والدريدي ومشعاب والآجام وغيرها. وأما الجزء العائم وسط البحر فهي جزيرة تاروت [١].

مدينة القطيف :

تُعدُّ القطيف من أعرق المدن التاريخية ، وقد أطلق عليها اسم القطيف من قبيل إطلاق اسم الكل على الجزء ، كما يطلق اسم الشام على دمشق ، ومصر على القاهرة ، فهذا الاسم يشمل جميع الواحة بما فيها من مدن وقرى، شأنه شأن اسم الخط الذي يطلق على المنطقة الساحلية الممتدة من البصرة الى مسندم وعلى هذه المدينة بالذات. وذكر الطبري، أنّ أردشير بن بابك (٢٢٦ – ٢٤١ م) مؤسس الدولة الساسانية قد بنى مدينة بهذا الموقع ، وهي من جملة المدن التي بناها للتحصينات العسكرية وتدل على أن تلك المدينة هي

---

(١) واحة على ضفاف الخليج ص ٢٥ و ٢٦ ، وانظر أيضاً (القطيف) الصفحات ٢٧ و ٢٨ و٣١ و ٣٣ .

القلعة ذاتها، كما توحي بذلك الأسماء التي علقت بها حتى قبل أن تهدم[1]، فالدروازة كان يطلق على كل بوابة فيها، كما أن اسم الخان الذي هو بمعنى النزل أو بيت الضيافة كان يطلق على أحد أحيائها، وهو الواقع في الجهة الغربية منها، ويبدو من تخطيطها السابق أن البلاط الملكي كان يحتل الرقعة الجبلية التي تتوسط القلعة، يليه في الجانب الغربي الجنوبي قصور الضيافة (حارة الخان)، كما تقع حظائر المواشي في الجهة الغربية الشمالية (حارة الزريب)[2]، وتحيط الحدائق الغناء ودوالي العنب بالبلاط الملكي[3] بدءاً من مجرى (الكريدي)[4] المجاور لجامع المنارة وانتهاء بفريق الوارش في الجهة الشمالية .

ويبدو أن القلعة التي تسمى جبارو Jippro قد اتخذت منذ أن أُسست قاعدة عسكرية ثم اتخذت مستودعاً للبضائع ومخزناً للعطور والتوابل الواردة من جزيرة تاروت لمناعتها ولاتصالها مباشرة بالسوق، ثم اتخذت في وقت لاحق مقراً للسكنى وأصبحت حاضرة لمنطقة القطيف، وكان لها سور منيع، يرجع بناؤه إلى عهد بعيد ، لم يحدده أحد المؤرخين متى أو في أي عصر، وقد وصفه أبو الفداء الذي عاش في القرن الثامن الهجري طبقاً للصورة التي رأيناها[5]، وقد جدد بناؤه في عهد السلطان سليم الثاني في غرة المحرم سنة ٩٦٨ هـ كما تخبرنا لوحة حجرية، وجُدِّدَ بناؤه أيضاً في عهد أحد ولاة الأتراك (علي باشا)

---

(١) انتزعت ملكيتها من الاهالي عام ١٤٠٥ هـ ، وازيل منها ثلاثة أحياء ، وهي فريق الخان وفريق السدرة وفريق الوارش ، وبقي الحي الرابع وهو فريق الزريب ثم ازيل لاحقاً سنة ١٤٠٨هـ ، ولو بقيت القلعة بأسوارها وابنيتها ومنارتها والجامع القديم وأصلح ما تهدم من تلك الاثار لاضحت مرفقاً سياحياً على غرار القلاع الأثرية .

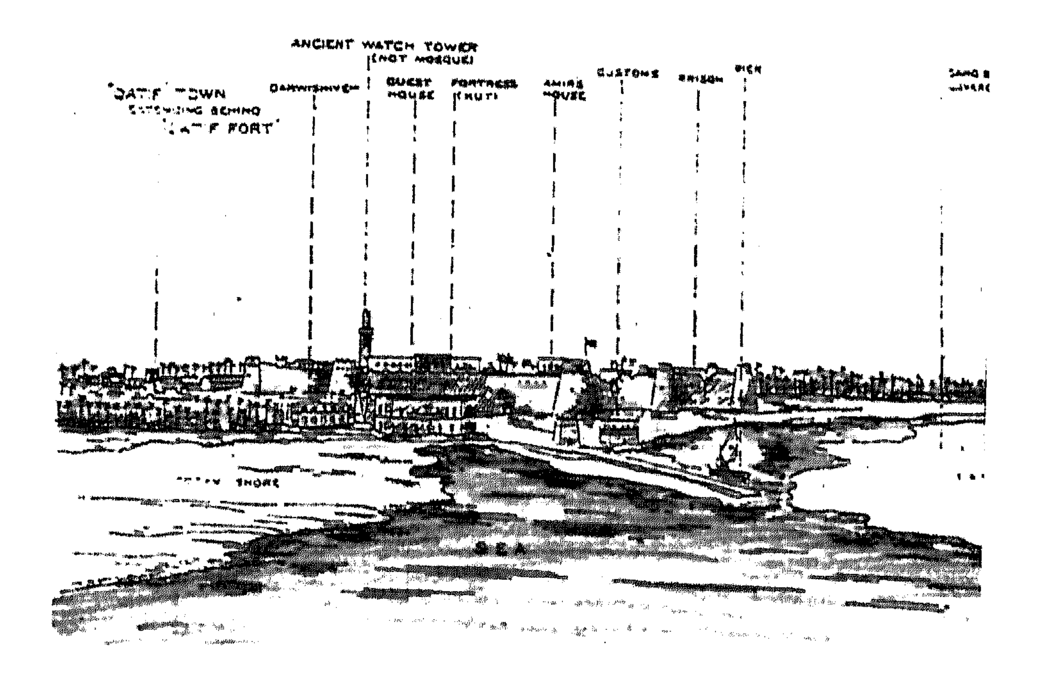
(٢) الزريب تصغير زرب : حظيرة المواشي .

(٣) جمع دالية ، ويطلق على كل بستان داخل القلعة ، وربما كانت في الأصل مزارع عنب ، وتتميز أرضها بالخصب ولا تحتاج إلى تسميد .

(٤) هو المجرى الأصلي ، حيث ويرفد الماء إليه خلال قناة تخترق جدار السور من ساب الدويج، ليسقي بساتين القلعة مرتين في الاسبوع، مرة صباح يوم الخميس والاخرى ليلة الثلاثاء ، وبعض اشجار النخيل كانت قائمة بجواره .

(٥) ساحل الذهب الاسود ص ٤٤ والقطيف واحة على ضفاف الخليج ص ٢٧ .

سنة ١٠٣٩ هـ، كما تذكر اللوحة الحجرية التي كانت معلقة بدروازة باب الشمال وأرخت بحساب الجمل بكلمة (محفوظة)[١]، وكان بالقلعة أحد عشر مسجداً وأشهرها جامع المنارة ومسجد الراجحية ومسجد الخان ومسجد السدرة ومسجد البرودة، وأقدمها جامعا المنارة والسدرة الذي يرجع بناؤهما إلى القرن الثامن الهجري كما تخبرنا لوحة حجرية كانت مثبتة بمدخل منارته التي يبلغ علوها ٣٠ متراً [٢]. حيث يثبت باب مسجد السدرة ذلك .

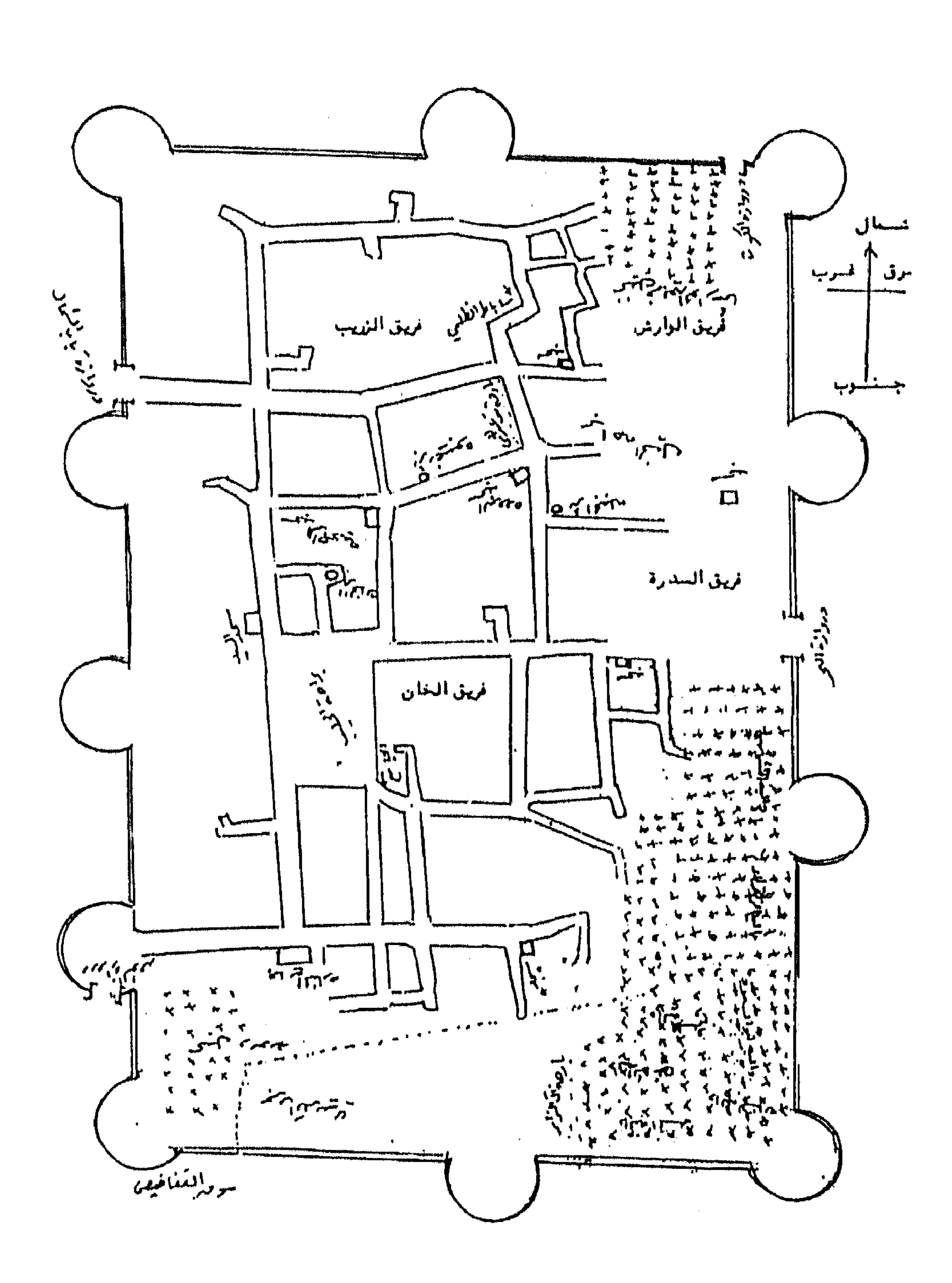


القلعة من الجهة البحرية في العصر البرتغالي

---

(١) وهي بحساب الحروف م ٤٠ + ح ٨ + ف ٨٠ + و ٦ + ظ ٩٠٠ + هـ ٥ = ١٠٣٩ هـ .

(٢) أصيبت بقذيفة مدفع فانتزع جزؤها العلوي سنة ١٨٧١ م في أثناء الاحتلال التركي .



مخطط تقريبي للقلعة وطرقاتها وأسوارها وأبراجها

وكانت مدينة الخط معروفة حتى بعد ظهور الإسلام، كما تحدثنا به أخبار الردة [١]، وتسمى أيضا الفرضة، وكان يسكنها بنو عامر بن الحارث بن عبد القيس كما يذكر ياقوت الحموي، ولعل مركز الثقل انتقل إليها بعد أن دمرت عاصفة هوجاء مدينة القطيف القديمة، التي كانت تبعد عن الساحل مسافة كبيرة، فانتقل سكانها إلى هذا الموقع الذي يسمى محلة الصيادين سابقا، فعمروه وأرخوا هجرتهم بكلمة (حجرة) أي سنة ٢١٦ هـ[٢]، ثم تركزت هجرة السكان فيها بعد تدمير الزاره [٣]، أي سنة ٢٨٣ هـ، فغدت حاضرة لمنطقة الواحة بأجمعها .

ولمدينة القطيف مدخلان رئيسان، أحدهما في الناحية الجنوبية وهو الذي يتجه إلى الدمام ماراً بعنك وسيهات، وثانيهما من الناحية الشمالية يخترق الواحة ماراً بالعوامية وصفوى باتجاه رأس تنورة والجبيل، كما يوجد لها طريق ثالث يتجه غرباً حيث يتصل بالطريق السريع وهو المؤدي إلى قرية الآجام .

ومدينة القطيف تتألف من عدد من الأحياء القديمة والحديثة، متصل بعضها ببعض، فالأحياء القديمة كانت تعتبر سابقاً بحكم الضواحي، لوجود فواصل وأسوار بينها وبين القلعة وهذه الضواحي هي الأحياء الموجودة حالياً بمحاذاة شارع الملك عبد العزيز وهي الشويكة والدبابية والكويكب والشريعة وميّاس والمدارس، والجراري وباب الشمال، وجميعها في منطقة السوق .

أما الأحياء الجديدة فقد امتدت من جميع الجهات، لاسيما في الناحية البحرية. وقد كان للانفجار السكاني بالإضافة إلى ازدهار الوضع الاقتصادي وإنشاء صندوق التنمية العقارية ومشاريع تملك البيوت في بعض الشركات أكبر الأثر في امتداد العمران وانبثاق الأحياء

(١) الطبري ج ٢ ص ٥٢١ ذكر ان الحطم بن ضبيعة استغوى الخط ومن فيها من الزط والسيابجة .

(٢) وهي بحساب الابجدية ح ٨ + ج ٣ + ر ٢٠٠ + هـ ٥ = ٢١٦ .

(٣) مدينة الزاره مشهورة في التاريخ الإسلامي وكانت حاضرة القطيف و تقع بالقرب من العوامية وقد خربها ابو سعيد الجنابي في القرن الرابع الهجري نكاية باهل القطيف المعارضين لحكمه ومبادئه .

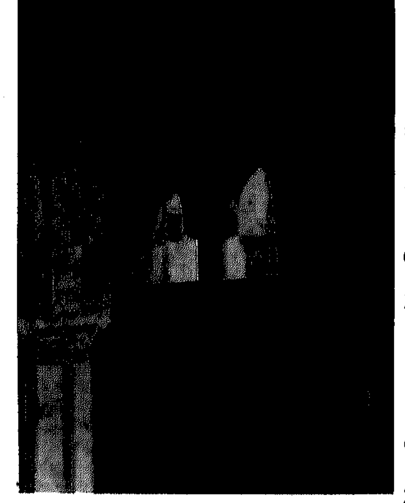
الجديدة، إلى البساتين المجاورة في أول الأمر، الأمر الذي دعا المسؤولين إلى أن يضعوا له حداً، خشية التهام الرقعة الزراعية، فعمدوا إلى شق شارع المحيط غرباً لتحديد الرقعة المسموح بها في البناء فانبثقت أحياء جديدة باسم البساتين التي تحيط العمران، كحي البستان والبديعة، وباب الساب والشماسية والوسادة والمدني والدوبج والجعيلي والشبيبي والحر والفلاتية ودار الإمارة وغيرها . وحين ضاقت تلك الرقعة عن استيعاب حركة العمران عمدت الدولة إلى دفن البحر، فنشأت مناطق جديدة، كالمنطقة البحرية الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة والدخل المحدود بالإضافة إلى مناطق بحرية أخرى دفنت وهي في طريقها إلى العمران، كالمزروع وحي الحسين والناصرة والمنيرة ومشاري والتركية، حيث اتصلت القطيف بجزيرة تاروت .

وتعتبر مدينة القطيف المركز الإداري لجميع مدن الواحة وقراها، ففيها فروع الوزارات الحكومية .

سيهات :

بفتح السين وهو من الأسماء القديمة ومن الأسماء ذات النظائر في الخليج كبنكات التي كانت تقع بالقرب منها وقلهات في عمان وسيهات تقع على الساحل مباشرة، على طريق الدمام وعلى بعد ٨ كم من مدينة القطيف، وقد أكسبها موقعها استراتيجية مهمة،

فنمت نمواً سريعاً فانتشر فيها العمران، وتحولت هذه البلدة إلى مدينة كبيرة [١] حتى اتصلت من الناحية



من الجوامع القديمة في مدينة القطيف

---

(١) للاطلاع على جغرافية مدينة سيهات يمكن الرجوع الى كتاب : من تاريخ مدينة سيهات، حسن حسين آل سلهام ، تقديم علي الدرورة في طبعته الأولى – بيروت – ١٤١٨ هـ ، ويمكن أيضاً الاطلاع على كتاب (سيهات والبحر) للمؤلف نفسه.

الجنوبية بالدمام بعد دفن البحر، أما من الناحية الشمالية فاتصلت بعنك، وفي الجهة الغربية تقع سيحتها المسماة باسمها، فتحميها من رمال الصحراء [1] .

وبحكم موقع هذه البلدة كان لها تاريخ سياسي حافل، لاسيما في القرن الثالث عشر الهجري، وكانت من المدن المهمة المزدهرة منذ القدم، ومن أبيات قالها الشاعر جعفر الخطي المتوفى سنة ١٠٢٨ هـ ،وكان مهنئاً فيها أحد أشراف القطيف سنة ١٠١٧هـ [2]

هلاّ سألت الرَّبع من سيهات ... عن تلكُمُ الفتيان والفتيات

ومجرّ أرسان الجياد كأنها ... فوق الصَّعيد مساربُ الحيَّات

حيثُ المسامعُ لا تكاد تفيقُ من ... ترجيع نوتيّ وزجر حُداة

وحتى في أوائل هذا القرن كانت مزدهرة اقتصادياً، فقد وصفها لوريمر[3] بأنها أغنى منطقة في الواحة، تملك ثلاثين قارباً لصيد اللؤلؤ، وبيوتها تتكون من ٦٠٠ منزل، منها ٤٠٠ داخل السور و ٢٠٠ كوخ تقع خارجه وتملك حدائق النخيل .

وفي أيام ازدهارها كانت تلحق بمركزها جملة من القرى كالظهران و هناك وثائق عديدة، منها وثيقة قديمة تتضمن تملك احد مواطنيها نخلاً بالظهران وموقّعة من قاضيها التابع لسيهات . وإلاّ هناك وثائق أخرى تذكر انها من توابع الظهران [4] . غير أن هذه المدينة ضعفت اخيراً بفعل الغارات المتتالية عليها، التي شنّها الغزاة فتحولت إلى قرية فيما بعد، ولكنها بعد اكتشاف البترول انتعشت من جديد وازدهرت اقتصادياً واتسع عمرانها بسبب

---

(١) لكل قرية مجموعة من البساتين ملحقة بها تسمى سيحة (لربها سيحا من العيون) ولا تفصلها عن السيحة الاخرى إلا فواصل وهمية وهذا الاصطلاح متعارف عليه حتى في السجلات الرسمية للدولة وهو تقليد قديم.

(٢) ديوان أبو البحر جعفر بن محمد الخطي ،علق عليه واخرجه الخطيب علي بن الحسين الهاشمي ،طهران ،س ١٣٧٣هـ ص ١٦

(٣) دليل الخليج ج ٥ ، ص ١٨٨٠ .

(٤) القطيف واحة على ضفاف الخليج ص ٣٣ وانظر ساحل الذهب الاسود ص ٤٩ القطيف ص٣٦ ، وانظر صوراً لبعض هذه الوثائق في كتاب :(من تاريخ مدينة سيهات) آنف الذكر.

انفتاحها وقربها من الدمام، وأصبحت من المدن المهمة ونشأت فيها أحياء جديدة كحي الفردوس وحي السلام وحي النمر وتبعاً لتقدمها العمراني اكتسبت أهمية، وتتبعها أربع قرى في الوقت الحاضر، ومجموع سكانها وصل إلى ٢٢٣٣١ نسمة وهو إحصاء عام ١٣٩٤ هجرية .

عُنَك :

بضم أوله وفتح ثانيه وهو من الأسماء المرتجلة كما يقول ياقوت الحموي أي التي لا ترجع إلى اشتقاق لغوي، ويبدو أنه من الأسماء الكنعانية الموغلة في القدم كسَيهات، وتاروت وتوبي وغيرها من الأسماء القديمة التي حافظت على صيغها الأصلية، والتي لها نظائر في القطيف ومنطقة الخليج. ويعتقد بعض المؤرخين أن اسم (عُنَك) جاء من اسم إنكي وهو إله الماء عند الدلمونيين، وعنك مدينة قديمة تقع على ساحل البحر مباشرة، وتحيط بها الواحة من جميع جهاتها الأخرى، وكانت تتمتع بشهرة تاريخية، ذكرها المسعودي واصفاً إيّاها، بأنها من مدن القطيف[1] وفيها يقول الراجز :

طعن غُلام لم يَجِئك بالسَّمَكْ   وَلم يُعلَّل بِخَيَاشِيم عُنَكْ

كما ذكرها الشاعر جعفر الخطي :

فَسَقَى الغَمَامُ إذا تحمَّلَ ركبُه   تلكَ الرِّحابَ الفيحَ والعَرَصَاتِ

واجتَازَتِ المُزنُ العِشَارُ فطبَّقَت   بالسَّقي مِن عُنكٍ إلى بَنْكَاتِ

ويستدل بما حولها من مرتفعات وآثار عمران قديم على بقايا تلك المدينة المندثرة، حيث كانت فيها قلعة حصينة على البحر، اتخذها الأتراك مقراً لحاميتهم ومركزاً للضبطية تعزيزاً لحاميتهم في القطيف [2] .

---

(١) القطيف واحة على ضفاف الخليج، التنبيه والأشراف، ٢٤١، وانظر أيضا ساحل الذهب الأسود ص ٥٠، وانظر كذلك كتاب : القطيف ص ٣٧ وديوان أبو البحر الشيخ جعفر الخطي (المرجع السابق) .

(٢) دليل الخليج ج ٥، ص ١٨٨٠ .

ولكن هذه المدينة تضاءل حجمها، وتحولت إلى حي صغير، يتكون من ٢٠ منزلاً تسكنه عائلة العليوات، التي تحترف صيد الأسماك، وهي كما رأيناها مطابقة لوصف لوريمر في أواخر القرن التاسع عشرمن انها حيٌّ صغير على الساحل، وخلال أشهر الصيف يقطن بجوار العليوات بنو خالد وبنو هاجر ومعهم قليل من آل مرة والعجمان[1] وعند حلول فصل الخريف يرحلون إلى الصحراء.

وتقع عنك على بعد ٤ كم من مدينة القطيف و ٣ كم من سيهات، إلا أن هذه المسافات تضاءلت هذه الأيام بعد امتداد العمران، فاتصلت بمدينة سيهات، والميل الذي يفصل بينهما وبين مدينة القطيف في طريقه إلى العمران ، وقد ساعد وقوعها على طريق الدمام الرئيس، انتشار العمران فيها فضلاً عن الكثافة السكانية من القبائل التي استوطنتها وعلى رأسهم بنو خالد، وقد كانوا قبلاً يحلون فيها صيفاً هرباً من لهيب الصحراء، وحين تحضروا امتلكوا أراضيها وعمروها، وأقاموا فيها بصورة دائمة، ابتنوا البيوت والفلل والعمارات كما تطورت حياتهم الاجتماعية والاقتصادية من بدو رُحَّل يمارسون رعي الأغنام والإبل إلى الاشتغال بالأعمال المدنية من تجارة ومقاولات ووظائف حكومية وأهلية إلى غيرها من الأعمال الحديثة .[2]

الشويكة :

تصغير شوكة، إذ كانت قرية مسوَّرة يحيط بها النخيل من كل جانب على بعد كيلو متر من القلعة، وهي كما وصفها لوريمر ، تتكون من ٢٠٠ منزل ومعظمها من الأكواخ، ويعمل أهلها بالفلاحة، كما يوجد فيها بعض أنوال النسيج، وتلحق بها سيحة تسمى باسمها، تروى من السيبان[3] وأشهرها ساب أبو خمسة وساب حميدة .

---

(١) المصدر السابق ج٥،ص١٨٨٦

(٢) المصدر السابق ج٥،ص١٨٨٦ ،وانظر كتاب: القطيف ص٣٩.

(٣) جمع ساب ، وهو نهر صغير ترفده بساتين النخيل التي تسقى من العيون .

أما الآن فقد تغيرت معالمها، وامتد إليها العمران واختلطت بالحاضرة وأصبحت تشكل الحي الجنوبي لمدينة القطيف، وقد أقيمت فيها العمارات والمتاجر كما يوجد فيها مستشفى القطيف العام الذي افتتح سنة ١٣٧٦ هـ .

المَلاّحة :

بفتح الميم وتشديد اللام منبت الملح كما يقول الفيروزبادي، وهي قرية صغيرة محاطة بالنخيل، تقع إلى الشمال الغربي من سيهات ووصفها لوريمر بأنها تتألف من ٥٠ منزلاً مبنية بالطين والحجارة[١] ثم تدهورت فتضاءلت، ولكنها في السنوات الأخيرة اتسعت فانتشر فيها العمران .

الجِش :

بكسر الجيم، ولعل صوابها الجش بفتح الجيم كما وردت في معجمات اللغة[٢]، وهي مشتقة من جش القوم أي اجتمعوا أو تفرقوا، أو أجش المكان اجتمع نبته وحشيشه [٣] وهذا أقرب إلى معناها، إن لم تكن من الأسماء المرتجلة القديمة وما أكثرها في المنطقة وقيل إنها كانت مركزاً للجيوش التي تخرج من القطيف عبر الحكومات القديمة ثم كانت مقراً للجيش التركي .

وتقع هذه القرية في الطرف الجنوبي الغربي من الواحة على مقربة من الملاحة وأم الحمام، ويخترقها الطريق المؤدي إلى الشارع الرئيس السريع، وكانت قرية مسوَّرة تتكون من ٢٥٠ منزلاً كما وصفها لوريمر- بعضها من الحجارة والطين وبعضها خارج [٤] السور،و فيها ثلاثة

---

(١) المصدر نفسه ج ٥ ، ص ١٨٨٤ ، وانظر كتاب : القطيف ص ٤٠ .

(٢) وفي الخليج : الجشه بالأحساء ، والجشة بالبحرين ، وجشة في لنجة، بايران .

(٣) القطيف واحة على ضفاف الخليج ، ص ٣٦ ، وانظر أيضا ساحل الذهب الأسود ص ٥١ ، وانظر كذلك كتاب : القطيف ص ٤٠ .

(٤) دليل الخليج ج ٥ ، ص ١٨٨٢ .

ينابيع عذبة بجوار المسجد خارج سور القرية وتحصل على مياهها من ينبوع يسمى كعبة[١].

أم الحَمَام :

بالحاء المهملة، وكانت تسمى إلى عهد قريب بأم الخمام بالخاء المعجمة أو بأم خمام حتى في السجلات الرسمية، وكما جاء في كتاب دليل الخليج. ويبدو أن هذا الاسم حديث العهد، ولقصة هذه التسمية حكاية، فيقال إن الشعير كان يزرع في أرضها بكثرة، حيث ينقل المحصول إلى القرية ويدرس على أرضها الجبلية، فكانت تتراكم في طرقاتها الأوساخ والقش، فيأوي إليها الحمام ليلتقط الحب المتخلف ولكثرتها سميت بأم الحمام .

وكانت مسورة – كما وصفها لوريمر – على بعد ٣ أميال في الجنوب الغربي من القطيف، تتكون من ٢٥٠ منزلاً من الحجر والطين، أما خارجها فمن الأكواخ [٢] وقد اتسعت هذه القرية في الوقت الحاضر على حساب البساتين التي حولها من جميع الجهات وأصبحت مترامية الأطراف واتصلت بفريق الزويكية والقوع، على الطريق الريفي[٣] ، وقد اشتبكت اليوم مع قريتي الجش والملاحة ، فصارت البلدان الثلاث مدينة واحدة .

حِلة محيش :

اسم مركب من مضاف ومضاف إليه وحلة بكسر الحاء معناها في اللغة المجلس والمجتمع أو مجموعة من البيوت لا تتعدى مئة بيت، ومحيش تصغير محش بضم أوله وفتح ثانيه ومعناها المكان الكثير الكلأ والخير، كما في القاموس، وقد يكون اسم (عَلَم)، وهي قرية تقع وسط النخيل على بعد ميلين عن مدينة القطيف، يربطها طريق معبد متفرع من الشارع

---

(١) المصدر السابق ج ٥ ، ص ١٨٨٣

(٢) القطيف واحة على ضفاف الخليج ، ص ٣٩ ، وانظر أيضا ساحل الذهب الأسود ص ٥١ ، وانظر كذلك كتاب : القطيف ص ٤١ .

(٣) دليل الخليج ج ٥ ، ص ١٨٨٤ ، وانظر أيضا كتاب : القطيف ص ٤١ ؟

العام في مدخل القطيف، وقد كانت مسوَّرة - كما يذكر لوريمر - تتكون من ١٣٥ منزلاً، بعضها خارج السور [١] . وقد اتسعت هذه القرية في الوقت الحاضر شأنها شأن القرى الأخرى، أما العيون فهي كثيرة، وأشهرها أم عمار التي تُعدُّ من أقوى العيون في واحة القطيف .

الجارودية :

قد تكون منسوبة إلى الجارود، بشر بن عمرو العبدي وقد تكون المعنية باسم أجارد من عبد القيس كما يذكر ياقوت، وتقع هذه القرية إلى الغرب من حلة محيش، وقريبة من بر البدراني [٢] وعلى بعد ميلين من مدينة القطيف، وتستقر على مرتفع جبلي، يدعى جبل (براق) وقد أزيل ولم يبق له أثر وكانت مسوَّرة تتكون من ١٥٠ منزلاً، معظمها من الحجارة والطين وبعضها أكواخ وبعضها يقع خارج السور [٣]، ثم اتسعت وأزيلت البساتين المجاورة وسيحتها تعتبر من أجود الأراضي الزراعية، وتسقى أغلبها من العيون البرية[٤]، ومن عيونها الشهيرة عين الصدين، التي اشتهرت بعذوبة مائها تقع على مقربة من القرية، ومنها عين القشورية العذبة التي تستقي منها الكثير من المزارع في مدينة القطيف [٥]، وإلى جانبها مسجد قديم تروى عنها الخرافات .

الخويلدية :

مؤنث خويلدي نسبة إلى خويلد وهي تصغير خالد وهو من أسماء الأعلام، قرية صغيرة تقع على بعد ميل من مدينة القطيف في الجهة الغربية الجنوبية وكانت مسورة تتكون من

---

(١) يعتبر المدخل البري لمدينة القطيف في الزمن الغابر، ومنه المنطلق لقوافل الحجاج عبر لجد قبل ان توجد وسائط النقل الحديثة .

(٢) دليل الخليج السابق ج ٥ ، ص ١٨٨٢ .

(٣) توجد فيها عيون برية كثيرة تسقي الواحة ، سابقاً.

(٤) القطيف واحة على ضفاف الخليج ص ٤٠ وانظر ساحل الذهب الاسود ص ٥١ وانظر كذلك كتاب : القطيف ص ٤٢ .

(٥) المصدر نفسه ج ٥ ، ص ١٨٨٣ ، وانظر كتاب : القطيف ص ٤٣ .

١٥٠ منزلاً [١] وقد ضاقت رقعتها في الوقت الحاضر عن استيعاب حركة العمران فالتهمت البساتين المجاورة من دون تخطيط، و اشتهرت هذه القرية بإنتاجها الطين الخويلدي الذي يستخرج منها بكميات كبيرة ويصدر منه للخارج والذي كان يستعمل بعد خَلْطِهِ بصفار البيض لإزالة قشرة الرأس قبل أن يعرف (الشامبو) ومازال الطين يستخدم حتى اليوم .

التُّوبي :

بضم التاء المشبعَة بفتح، وهي من الأسماء القديمة جداً كسيهات وتاروت، قرية تقع إلى الغرب من مدينة القطيف على مسافة ميل تقريباً، ولها طريق متفرع من شارع المحيط الدائري، و تقع بين سيحتي الخويلدية والبحاري، وتحيط بها البساتين من كل جانب، وكانت قرية مسورة صغيرة تتألف من ١٠٠ بيت، وسكانها يقدرون بـ ٤٠٠٠ نسمة، وتعتبر سيحتها من أجود الأراضي الزراعية في الواحة، وفيها عدد من العيون، أشهرها عين القصير، التي كانت مخصصة لاستحمام النساء، ولاسيما في حفلات الأعراس، وقد أنجبت عدداً من الشعراء، منهم أبو البحر الشيخ جعفر الخطي والسيد محمد الفلفل [٢].

البِحاري :

بكسر أوله، نسبة إلى البحار، جمع بحر على غير القياس [٣] وربما جاءت هذه النسبة إلى القرية لغلبة أعمال أهاليها عليها، في البحر وصيد الأسماك قديماً، بالإضافة إلى الزراعة حيث كانوا يملكون سبعة قوارب للصيد كما يذكر لوريمر [٤]، وقد يكون اسمها محرفاً عن بحرة وهي بلدة بالبحرين كما جاء في القاموس المحيط، وتقع على الطريق العام المؤدي إلى

---

(١) القطيف واحة على ضفاف الخليج ص ٤١ ، وانظر ايضاً ساحل الذهب الأسود ص ٥١ وانظر كذلك كتاب : القطيف ص ٤٣ .

(٢) القاعدة اللغوية عند مدرسة النحو البصرية ان الجموع لا ينسب إليها إلا إذا غلبت كانصاري أي تحولت إلى عَلَم .

(٣) دليل الخليج ج ٥ ، ص ١٨٨١ .

(٤) المصدر السابق وفي الصفحة نفسها .

العوامية وصفوى، على بعد ميل ونصف من مدينة القطيف بتقدير لوريمر [1]، مسوَّرة، تتكون من مئة بيت، إلا أن امتداد عمرانها وتوسع عمران مدينة القطيف أدى إلى محو المسافة، حتى أصبحت تشكل الطرف الشمالي منها، شأنها في ذلك شأن قرية الشويكة في الجنوب، وتتبعها سيحة كبيرة مترامية الأطراف، وفيها عدد من العيون الجارية المشهورة، كالرواسية وحمام أبو لوزة والحباكة والقصاري، ولقرب هذه العيون من الحاضرة اتخذت مراكز للاستحمام وأشهرها :

أ- حمام أبو لوزة، ومياهه معدنية، أقيم عليه عدد من المباني، التي تعتبر من المعالم الأثرية، ويقال، إن بناءها يرجع إلى العهد العثماني، ويقال إنها أبعد من ذلك بكثير وإن بناءها جدّد غير ذي مرة، وهذه المباني المتلاصقة تتكون من قبة كبيرة تغطي النبع الخاص باستحمام الرجال، ولها مدخل لغرفة مستطيلة بنيت في جوانبها مصاطب لنزع الملابس، ثم في الجانب الشمالي مباشرة يقع حمام للنساء وهو بركة متصلة بالنبع ويتألف من غرفتين، وبجانبه من الشرق إسطبل للخيل والحمير التي كانت وسائط للنقل في ذلك العهد، وإلى جوار القبة من الغرب مسجد لأداء الفرائض [2] .

ب - الحباكة : تقع على بعد ٢٠ متراً تقريباً من الشرق من حمام أبو لوزة، وهي عين مكشوفة يستحم فيها الرجال، وقد عمل في مجراها بركة كبيرة وأقيم عليها مبنى لاستحمام النساء، وإلى جوارها من الشرق حي صغير مؤلف من الأكواخ يسمى فريق الحباكة، وعلى مقربة منه إلى الشمال تقع مقبرة الحباكة بقسميها الشرقي والغربي (المقبرة العامة) ومقبرة العابدات وبجانبها مسجد يسمى باسمها، وفيها مدفن الشاعر الشيخ حسن الدمستاني، وإلى الشمال من المقبرة عين تسمى البشري وبجانبها مسجد ومبنى لتغسيل الموتى، وحي صغير يسمى فريق البشري .

---

(١) القطيف واحة على ضفاف الخليج ص ٤٢ ، وانظر كتاب : القطيف ص ٤٤ و ٤٥ .

(٢) القطيف واحة على ضفاف الخليج ص ٤٢ ، وانظر كتاب : القطيف ص ٤٤ و ٤٥ .

ج – **القصاري** : عين واسعة مكشوفة مخصصة لاستحمام النساء فقط، تقع إلى الغرب من حمام أبو لوزة على بعد ١٠٠ متر .

د –**الرواسية** : عين قوية مكشوفة مخصصة لاستحمام الرجال، وتقع على بعد ٥٠٠ متر من المقبرة غرباً في الطريق المؤدي إلى قرية الآجام .

القُدَيح :

بضم أوله وفتح ثانيه، وهو تصغير قَدّح أي الإناء الفارغ ، أو القدح بكسر القاف سهم الميسر، واظنُّ أن هذا الاسم محرف عن القديح بكسر الدال بمعنى ما يتبقى في أسفل القدر فيغرف بجهد كما تقول معاجم اللغة، ولعلها سميت به لما يتجمع في واديها سابقاً من المياه الضحضاحة، وهذه البلدة تقع إلى الغرب من قرية البحاري على بعد كيلو متر وتحيط بها بساتين النخيل من كل جانب [١] .

وصفها لوريمر بانها قرية كبيرة مسوَّرة تقع على بعد ميلين ونصف من مدينة القطيف، وتتكون من ٣٥٠ منزلاً نصفها اكواخ والباقي من الحجارة والطين ويملك سكانها عشرة قوارب للصيد [٢]، إلا انها تدهورت اخيراً، وهجرها سكانها وانتقلوا إلى النخيل، ولم يتمسك بالبقاء فيها بصورة دائمة إلا عدد قليل من أهلها وكان هناك خلف السور من الجانب الغربي الجنوبي متسع من الأرض، يسمى البرية يستعمل في الصيف أفدية [٣] لتجميع الغلال وتجفيف التمور، وفي الشتاء يتحول إلى مستنقع كبير أشبه شيء بالبحيرة الواسعة، ولكنها سرعان ما تجف حينما تهب الرياح الموسمية، فتتحول إلى مملحة، يستخرج منها كميات كبيرة من الملح، وإلى الغرب منه بجوار النخيل كان هناك موضع يستخرج منه الطين القديحي الأبيض على شكل منجم، حيث يستعمل لغسيل الملابس قبل انتشار

---

(١) دليل الخليج ج ٥ ص ١٨٨٥ .

(٢) دليل الخليج ج ٥ ص ١٨٨٥ .

(٣) جمع (فدا) المكان او الأوعية التي يجمع فيها التمر او الحنطه او الشعير .

استعمال الصابون . وإلى الجنوب تقع قرية [1] رشالة أو (رشالى) أو (رشالا) وقد اندمجت فيها حين اتسع العمران فاندرس اسمها . أما الآن فقد تغيرت هذه الصورة واتسعت البلدة بصورة مذهلة وضاقت عن استيعاب حركة العمران، فامتلأ الوادي بالمساكن والأبنية دونما تخطيط، والتهمت ما حولها من البساتين المجاورة، وساعد على ازدهارها انتعاش الحياة الاقتصادية فيها ونشوء طبقة من رجال الأعمال والتجار والموظفين .

وتوجد فيها حركة أدبية نشطة، وظهر فيها أدباء وشعراء، وهي موطن العلامة الشيخ علي القديحي صاحب كتاب (أنوار البدرين) والشيخ أحمد بن الشيخ محمد صالح القديحي، له ديوان شعر مطبوع والعلامة الشيخ حسين القديحي، وهم من أسرة علمية تتبوأ مكانتها الاجتماعية في البلدة . ويرجع السكان نسبهم إلى مضر، وينسبون مؤسساتهم الاجتماعية إليها، والمعروف أن مضر مسكنها بالحجاز [2]،وذكر الشيخ محمد بن علي الناصر، أن المقصود ليس مضر أحد أجداد النبي (ص) وإنما هو شخص اسمه (مضر) سكن البلدة قديماً فكانت النسبة إليه.

العوامية :

نسبة إلى العوام، وفي تاريخ المنطقة علمان بهذا الاسم أحدهما أبو الحسن بن العوام زعيم الأزد وأمير الزارة [3] والثاني العوام بن محمد بن يوسف الزجاج، ونرجح أن تكون منسوبة إلى الأول، وربما اتخذها ضاحية له لقربها من مدينة الزارة، وإن كان مؤلف كتاب (أنوار البدرين) يذهب إلى أن أول من عمرها وسكنها أبو البهلول العوام بن محمد بن يوسف الزجاج فنسبت إليه [4]، وهي تقع إلى الشمال من القديح على طريق صفوى وعلى

---

(١) نهاية الأرب للقلقشندي ص٤٢٢ ، وصبح الأعشى ص٩١ و٣٣٩، والعبر ج ٥ص٣٠٥

(٢) ساحل الذهب الاسود ص ٥٢ .

(٣) أنوار البدرين ص ٢٧٧ .

(٤) القطيف واحة على ضفاف الخليج ، ص ٤٥ ، وانظر أيضا ساحل الذهب الأسود ص ٢، وانظر كذلك كتاب : القطيف ص ٤٧,٤٨

بعد ٣ أميال من مدينة القطيف في الجهة الشمالية الغربية [١].

ويظهر أن هذه البلدة كانت إحدى ضواحي مدينة الزارة التي كانت حاضرة للمنطقة، والتي دمرها أبو سعيد الجنابي عام ٢٨٣ هـ حين استعصت عليه في بداية حركته فانتقل إليها مركز الثقل وعمّرت بعد تدمير تلك المدينة، ومازال هناك بالقرب منها حي بهذا الاسم في الناحية الجنوبية الشرقية عند مدخلها الجنوبي للقادم من القطيف، يدعى بفريق الزارة، ويعتقد أنه جزء من موقع الزارة التي اندثرت واختفت آثارها وطمرتها مزارع النخيل، إذ لم نجد لها ذكراً بعد ذلك في كتب التاريخ، ويقول صاحب كتاب (أنوار البدرين) إن مدينة الزارة بقيت خراباً، ثم صارت نخيلاً وأشجاراً تابعة للعوامية [٢] .

وتقع على الطريق الرئيس المؤدي إلى صفوى ووصفها لوريمر سنة ١٩٠٧ م، بأنها قرية مسورة، تتكون من ٣٠٠ منزل، على بعد ٣ أميال شمال غرب مدينة القطيف ويملك سكانها خمسة قوارب لصيد اللؤلؤ [٣]، أما الآن فقد اتسعت هذه المدينة وأصبحت مترامية الأطراف وامتد العمران إلى البساتين المجاورة دونما تخطيط، شأنها شأن القرى الأخرى في الواحة حتى تحولت إلى مدينة، وأصبحت تضم عدداً من الأحياء كالجميمة والزارة والكوع والبويب والمنيرة وغيرها .

وقد تبوأت هذه البلدة مكانة اجتماعية خاصة، ربما تكون ذات جذور عميقة، ترجع إلى أيام كانت فيها الزارة عاصمة لهذه المنطقة، وذلك باستمرار المصاهرة بين الأسر العريقة في كلتا البلدتين القطيف والعوامية، بالإضافة إلى أنها مربَعٌ لعدد من العلماء والأدباء [٤].

صَفْوى :

بفتح أوله وتسكين ثانيه بألف مقصورة ، وكانت في القرن السادس الهجري تنطق بألف

---

(١) المصدر السابق ص ٢٧٧ .

(٢) أنوارالبدرين في تاريخ علماء القطيف والأحساء والبحرين ،تأليف الشيخ علي البلادي.

(٣) دليل الخليج ،ج٥،ص١٨٨٠ .

(٤) القطيف واحة على ضفاف الخليج ص ٤٦

ممدودة (صفواء) كما جاء في شعر ابن المقرب ؛ إذ يقول :

والخطُّ من صَفْواءَ حَاذَوهَا فَمَا أبقَوا بِهَا شِبراً إلى الظَّهرَانِ
نَزَلُوا عَلَى صَفْوَاءِ صُبْحاً وابتَنَوا فِيهَا القِبَابَ وأيقَنُوا بأمَانِ

وفي عصر المسعودي (٣٤٥ هـ) كانت تعرف بصفوان ، وكان سكانها بني حفص بن عبد القيس [١]، ومن المحتمل أن يكون اسمها (الصفا) سابقاً وهو اسم تردد ذكره في الشعر العربي، ويعدُّ من أسماء المواقع في هذه المنطقة ، وقد تعرض اسم هذه البلدة للتغيير غير مرة في تاريخها .

وتقع مدينة صفوى إلى الشمال من مدينة القطيف على بعد ١٥ كم ويصلها بالواحة طريق معبد يمر بالعوامية ، تقع واحتها بمحاذاة الساحل شرقي المدينة ، وتفصلها عن سيحة العوامية من الجنوب سبخة واسعة ، تسمى « سبخة صفوى » [٢] وإلى الشمال منها تقع مقبرة جاوان الشهيرة التي تزخر بالآثار ، وهو موضع كان عامراً في يوم من الايام ولم تبق منه الا العين المسماة باسمه ، وتكثر فيه الهضبات الصخرية لذلك اتخذت منه أرامكو مقلعاً للصخور لردم البحر في أثناء عملية بناء مرفأ رأس تنوره ، فأطلق على هذا الموقع (مقلع جاوان) إلا أن الشركة نفسها عثرت في أثناء عملية إزاحة الصخور على مقبرة غريبة الشكل ، تتألف من طابقين مبنية من صخور الملح ومسيّعة بالجص ومنظرها الخارجي على شكل صليب، ولها ممر مسقوف ، على كل جانب منه عدد من الغرف،تحتوي كل غرفة على قبر ، وإلى جانبها عند المدخل قبور صغيرة يبدو أنها مخصصة للأطفال .

وقد عثر الباحث (فيدال) على مجموعة من الآثار فيها ، ترجع إلى العصر الهيليني والروماني الاول وقد سُلّمت مفاتيح هذا المدفن إلى إمارة المنطقة ، كما عثرت أرامكو عام ١٩٤٥ م في جاوان على حجر تكسرت أطرافه بالمعاول قبل معرفته ، وقد اتضح بأنه شاهدة

---

(١) التنبيه والإشراف ،ص٣٤٠

(٢) أظنها تسمى سبخة برستج الخيل .

قبر لامرأة ، يقال لها جشم بنت عمرت (عمرة) بن تحيو من أسرة عور (آل عور) [1] من قبيلة شذب ، ومن الملاحظ أن كتابة أحجار القبور التي عثر عليها في جاوان افتتحت بعبارة (نفس وقبر) ، بينما الكتابات الأخرى التي عثر عليها في ثاج [2] وقرب القطيف تبدأ بجملة (وكر وقبر) [3] .

وإلى الغرب من مدينة صفوى مرتفع يسمى حزم صفوى وقد امتلأ بالعمران في الوقت الحاضر، كما اتسعت مدينة صفوى من جميع الاتجاهات، فالتهم عمرانها وما جاورها من الاراضي الزراعية حتى أصبحت من المدن المهمة في واحة القطيف . وتقع عين داروش الشهيرة في وسط المدينة، ويقال إنها سميت باسم الملك دارا (داريوس ٥٢١- ٤٨٥ ق.م) حين نزل بصفوى وهي اقوى عين في واحة القطيف، فكانت تتفرع منها سبعة أنهر لا تقل في قوتها عن عين ام سبعة في الاحساء وتسقي معظم واحة صفوى التي تبلغ قرابة خمسين الف نخلة [4].

وقد وصفها لوريمر في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي بأنها قرية كبيرة مسورة تتكون من ٣٥٥ منزلا، على بعد ٨ أميال من مدينة القطيف، وهي آخر قرية في شمال الواحة وتقع في الطرف الغربي للمنطقة الزراعية [5] ، ويبدو من سياق وصفه أنها متصلة بسيحة العوامية ثم فصلتها رمال الصحراء، وربما كانت هناك عين تسقي هذه الرقعة ثم طمرتها الرمال، وأصبحت يباباً شانها شان المناطق الغربية من الواحة.

---

(١) القطيف واحة على ضفاف الخليج ص ٤٧ ، وساحل الذهب الاسود ص ٥٤ ، ٥٥ و ٥٦ . وانظر ايضاً كتاب: القطيف ص ٤٨ و ٤٩ و ٥٢ ويمكن الرجوع الى كتاب : صفوى تاريخ ورجال ، ط ١ ، س ١٩٩٢ م دار البيان العربي ، بيروت ، تاليف صالح بن محمد آل إبراهيم .

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام ج ١ ،ص ١٩٤، وايضاً ص ٢١٨ .

(٣) المعجم الجغرافي ج٢،ص٦٥٩ .

(٤) دليل الخليج ج ٥ ص ١٨٨٥ .

(٥) القطيف واحة على ضفاف الخليج ص٤٨

وقد انتعشت هذه البلدة منذ أن أنشيء الخط الذي يمر بها، والذي يصل بين الظهران ورأس تنورة فاكتسبت موقعا استراتيجياً لقربها من مصافي البترول فاتسع عمرانها وأصبحت من المدن المهمة في المنطقة، فأنشيء فيها مركز للإمارة والشرطة وبلدية ومحكمة ودائرة لكاتب العدل، وبموجب التقسيم الإداري أصبحت مركزا تتبعها ١٤ قرية، وقد بلغ عدد سكانها حسب إحصاء عام ١٣٩٠ هـ واحدا وعشرين ألف نسمة، وهي الآن أضعاف مضاعفة بعد أن استوطنت فيها بعض القبائل [١] .

وقد أنجبت هذه البلدة علماء وأدباء بارزين منهم: العلامة الشيخ محمد صالح الصفواني، قاضي الأوقاف والمواريث الأسبق، والكاتب الكبير الاستاذ سلمان الصفواني (١٨٩٩- ١٩٨٨ م) صاحب جريدة اليقظة العراقية .

جزيرة تاروت :

يُعدُّ هذا الاسم من الأسماء القديمة ، التي يعتقد بأنها فينيقية ، ويذهب بعض الباحثين إلى أن اسمها في الأصل عشتاروت حذف منه المقطع الأول ، وصارت تعرف بالمقطعين الأخيرين [٢] ، وتردد ذكرها في كتب المؤرخين الإغريق فسموها تيروس TARRUS أما بطليموس الجغرافي اليوناني فسماها تارو بحذف التاء الأخيرة TARO وهو قريب من لفظها الحالي .

وعشتاروت آلهة الخصب والجمال عند الساميين ، وهي أهم آلهة عند الفينيقيين ، وتماثل افروديت الإغريقية [٣] وقد اكتشفت لها تماثيل في الجزيرة وكان لها معبد ، أقيمت على أنقاضه القلعة في مدينة تاروت. وتعتبر هذه الجزيرة أقدم موقع للاستيطان البشري [٤] ،

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام .د.جواد على ،ج١ ،ص١٤١

(٢) الموسوعة العربية الميسرة ص١٧١٣ .

(٣) انظر THE ARCHAEOLOGY OF THE ARABIAN GULF, MICHAEL RICE,PP 16 ,219,220,221,224,&325

(٤) القطيف واحة على ضفاف الخليج ،ص٦٧وانظر أيضا : مقدمة عن الآثار في المملكة العربية السعودية ص٣٧ وانظر كذلك : منطقة الخليج العربي ص١٤٠ .

ولها تاريخ موغل في القدم فكانت موطناً للفينيقيين قبل نزوحهم إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط ، فقد نقل الأب مرتين اليسوعي في كتابه تاريخ لبنان عن بعض مؤرخي الإغريق بأن أهل هذه الجزيرة كانوا يباهون بأنهم هم الذين أسسوا صور وأرواد [1] ، ولا تخلو هذه الجزيرة من آثارهم ، فقد عثر منذ سنوات في أحد بساتينها ويدعى (الدّحكاني) وموقعه شرقاً من تاروت على تمثال من الذهب الخالص للإلهة عشتاروت ، لذلك حفلت بالآثار المهمة حيث يرجع بعضها الى عصر السلالات الأولى لبلاد ما بين النهرين ، أي قبل مدة تتراوح بين ٤٠٠٠ – ٥٠٠٠ سنة ، ويعود بعضها إلى فترات زمنية معاصرة للحضارة العيلامية الفارسية وحضارة الموهنجودارو على نهر السند وحضارة أم النار التي قامت بالمنطقة الجنوبية في الخليج العربي [2]، والتي تم اكتشاف بقاياها في أبو ظبي بوساطة البعثة الدانمركية سنة ١٩٦٦ م [3] ، كما عثر فيها على آثار تنتمي إلى حضارة العبيد وحضارة باربار [4]، ويوجد فيها الآن مواقع أثرية ومقابر قديمة تم اكتشافها مؤخرا وقد حظيت باهتمام البعثة الدانمركية فقامت بالمسح الأثري فيها، وبدأت بالتل العالي الواقع في الجانب الغربي من مدينة تاروت، وهو الموقع الذي قامت على أنقاضه قلعة البرتغاليين، التي أعاد بناءها الأتراك والتي مازالت معالمها بارزة حتى الآن.

لقد أسفرت هذه الأنقاض المتراكمة عن ثروة أثرية ثمينة، فوجدت تحتها بقايا هيكل عشتاروت، الذي يتكون من أحجار ضخمة منحوتة بحجم متر مكعب، مما يدل على ضخامة هذا الهيكل، كما اكتشفت البعثة الدانمركية أبنية تتكون من أربع طبقات سكنية تتألف جدرانها من كتل حجرية مربعة الشكل، وعثرت أيضا على بئر عميق من المياه

---

(١) القطيف واحة على ضفاف الخليج ص٤٩ ،وانظر الخليج ص٤٩ وانظر ايضا ساحل الذهب الزسود ص٥٥و٥٣و٥٤و ٥٥ وانظر ايضا كتاب : القطيف ص٥٣ ٥٤و٥٩و,٦٠,٦١

(٢) مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية ص٣٧.

(٣) منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثالث والرابع ق.م ص١٤٠ مقدمة عن الآثار في المملكة العربية السعودية ص٣٧.

(٤) منطقة الخليج العربي ص١٤٠ مقدمة عن الآثار في المملكة العربية السعودية ص٣٧.

العذبة، تنصرف مياهه إلى حوض كبير واسع من الأحجار الطبيعية، وعلى كسر فخارية منتشرة على سطح التل، وقد أظهرت دراسة الفخار بأن هذه الكسر تنتمي إلى حضارة باربار (قرابة ٣٠٠٠ ق . م)، كما دلت الحفائر في الطبقات السفلى على أن هذا الفخار الموجود فيها ينتمي إلى فترة مبكرة أقدم من عصر باربار، وقد اكتشفت في هذه الطبقات تركة أثرية مهمة،تمثل رؤوس سهام وكسر حجرية كالسكاكين والمكاشط و ٢٠٠ كسرة فخارية، تتميز بأنها من النوع الخفيف الأصفر المخضر، والمزينة بأشكال هندسية ذات لون بني غامق، وقد تبين من هذه الدراسة التي قامت بها البعثة بأن هذا الفخار ينتمي إلى عصر حضارة العبيد الأول (قرابة ٤٥٠٠ ق.م) [١].

ويرى جي بيبى أن الطبقات السفلى من هذا التل تضم حضارة العبيد، بينما تضم الطبقات العليا حضارة باربار، وبين هذه الطبقات يكمن الدليل على وجود التطور من المرحلة الأولى إلى المرحلة الأخيرة، وقد أدى اكتشاف فخار حضارة العبيد في موقع [٢] تاروت إلى المزيد من الحفائر والتنقيبات ، تم تسجيل خمسة عشر موقعاً ، تضم العديد من الكسر الفخارية الملونة ، ومن هذه المواقع موقعان يبعدان نحو ٤٠ ميلاً عن ساحل الخليج، بينما تقع أغلبية هذه المواقع على الأرض السبخة المحاذية للساحل الحالي ، وقد تم التوصل بالدراسة المقارنة إلى التشابه التام بين فخار حضارة العبيد والفخار الذي عثر عليه هنا، وشملت الدراسة أيضاً المقارنة بين المخلفات الأثرية المتمثلة في حجر الأوبيسدان والرحى الحجرية ورؤوس السهام والمخارز [٣] .

و في الجزيرة العديد من التلال الجيرية المغطاة بالطين والتي تأخذ شكل القمع، ويضم

---

(١) القطيف واحة على ضفاف الخليج ص٥٠ ويمكن الرجوع إلى كتابنا (من تاريخ جزيرة تاروت) ط١،س١٤١٠هـ الجبيل ،أو كتابنا (شعراء الموال في جزيرة تاروت) ط١ س١٩٨٨ م الجبيل ،ففيهما شروحات وافية عن ذلك.

(٢) منطقة الخليج العربي ص١٤٠.

(٣) المرجع السابق في نفس الصفحة.

التل حجرة الدفن ، وسقفها يتألف من كتل من الحجر الجيري وتقع هذه التلال في الجنوب الشرقي من الجزيرة على مقربة من ميناء دارين ، فقد عثر على مقابر يحيط باضرحتها ملاط من الجبس ، وتتناثر حولها وعلى الأرض العديد من الكسر الحجرية من الألباشير والاستيتايت [١] .

واهم المعالم الأثرية البارزة فيها قلعتان اثريتان إحداهما في مدينة تاروت ، وقد بنيت على انقاض هيكل عشتاروت بجوار عين الحمام ، والثانية في دارين في الجنوب الشرقي من الجزيرة على الساحل مباشرة ، وتعرف بقلعة محمد بن عبد الوهاب الفيحاني وهي قلعة تم بناؤها عام ١٣٠٢ هـ [٢].

ومرفأ دارين نفسه الذي يتمتع بشهرة تاريخية منذ القدم ، والذي كان من أهم الموانئ التجارية في الخليج يضم ثروة دفينة ، وتوجد على مقربة منه أكمات بدائية شاذة التكوين ، يقول عنها الأهالي إنها كانت بقايا مدافن ، وقد امتد العمران في الوقت الحاضر ، حتى قيل : إن بلدة دارين الحديثة تستقر على أربع طبقات من المدن بعضها فوق بعض [٣] .

وتردد ذكر هذه الجزيرة في كتب جغرافيي العرب ، فوصفها أبو الفداء في القرن الثامن الهجري بأنها بليدة في الشرق من القطيف تبعد عنها نصف مرحلة، ينحسر البحر ما بينها وبين القطيف في حالة الجزر وتصبح جزيرة في حالة المد، وفيها كروم تنتج العنب المفضل[٤]، ولعل ذلك راجع إلى خصوبة تربتها المتميزة من أراضي الواحة، وتقع الأراضي الزراعية في الجهة الغربية والشمالية منها، وكان بها من النخيل قديما قرابة مئة الف نخلة، لم

---

(١) واحة على ضفاف الخليج ص٥١ ..

(٢) من كبار تجار اللؤلؤ في زمنه وقد منح هو، والحاج منصور بن جمعة رتبة الباشوية في عهد الأتراك .وقد نزح من قطر واستوطن دارين وبنى هذه القلعة سنة ١٣٠٢ هـ ، وانظر بحثنا المنشور في جريدة اليوم في عددها رقم ٤٠٦٨ على الصفحة ١٣ في يوم الاحد ٢٨ رجب ١٤٠٤ هـ بعنوان :الشيخ محمد الفيحاني (١٢٦٠ — ١٣٢٤ هـ) .

(٣) واحة على ضفاف الخليج ص٥١ .

(٤) تقويم البلدان،ص٧٠ .

يبق منها في الوقت الحاضر سوى ستين ألف نخلة وهي في تناقص مستمر، وتروى كلها سابقا من مصدرين، هما: عين الحمام الواقعة في الطرف الشمالي الغربي من قلعة تاروت، وعين الفرسان الواقعة على مسافة نصف ميل منها، ومياههما عذبة ساخنة، تزودان سكان الجزيرة بمياه الشرب كما يقول لوريمر [١] وقد انتابهما الضعف في الآونة الأخيرة، فعوض نقص الري بالآبار الأرتوازية، وبسبب حفر هذه الآبار انتشرت الزراعة في الجهة الشرقية من الجزيرة.

وتقع جزيرة تاروت في قلب خليج القطيف أو خليج كيبوس، أو المسمى حديثا بخليج تاروت، على بعد ٦ كم من مدينة القطيف إلى الشرق، وتبلغ مساحتها ٦ كم من الجنوب إلى الشمال ومثلها من الغرب إلى الشرق، وكانت في سالف عهدها جزيرة يحيط بها البحر من كل جانب، أما في حالة الجزر فينحسر الماء في الجهة الغربية منها، وتستعمل وسائل المواصلات البرية بينها وبين القطيف إلا من خور قليل العمق يسمى «المقطع» لا يتجاوز عمقه مترا واحدا. أما في حالة المد فلا سبيل إليها إلا باستخدام السفن [٢].

وتتخلل سواحلها بعض الخلجان والرؤوس الصغيرة، وينحسر البحر عن شواطئها في حالة الجزر، باستثناء الطرف الجنوبي منها، فهو رأس داخل في البحر، والذي يقع فيه مرفأ دارين، أشهر مرافئ شبه الجزيرة العربية، فهو الميناء الوحيد الصالح لرسو السفن في حالتي المد والجزر، وقد اشتهر هذا المرفأ منذ القدم، فقد مر عليه أحد قادة الإسكندر المقدوني عند عودته من الهند، بعد أن زار مدينة فينيقيا على الساحل الغربي من الخليج في أثناء جولته الاستطلاعية، وتقول الرواية: إنه عرج على جزيرة نيرين ويعتقد أنها دارين، كما حظي هذا المرفأ بشهرة واسعة في التاريخ العربي منذ العصر الجاهلي.

---

(١) دليل الخليج، ج٧، ص ٢٤٤٥، وأيضاً: القطيف واحة على ضفاف الخليج ٥٢.

(٢) المعجم الجغرافي ج٢، ص٢٠٥ و٢٠٩.

دارين :

وصفها ياقوت بأنها فرضة يجلب إليها المسك من الهند ، والنسبة إليها داري .

قال الفرزدق :

كــأنَّ تريكةً من مــاء مُــزنٍ وداريّ الــذّكـيّ مـن المُــدام

وجاء في القاموس المحيط، داري : العطر المنسوب إلى دارين فرضة بالبحرين بها سوق يحمل إليها المسك من الهند ، ويعتبر اسمها من الأسماء القديمة كتاروت وسيهات، وقد حاول بعض الباحثين ان يتأوّل معناها فزعم انها جمع سالم لدار وانها ترفع بالألف وتنصب وتجر بالياء ، أو ان المقطع الأخير (ين) الحقت بها كأداة تعريف في اللغة الحميرية (أي الدار) كما فعلوا في تأويل لفظ البحرين [1] ،أو ان معناها باللغة الفارسية (عتيق) حسب ما روى الأصمعي ان كسرى سال، من بنى هذه القرية؟ فأجابوه : دارين أي قديم .

وقد تمتعت دارين بشهرة فائقة في العصور الخالية ، فكانت محط أنظار طلاب الثروة، وقد عاشت فترة رخاء وازدهار كبيرين ، إذ كانت السفن ترد إليها من الهند محملة بالتوابل والمنسوجات والسيوف الهندية والمسك والبخور والأحجار الكريمة والعاج والخشب الفاخر النادر ، ومن الصين محملة بالحرير والمنسوجات الحريرية والخضراوات ، ومن بلاد العرب الجنوبية محملة بالمر واللبان والأفاويه والبرود اليمانية والعاج الوارد إليها من سواحل افريقيا الشرقية ، ثم تعيد تصديرها الى جميع انحاء العالم ، ومنها كان أهل البادية وسكان أواسط شبه الجزيرة العربية يفدون إليها ، فيبتاعون معظم حاجاتهم فتمر قوافلهم عبر الدهناء في طريقها إلى الأحساء [2] ثم تعبر الجزيرة عبر المياه الضحلة إلى القطيف وفي ذلك يقول اعشى همدان :

يمرُّون بالدهناء خفافاً عيابُهم ويخرجْن من دارين بُجْرُ الحقائبِ

---

(١) القطيف واحة على ضفاف الخليج ص٥٣ .

(٢) يمكن الرجوع إلى كتابنا : دارين المسك والشعر واللؤلؤ ،ط١ ،س١٩٨٨م الجبيل .

عَلَى حينِ ألهَى الناسَ جلُّ أمورِهِم فَندلاً زُرَيقَ المالِ نَدلَ الثَّعالبِ

وهي دارين إحدى مدن جزيرة تاروت الأربع ، التي ذكرها لوريمر فوصفها سنة ١٩٠٧م بأنها :قرية محمية بقلعة مربعة تتكون من مئة منزل للسادة ، ومعظم سكانها من بني خالد، مع قليل من الجنيدات، وليس بها حدائق ولا زراعات ويملك السكان ١٥ قاربا لصيد اللؤلؤ، كما أن قرية تاروت مسورة تتكون من ٣٥٠ منزلا وهي أكثر كثافة سكانية من بقية القرى، وتقع في وسط الجزيرة، وكثير من منازلها خارج السور، ويزرع فيها النخيل بكثرة وأشجار الفاكهة، ويعمل أهلها في الغوص لاستخراج اللؤلؤ وتجارته وبعضهم يعمل في الزراعة، وتأتي بعدها قرية السنابس الواقعة على الساحل الشرقي، وتتكون من مئتي منزل غير مسورة وليس بها بساتين نخيل ويعمل أهلها بصيد اللؤلؤ والسمك، و فيها ٦٨ قاربا لصيد اللؤلؤ. أما القرية الرابعة فهي الزور وتسمى (فنية) وتقع على الساحل الشمالي للجزيرة، وتتكون من ٤٠ منزلا، وبها بعض الحدائق التي تروى من عين تاروت، وسكانها من مهاجري أبو ظبي، من قبيلتي بوفلاسه وبني ياس، يعملون بصيد اللؤلؤ ولديهم ٧ قوارب كما أن مجموع سكان الجزيرة في عهد لوريمر حدود سنة ١٩٠٧م كما يقول لا يزيد على أربعة آلاف نسمة [1] .

أما في الوقت الحاضر فقد تغيرت تلك المعالم القديمة للجزيرة، إذ دفن البحر من الجهة الغربية لمدينة القطيف، فاتصلت بها وأصبحت تلك الأراضي التي يغمرها البحر سابقا مناطق سكنية، فقامت في الغرب مدينة الدخل المحدود، ومناطق في طريقها إلى العمران، كالمنطقة التركية والمنيرة والمزروع والناصرة، حتى انتفت صفة الجزيرة عنها، وتحولت إلى شبة جزيرة، لاتصالها بالبر من الجهة الغربية، ويربطها الآن بمدينة القطيف شارع معبد منور بالكهرباء ذو اتجاهين، يسمى شارع (أحد)، وعند مدخلها مصانع الألمونيوم والحدادة والطابوق وورش إصلاح السيارات كما ترتبط قراها بشوارع معبدة، فيشق وسطها شارع

---

(١) دليل الخليج ج٧ص٢٤٤٦-٢٤٤٧

رئيسي يمر بمدينة تاروت حيث السوق التجاري، ويجتازها، إلى الربيعية [١] وهي مدينة حديثة، ثم يصل إلى السنابس، وبعدها ينعطف الى الجنوب، وينتهي إلى دارين، كما يوجد شارع من الغرب يربط دارين بتاروت وآخر بالسنابس والزور، ويتجه غربا، ويلتقي بالشارع العام بالقرب من مدخل الجزيرة، وتبعاً لنمو السكان وانتشار حركة العمران، فقد زحفت المباني في بلدة تاروت على البساتين المجاورة فتكونت أحياء جديدة، كالخارجية والدشة والأطرش والحوامي والوقف وأرض الجبل، كذلك الأمر في السنابس ودارين والربيعية.

وتعدّ تاروت من المراكز العلمية والثقافية في القطيف منذ القدم فقد أنجبت بيوتاً علمية كآل سيف وآل معتوق وآل الصفار ، وظهر فيها فقهاء مجتهدون أمثال الشيخ عبد الله المعتوق وشعراء مبرزون أمثال عبد المحسن التاروتي وحسن التاروتي ومحسن آل مرهون المعروف بالملهوف التاروتي وغيرهم من العلماء الأعلام .

الآجام :

الآجام جمع أجمة، وهي منبت القصب الملتف، أو أصلها الأوجام كما ينطقها الآن أهاليها ، وهي جمع الوجم (بتسكين الجيم أو تحريكها) ومعناها كما يقول صاحب القاموس حجارة مركومة على الآكام . أو أبنية يهتدى بها في الصحارى ، وهذا المعنى يناسب وضعها الحالي ، إذ تحف بها الصحراء من كل جانب ، ولعل لاسمها صلة بالآجاميين الذين رحلوا مع سليمان القرمطي عند رجوعه من هيت سنة ٣١٧ هـ فانتظموا في جيشه ، وعرفوا بالآجاميين وكانوا قبلاً من سكان الآجام والطفوف من أعمال الكوفة ، كما يذكر المسعودي [٢].

---

(١) نسبة إلى ملا حسن بن ربيع الذي نزح إليها من القديح واستوطنها فنسبت إليه وتعد الآن ضاحية كبيرة من ضواحي مدينة سنابس التاريخية.

(٢) القطيف واحة على ضفاف الخليج ص٥٥ وساحل الذهب الأسود ص٥٦ وانظر أيضاً كتاب : القطيف ص٦٤.

وتقع الآجام في الصحراء في الجهة الغربية من الواحة ، على بعد ٩ كم من مدينة القطيف، وإلى الشرق من هذه القرية منخفض من الأرض ، تصب فيه فضلات مياه الأراضي الزراعية ، على غرار بحيرة الأصفر في الأحساء ، وينبت فيه الحلفاء والقصب، ولعل لاسمها صلة بهذا الموقع ، كما يوجد بها مزار ينسب لأحد الأنبياء، والقرية كانت مسورة – كما وصفها لوريمر تتكون من ٥٠ منزلاً من الحجر والطين[١]. وتقع في وسط المنطقة الزراعية التي تغلب عليها زراعة النخيل [٢] .

أم الساهك :

الساهك – لغة – الرمد وحكة العين ، وربما سميت بهذا الاسم لوقوعها في أرض رملية، تثير أتربتها الرياح الساهكة أي العواصف فتسبب الرمد وحكة العين ، وتقع هذه القرية إلى الغرب الشمالي من صفوى على بعد ٣ كم منها وكانت منعزلة في الصحراء ، أما الآن فقد أوشكت أن تختلط بمدينة صفوى .ذكرها لوريمر فوصفها بأنها قرية تتكون من ٦٠ منزلاً ، وتقع في منطقة زراعية . [٣]

أبو معن :

قرية تقع إلى الشمال من أم الساهك على مقربة منها في سبخة الرّياس وهي منطقة يسكنها خليط من القبائل .

الدريدي :

نسبة الى دريد وهو من أسماء الأعلام العربية ، قرية ذات نخل تقع على مقربة من أم الساهك إلى الجنوب وتبعد عن صفوى قرابة ١٠ كم ، واقعة في حزم ، أي مكان مرتفع

---

(١) دليل الخليج ج ٥،ص١٨٨٣ .

(٢) دليل الخليج السابق ج٥ص١٨٨٥ وساحل الذهب الأسود ص٥٦و٥٧ .

(٣) المعجم الجغرافي ج٢ص٤٨٦ .

فتسمى أحياناً حزم الدريدي [١]، ذكرها لوريمر فعدها من مياه واحة القطيف .

النابية :

وتسمى القاسمة، وتقع جنوب غرب القطيف وتبعد عنها نحو ١٥ كم[٢] وهي قرية صغيرة تسكنها بعض قبائل البادية ، تقع على أكمة عالية وهي بالقرب من طريق الظهران – الجبيل السريع وغرباً من سيهات مباشرة .

شَعَاب :

بفتح أوله وثانيه قرية ذات نخل من قرى القطيف تقع في الجنوب من رأس القليعة وشمال جاوان وصفوى [٣] .

وهناك واحات أخرى صغيرة أو مراكز قليلة الأهمية من بقايا الواحات التي كانت تزخر بها صحارى البيضاء كالرويحة والفاقعة والعبا والعلا منتشرة في الصحارى المجاورة، وتابعة إدارياً لمنطقة القطيف .

وقد جاء في بيان مصلحة الإحصاءات العامة في وزارة المالية والاقتصاد الوطني لتقسيم الإمارات في المنطقة الشرقية الصادر عام ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) بأن للقطيف ١٩ قرية و٩ موارد ولصفوى ١٤ قرية ولسيهات ٣ قرى. وهذا العدد من القرى يشمل جميع الضواحي والقرى التابعة لكل مدينة، حسب تقسيم مراكز الإمارات في ذلك الحين.

ومن الملاحظ أن جميع قرى القطيف قديما تقوم على أراضٍ صخرية، ولعل هذه المواقع اختيرت للسكن لتكون بمنأى عن رطوبة الواحة، لاسيما في فصل الشتاء، كما أنها كانت محاطة بأسوار ذات أبراج على شاكلة قلعة القطيف، لتكون مراكز دفاعية للسكان، تحميهم

---

(١) المعجم نفسه ج٤، ص١٣٨٧.

(٢) القطيف واحة على ضفاف الخليج ص٥٦.

(٣) المرجع السابق، ص٥٧.

من سطو البدو وغاراتهم المتتالية في الأيام الغابرة، أما الآن فقد أهمل شأنها؛ في سائر ربوعها كما هو الشأن في سائر أنحاء المملكة، فانمحت معالمها وتخطاها العمران.

كما يشاهد في السنوات الأخيرة أيضا ازدهار الحركة العمرانية في مدينة القطيف وضواحيها على السواء، فضاقت مساحتها القديمة المحاطة بالأسوار عن استيعاب هذه الحركة العمرانية فأخذت المباني المساحات المجاورة والبساتين القريبة والمناطق البحرية، فقامت أحياء سكنية جديدة، تزخر بالمساكن الحديثة والأبنية المسلحة، وكان لمشروع صندوق التنمية العقاري في منح القروض الطويلة الأجل أعظم زخم في انتشار الحركة العمرانية وانبثاق الأحياء السكنية الجديدة .

ولوزارة المواصلات في فتح الطرق وتبليطها وتعبيدها وبالإسفلت وربط القرى بالمدن أكبر دور في تسهيل المواصلات وتحديث المنطقة، ولا ننسى دور وزارة الشؤون البلدية والقروية في العناية بتجميل المدن وتبليط الشوارع الداخلية وتنويرها، لقد تغير بالفعل الوجه المعماري لهذا البلد القديم بعد أن دخلت الكهرباء في كل مدينة وقرية، وكذلك الخطوط الهاتفية، وبعد أن قام مشروع هندسة المجاري ليشمل المدن والقرى. وكل ذلك من جملة المشاريع الحيوية التي جعلت البلاد تخطو خطوات نحو التقدم والازدهار [١].

---

(١) القطيف واحة على ضفاف الخليج ص٥٧.

الباب الثاني

التاريخ الإسلامي (الموجز) للقطيف

من صدر الإسلام حتى مجيء البرتغاليين

من سنة ١ - ٩٢٧ هجرية / ٦٢٢ - ١٥٢١ ميلادية



الدخول في الإسلام :

تتميز القطيف من غيرها بموقعها الاستراتيجي المهم وبذا تُعدُّ ملتقى لكثير من الحضارات والأديان حيث أنها تتمتع بهذا الموقع الذي تمر به أجناس تحمل أفكاراً متنوعةمن مختلف الأديان والثقافات المتشعبة ، فقد نشط فيها الفكر المتحرر نتيجة الاحتكاك والتأثر بما يرتاده التجار عند مرورهم بالقطيف فكانت بذلك مركزاً اقتصادياً مهماً لمختلف البضائع الواردة إليها والمارة من خلالها في طريقها مى بلاد الشرق وإليها . ولابد أنها كانت أيضاً ذات مستوى اقتصادي عالمي؛ لما تكتسبه من واردات، أثر ذلك المستوى المتمكن إيجابيا في تطور الشعور والنضج الفكري لأهالي المنطقة بصورة عامة [1] .



(١) ساحل الذهب الأسود ، ص١١٨

ويشير المؤرخ محمد سعيد المسلم عن تاريخ دخول الإسلام إلى القطيف (الخط) قديما بقوله :

إن المتتبع للحياة الفكرية والاجتماعية فيها قبيل الإسلام يدرك أنها قد بلغت درجة كبيرة من النضج العقلي، فقد كانت ملتقى لكثير من الديانات التي وفدت إليها من جميع الأجناس بحكم مركزها الاقتصادي وموقعها الاستراتيجي بما فيها النصرانية واليهودية والمجوسية وغيرها، فعرفت ألواناً من النشاط الفكري، وكل هذه خلقت فيهم شبه استعداد نفسي لاستقبال أمر جديد، وهيأت فيها الشعور لتقبل دين التوحيد، فقد حدثنا المسعودي بأن رباب السبتي وبحيرا الراهب وهما من بني عبد القيس كانا ممن عرف التوحيد وأقر بالخالق وصدق بالبعث والنشور، ودعا إلى الله ونبّه أقوامه على آياته قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وذكر الحافظ بن حجر العسقلاني في (الإصابة) أن المنذر بن عائذ الملقب بالأشج كان صديقا لراهب ينزل بدارين [1] وكان يلقاه كل عام، فلقيه ذات عام بالزارة، وأخبره بأن نبيا يخرج بمكة يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه علامة يظهر على الأديان، ثم مات الراهب فلما سمع الأشج بمبعث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعث ابن أخته وزوج ابنته عمرو بن عبد القيس، وبعث معه تمرا وملاحف، وضم إليه دليلا يقال له الأريقط، فأتى مكة عام الهجرة، فلقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم و رأى العلامات فأسلم، ثم رجع وأخبر خاله، فأسلم هو الآخر، وكتما إسلامهما حينا من الزمن.

ويحدثنا المؤرخون أن هذه المنطقة قبل دخول الإسلام فيها كان بها خلق كثير من عبد القيس وبكر بن وائل وتميم وكانوا مقيمين في باديتها، وكان عليها المنذر بن ساوى العبدي والياً من قِبَلِ الفرس، فلما كان العام السادس للهجرة وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) للمزيد من المعلومات حول المسيحية في منطقة القطيف قبل مجيء الإسلام يرجى مراجعة كتاب (تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي) تأليف د. سامي سعيد الأحمد، ط ١٩٨٥ م، الصفحات: ٣٩٢ حتى ٤٠٧.

العلاء بن الحضرمي حليف بني عبد شمس ومعه كتاب إلى المنذر بن ساوى هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإن من صلى صلاتنا ونسك نسكنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذاك المسلم ، له ما لنا وعليه ما علينا، له ذمة الله ورسوله من أحب ذلك من المجوس فهو آمن، ومن أبى فعليه الجزية [1].

الوفادة على الرسول (ص):

وفد على الرسول صلوات الله وسلامه عليه في السنة السابعة للهجرة نفر من عبد القيس يرأسهم المنذر بن عائذ وقد أخبرهم الرسول (ص) في صباح الليلة التي وصلوا فيها بما جاء به من عند الله ، والوافدون هم كما تذكرهم أغلب المصادر:

١ــ عبد الله بن عوف الأشج.

٢ــ الجارود بن عمرو بن حنش بن المعلى من بني أنمار ويعرف بالجارود بن بشر المعلى.[2]

٣ــ صحار بن عباس من بني مرة بن ظفر (العبدي).

٤ــ سفيان بن خولي من وديعة.

٥ــ محارب بن مزيدة بن مالك بن معاوية.

٦ــ حارثة بن جابر.

٧ــ الزارع بن الوازع.

٨ــ أبان العبدي.

٩ــ جابر بن عبد الله العبدي.

١٠ــ منقذ بن حيان العبدي (ابن أخت الأشج).

---

(١) ساحل الذهب الأسود ، الصفحتان ١١٨ و ١١٩ .

(٢) وتنسب له بلدة الجارودية في القطيف فيها جبل (برّاق).

١١- عمرو بن المرجوم (واسم المرجوم عبد قيس من بني عصر) .

١٢ - شهاب المتروك (عباد) بن عبيد من بني عصر ويعرف بشهاب بن عبد الله .

١٣- عمرو بن عبد القيس من بني عامر بن عمر (ابن أخت الاشج) .

١٤- طريف بن أبان من جديلة بن أسد بن ربيعة .

١٥- عمرو بن شعيث من بني عصر.

١٦- جابر بن جابر من بني عصر.

١٧- همام بن ربيعة من بني عصر.

١٨- عامر بن عبد قيس أخو عمرو بن عبد قيس من بني عامر بن عمرو وهو الذي بعثه الأشج ليعلم رسول الله (ﷺ) ويعرف عامر بن الحارث .

١٩- عقبة بن جروة من بني صباح بن لكيز.

٢٠- مطر أخو عقبة من أمه من عنزة (مطر العنبري) .

٢١- سفيان بن همام من بني ظفر بن محارب من لكيز.

٢٢- عمرو بن سفيان بن همام (ابن سابق الذكر) .

٢٣- الحارث بن جندب من بني عائش بن عوف بن الديل .

٢٤- همام بن معاوية بن شبابة بن عامر بن حطمة من عبد القيس [1] .

٢٥ خزيمة بن عمرو .

٢٦- مرشد بن مالك .

٢٧- عبيدة بن همام .

٢٨- محارب بن مزيدة .

٢٩- جابر بن همام .

---

(١) ذكرهم ابن سعد في طبقاته ج ١ ، ص ٥٥٧ ، وذكر كثيراً من اخبارهم ، وذكرهم المسلم في ساحل الذهب الأسود في الهامش ص ١٢١ و ١٢٢ بإيجاز شديد وعددهم ٢٥ فقط، وانظرهم أيضا في تحفة المستفيد ج ١ ص ٦١ وقد نقل عنه الغريب في منطقة الأحساء عبر أطوار التاريخ ، ص ٨٩ و ٩٠ و ٩١ .

حادثة الردة:

بقي المنذر بن ساوى أميرا على البحرين حتى وفاة الرسول ﷺ ، وقد مات بعده بفترة وجيزة، وقيل: إنَّ موته حدث أثناء مرض الرسول (ص) الذي توفي فيه، وقد كان لموته ولوفاة الرسول (ﷺ) أبلغ الأثر في النفوس، فوفاتهما في وقت متقارب كانت بمثابة هزة عنيفة لا تقل عن الهزة التي حدثت في المدينة بعد وفاة الرسول (ﷺ)، وقد اغتنم هذه الفرصة أولئك الذين لم يدخل الإيمان في قلوبهم، فانطلقت أيديهم العابثة تستغوي الفئات التي تأثرت بهذا الحادث المروّع.

وقد أطلق المؤرخون على هذا الحدث صفة (الردة) على نحو من الشمول، فقد ذكروا أن أهل البحرين ارتدوا عن دين الإسلام بعد وفاة الرسول (ﷺ)، وذكروا أن الجارود العبدي قام واعظاً في بني عبد القيس يذكّرهم بمصير من سبق محمداً من الأنبياء، فقال (يا قوم الستم تعلمون ما أنا عليه من النصرانية، وإني لم آتكم قط إلا خيراً وأن الله بعث نبيه محمداً ونعى إليه نفسه فقال (إِنَّكَ مَيِّتٌ وإِنَّهُم مَّيِّتونَ)[1] وقال (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَد خَلَتْ مِن قَبلِه الرسل، أَفإِنْ مَاتَ أو قُتِل انقلبتم على أَعْقَابِكُمْ، وَمَنْ يَنْقلِبْ عَلَى عَقِبَيهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّهَ شَيئاً، وَسَيجْزِي اللّهُ الشَّاكِرينَ)[2] (ثم أردف قائلاً ما شهادتكم أيها الناس على موسى؟ قالوا نشهد أنه رسول الله، قال ما شهادتكم على عيسى؟ قالوا نشهد أنه رسول الله، قال وأنا أشهد أن محمداً رسول الله عاش كما عاشوا، ومات كما ماتوا، وأتحمل شهادة من لم يشهد، فكان أن ثبت بنو عبد القيس على إسلامهم، أما بنو بكر بن وائل فبقوا على ردتهم، وقد تزعم الحطم بن ضبيعة حركة الردة، وانضم إليه كثير من القبائل، فاستغوى الخط ومن بها من الزط والسيابجة، وأرسل إلى الغرور بن سويد أخ النعمان بن المنذر ملك الحيرة سابقاً، فمناه بتنصيبه ملكاً على عرش البحرين.

ثم زحف الحطم بجيوشه ونزل بين هجر والقطيف، وبعث فرقة من قواته إلى دارين

---

(١) الزمر ٣٩/٣٠ .

(٢) آل عمران ٣/١٤٤.

فاحتلها، وفرقة أخرى إلى جواثا فطوقتها، وشدد عليها الحصار حتى كاد أن يهلك من بها من الجوع، فكتب المسلمون رسالة إلى الخليفة أبي بكر الصديق يستنجدونه وضمنوها أبيات حماسية لعبد الله بن حذف:

ألا أبلغْ أبَا بَكْرٍ رُسولاً	فتيانَ المدينةِ أجمَعينَا
فَهَل لكُمُ إلى قَومٍ كرامٍ	قُعودٍ في جواثَ[1] محاصَرينا
كَأنَّ دمَاءَهم في كُلِّ فجٍّ	شُعَاعُ الشَّمسِ يُغشي النَّاظِرينَا
تَوكَّلنا عَلَى الرحمنِ إنَّا	وَجَدنا النَّصرَ للمُتوكِّلينَا

وحينما تلقى رسالتهم بعث إليهم بنجدة من المدينة بقيادة العلاء بن الحضرمي وقد انضم إليهم في أثناء مروره على اليمامة ثمامة بن أثال فيمن تبعه من بني حنيفة بعد مقتل مسيلمة الكذاب ورجوعهم إلى حاضرة الإسلام، ولحق بهم كذلك قيس بن عاصم المنقري التميمي فيمن تبعه من بني تيم الرباب، فلما وصل العلاء بن الحضرمي إلى هجر، بعث إلى الجارود العبدي، وأمره بأن يتولى قيادة بني عبد القيس، ويرابط في المناطق الساحلية، وأن ينازل جيوش الحطم في الجبهة الشرقية.

ويقول المؤرخ محمد سعيد المسلم :

أما العلاء فقد سار بمن معه حتى نزل بالقرب من هجر فنازل جيوش الحطم في الجبهة الغربية، وقد خندق الجانبان المتحاربان وظلت بينهما الحرب سجالاً قرابة شهر يشتبكان في القتال نهارا، ويرجعان إلى خنادقهما ليلاً، ففي ذات ليلة انبعثت ضوضاء من معسكر الحطم أحس بها المسلمون، فتطوع عبد الله ابن حذف الشاعر المعروف، بأن يقوم بمهمة الاستطلاع عنها، فنفذ إلى معسكر الحطم، واكتشف نقطة الضعف فيهم فعلم بأن قافلة تحمل خمرا نزلت عندهم تلك الليلة فشربوا حتى سكروا، فاغتنم المسلمون هذه الفرصة الذهبية

---

(١) جواثى : مدينة في الاحساء اقيم فيها ثاني جمعة في الإسلام لم يبق منها اليوم سوى مسجد قديم يعرف بمسجد جواثى(جواثا) .

فباغتوهم بهجوم عنيف، وانقضوا على معسكرهم ومزقوهم شر ممزق، وقتلوا قائدهم الحطم، واستولوا على أسلحتهم وذخيرتهم [١].

أما المؤرخ عبد الله الشباط فيذكر لنا هذه الواقعة فيقول:[٢]

اجتمعت ثلاثة عوامل، كل منها يتمم الآخر ويستعمله وسيلة لبلوغ هدفه.. فإذا بأهل الأحساء يباغتون بالهجوم من الخارج بقيادة الحطم بن ضبيعة من جهة وبقيادة الغرور بن سويد من جهة أخرى كما يباغتون بالخيانة من الداخل فلا يجدون سوى الاعتصام في جواثا حيث يحيط بها المرتدون من كل جانب.

يحدث الحصار وتحدث الخيانة وهم باقون على دينهم لا يتزعزعون والجارود بينهم يعظهم ويذكرهم بالقرآن وأن وفاة رسول الله (ص) أمر محتوم على كل البشر ويحثهم على الصبر والمرابطة، ويستنجد المسلمون بخليفة الرسول (ﷺ) أبي بكر الذي لا يتوانى عن نجدتهم بقوات من المدينة تحت قيادة العلاء بن الحضرمي، وينضم إليه في طريقه إلى هجر ثمامة بن آثال فيمن تبعه من بني حنيفة بعد مقتل مسيلمة ورجوعهم إلى الإسلام [٣]، وكذلك قيس بن عاصم المنقري فيمن تبعه من قبائل تيم الرباب حتى اجتمع له اثنا عشر ألفا من المجاهدين، وما إن وصل إلى هجر حتى بعث إلى الجارود وأمره بالخروج مع قبائل عبد القيس للمرابطة على الساحل ومنازلة جيوش الحطم [٤].

وما إن خرج الجارود ومن تبعه من عبد القيس حتى ثار المشركون وأتباعهم وسيطروا على مدينة جواثا لمدة شهر كامل، والعلاء مقيم على حصارهم وينازل قوات الحطم بن ضبيعة حتى هزمها وقتل الحطم فوق قواته وأسر الغرور بن سويد وكان ذلك سنة ١٢ هـ[٥] في حين أضاف (المسلم): وصالحه أهلها على ثلث أموال المدينة.

---

(١) ساحل الذهب الأسود، ص ١٢٤ و ١٢٥.

(٢) صفحات من تاريخ الأحساء ص٢٠١.

(٣) الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٤٤٩.

(٤) ساحل الذهب الأسود، ص ١٠٥.

(٥) تحفة المستفيد ج ١، ص ٧.

ويرى الأديب المؤرخ عبد الله الشباط أن أهل هجر خاصة عبد القيس لم يشتركوا في الردة لعدة أسباب :

أولها : أن هذه المنطقة كانت ملتقى للأديان اليهودية والنصرانية والمجوسية بحكم موقعها الجغرافي واختلاط أهلها بمجاوريهم، حتى تكونت لديهم معرفة بالأديان واقتناعهم بما اقتنع به بحيرا الراهب [1] .

ثانيها : أنهم لم يجدوا في الإسلام شيئاً من مظاهر التسلط والتحكم في الأرواح والممتلكات واستغلال النفوذ، كما لم يجدوا تلك الرهبانية التي شاهدوها في بعض الأديان مما تنقطع معها مصالحهم الدنيوية .

ثالثها : أنهم دخلوا الإسلام طائعين مختارين عن قناعة وفهم تامين، بل كانوا هم السباقين إلى الوفادة إلى رسول الله (ﷺ) لأخذ تعاليم الدين منه دون إكراه أو حرب .

لهذه الأسباب كانت الردة بعيدة عن عقيدتهم الراسخة وإيمانهم العميق. ويشير المسلم[2] إلى أن الجيش توجّه أخيراً إلى القطيف وعبر البحر إلى جزيرة تاروت لاحتلال دارين، وهناك حدثت معركة عنيفة انهزم فيها المشركون ووضع المسلمون السيف في رقابهم حتى كادوا يفنوهم عن بكرة أبيهم، وغنموا أموالهم وأسلحتهم وعتادهم، ثم واصل العلاء زحفه على مدينة السابون، ففتحها عنوة، ثم مدينة الغابة فاحتلها وقتل من فيها من العجم.[3]

أما مدينة الزارة فقد تحصن بها المعكبر الفارسي الذي كان يحلم على إثر حادثة الردة باستعادة مجده الداثر، وقد أعلن التمرد والعصيان، وانضم إليه مجوس هجر والقطيف

---

(١) صفحات من تاريخ الأحساء ، ص ٢٠٢ و ٢٠٣ .

(٢) ساحل الذهب الأسود ، ص ١٢٧ .

(٣) (السابون) و(الغابة) من المدن القديمة المندثرة في واحة القطيف تماماً كما حدث لمدينة (الزارة)، وانظر التعريف بمدينة العوامية في هذا الكتاب.

الذين امتنعوا عن أداء الجزية، وقد حاصر العلاء هذه المدينة، فلم يتمكن من فتحها إلا في خلافة عمر وبعد مصرع المعكبر نفسه على يد البراء بن مالك الأنصاري، وقد كانت هذه المدينة حصينة للغاية، فلم تخضع للتسليم إلا بعد أن قطع عنها الماء، ويقال إن رجلاً من الزارة نفسها دلهم على نقطة الضعف، فأرشدهم إلى مجرى الماء فأعلنت استسلامها، واضطر أهلها إلى الصلح على ثلث أموال المدينة من ذهب وفضة ونصف ما كان خارجها.

ويشير المؤرخ عبد الله الشباط:

إلا أن الخلافة قد آلت إلى عمر بن الخطاب كان العلاء بن الحضرمي والياً على هجر ونواحيها فندب عبد القيس لغزو بلاد فارس فاجتمعوا على ثلاثة أمراء، هم الجارود بن عمرو وهمام بن سوار وخليد بن المنذر فعبروا البحر إلى اصطخر، فغدر بهم أهل فارس واجتمعوا عليهم من كل ناحية تحت قيادة (الهربذ) فحالوا بين المسلمين وبين السفن وأخذوا عليهم مسالك الطرق فقام خليد بن المنذر يخطب في جماعته فقال:

إن الله إذا قضى لأحد أمراً جرت به المقادير حتى يصيبه، فاستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين. ثم أخذ ينشد واصفاً الوضع آنذاك:

بِطَاوُوسَ نَاهَبنا الملُوكَ وخَيلُنَا ... عَشِيَّةَ شهرَاكٍ عَلَون الرَّواسَا

أطاحَتْ جُموعَ الفَرسِ من رَأسِ حَالِقٍ ... تَرَاهُم لُموارِ السَّحابُ مُنَاغِيَا

فَلاَ يَبعُدَنَّ اللَّهُ قَوماً تَتَابَعُوا ... فَقد خَضَّبُوا يومَ اللِّقاءِ العَوالِيَا

فتنادوا للقتال والتقوا بالفرس في مكان يسمى (عقبة الطاووس)، وقد قام همام ابن سوار يقاتل حتى قتل افقام مقامه ابنه عبد الله وقتل الجارود فقام مقامه ابنه المنذر فغرق الأعداء وسفنهم ثم توجه المسلمون يريدون البصرة عن طريق البر فإذا العدو قد سد عليهم الطريق، فاعتصموا بمكانهم وسيوفهم وكتبوا إلى الخليفة عمر بن الخطاب يسألونه المدد، فبعث إلى عتبة بن غزوان أمير البصرة فبعث لمددهم اثني عشر ألفاً، فالتحموا مع الفرس حتى هزموهم وفتح الله على المسلمين.

ولما تم الفتح عادت الجيوش إلى البصرة وعادت عبد القيس إلى البحرين تحت قيادة العلاء، إلا أن عمر لم يرض عن تصرف العلاء وغزوه بلاد فارس دون إذنه فعزله عن البحرين وأمره بالتوجه إلى البصرة، إلا أنه مرض في أثناء سيره إليها، وتوفي في الطريق في موضع يعرف بـ(العدان) سنة ١٤ هـ [1] والعدان كما هو معروف ساحل البحر من القطيف إلى الكويت.

وبعد عزل العلاء ولي عليها عثمان بن أبي العاص الثقفي، ثم عزله وولى مكانه قدامة بن مظعون وجعل أبا هريرة على الخراج، ثم إن عمر عزلهما وأعاد الولاية لعثمان بن أبي العاص وضم إليه عمان والخط وأوال، وقد قام عثمان في أثناء ولايته بغزو فارس ففتح مدينة (اصطخر) ومنها إلى مدينة (ناية) بالهند، ثم جزيرة سيلان.

وفي خلافة عثمان بن عفان زحفت جيوش المسلمين شرقاً تحت إمرة عثمان ابن أبي العاص ففتحوا نيسابور وشيراز والكازرون وجنابه، وفي خلافة الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ولّى على البحرين عمر بن أبي سلمة ثم عزله وولى النعمان بن العجلان الرقي الانصاري [2] .

أيام الخلفاء الراشدين :

حكام منطقة البحرين – وتشمل القطيف والأحساء والبحرين وقطر – في صدر الإسلام:

أ – العهد النبوي (٦ – ١١ هـ / ٦٢٢ – ٦٣٢ م):

١ – المنذر بن ساوى.

٢ – العلاء بن الحضرمي.

٣ – أبان بن سعيد بن العاص بن أمية.

---

(١) البداية والنهاية ، ج ٧ ، ص ٨٦ والموضع اليوم مجهول ، إلا أن (العدان) هو الساحل الممتد من رأس تنورة شمال شرق القطيف إلى كاظمة (الشعيبة بالكويت) وهو الطريق إلى البصرة .

(٢) صفحات من تاريخ الأحساء ، ص ٢٠٤ .

ب -الحكام في عهد الخلفاء (عهد الخليفة أبي بكر الصديق (١١-١٣ هـ / ٦٣٢ - ٦٣٤م) :

١ - الجارود : المعلى بن عمرو بن حنش العبدي .

٢ - العلاء بن الحضرمي (مرة ثانية).

ت - في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (١٣ - ٢٣ هـ / ٦٣٤ - ٦٤٤ م)

١ - العلاء بن الحضرمي والياً على اليمامة إلى جانب ولايته على البحرين.

٢ - عثمان بن أبي العاص الثقفي.

٣ - قدامة بن مظعون مع أبي هريرة.

٤ - عثمان بن أبي العاص (مرة ثانية كان والياً على عمان في الوقت نفسه) وشاركه في البحرين الربيع بن زياد الحارثي.

ث - في عهد الخليفة عثمان بن عفان (٢٣-٣٥ هـ / ٦٥٦- ٦٦١ م) :

١ - عمرو بن أبي سلمة ربيب رسول الله (ص)

٢ - النعمان بن العجلان الرقي الأنصاري

٣- عبد الله بن العباس وضم إلى ولايته اليمن.

حكام البحرين في العهد الأموي (٤٠- ١٣٢ هـ / ٦٦٠- ٧٤٩ م) :

عهد معاوية بن أبي سفيان :

١ - الأحوص بن أمية (٦٥- ٨٦ هـ).

٢ - الأشعث بن عبد الله بن الجارود العبدي.

عهد يزيد بن عبد الملك:

١ - سفيان بن عمرو العقيلي (١٠١- ١٠٥ هـ).

عهد الوليد بن يزيد (١٢٥- ١٢٦ هـ):

١ - علي بن المهاجر.

٢- المهير بن هلال الخارجي.

٣- عبد الله بن النعمان أحد بني قيس بن ثعلبة بن الدؤل.

خلافة مروان الثاني بن محمد بن مروان :

١ - المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري (١٢٧ - ١٣٢ هـ).

حكام البحرين في العصر العباسي:

أ - في خلافة أبي العباس عبد الله السفاح (١٣٢- ١٣٦ هـ / ٧٤٩- ٧٥٤ م):

١ - داود بن علي عم الخليفة السفاح.

٢ - زياد بن عبد الله بن المدان خال السفاح.

٣ - سليمان عم السفاح.

ب - في خلافة أبي جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨ هـ / ٧٥٤ - ٧٧٥ م):

١ - السري بن عبد الله الهاشمي.

٢ - سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة والياً لليمامة إلى جانب البحرين سنة ١٣٩ هـ.

٣ - قثم بن العباس بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس.

٤ - سليمان بن حكيم العبدي سنة ١٥١ هـ.

٥ - تميم بن سعيد بن دعلج عين في سنة ١٥٧ هـ.

٦ - حمزة الكاتب.

ت - في خلافة محمد المهدي بن المنصور (١٥٨ - ١٦٩ هـ / ٧٧٥- ٧٨٥ م):

١ -عبد الله بن مصعب وسويد القائد الخراساني.

٢ - صالح بن داوود بن محمد (١٦٤- ١٦٥هـ).

٣- المعلى (١٦٥- ١٦٩هـ).

ث - خلافة الهادي موسى بن محمد (١٦٩ - ١٧٠ هـ/ ٧٨٥- ٧٨٦ م):

١ – محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله.

ج – في خلافة هارون الرشيد بن محمد (١٧٠ – ١٩٤ هـ / ٧٨٦– ٨٠٩ م) :

١ – يبدو أن محمد بن سليمان استمر في الولاية.

ح – خلافة المعتصم أبو إسحق محمد بن هارون الرشيد (٢١٨– ٢٢٧ هـ / ٨٣٣– ٨٤٢ م).

١ – إسحاق بن أبي خميصة.

خلافة المتوكل على الله جعفر بن محمد (٢٣٢– ٢٤٧هـ / ٨٤٧– ٨٦١ م):

١ – محمد بن إسحق بن إبراهيم.

خلافة المعتضد أبي العباس أحمد (٢٧٩– ٢٨٩هـ/ ٨٢٩– ٩٠٢ م):

١ – أحمد بن محمد بن يحيى الواثقي.

٢ – العباس بن عمرو الغنوي.

٣ – عياش بن سعيد من بني محارب يشاركه الولاية العريان بن إبراهيم ابن الزحاف من بني عبد القيس.

ظهور الخوارج:

يحدثنا المؤرخون بأن الخوارج بعد هزيمتهم في معركة النهروان، وفناء معظمهم انهزمت فلولهم إلى الصحراء المتاخمة لبلاد اليمامة والبحرين وعُمَان وهناك قويت شوكتهم وكثر أتباعهم، حتى أصبحوا بعد حين ذوي شوكة تقلق مضاجع الإمبراطورية الأموية من جراء الغارات المتتالية التي كانوا يشنونها عليها.

وقد تزعم حركتهم هذه في بادئ الأمر نجدة بن عامر الحنفي إذ سار بمن معه إلى اليمامة، فقام بعدة غارات على المدن الآمنة، فنهبها وأخذ يعترض القوافل التي تمر عبر الصحراء ويسلب ما تحمله من أموال، وقد كثر أتباعه من الأعراب المرتزقة حتى أصبح قوي الشوكة مرهوب الجانب، ففي سنة ٦٧ هـ سار بمجموعة إلى بلاد البحرين، فرحبت به قبيلة الأزد

بدافع من العصبية القبلية إلا بني عبد القيس فإنهم رفضوا مهادنته وقالوا لا ندع نجدة يتولى أمرنا وهو حروري مارق، وأجمعوا أمرهم على قتاله، فهاجم مدينة القطيف، ودارت الدائرة على بني عبد القيس فمنيت جموعهم بهزائم متتالية ووضع السيف في رقابهم، فقتل منهم مقتلة عظيمة ثم دخل مدينة القطيف فاستباحها ونهب أموالها، وفي هذه المناسبة يقول الشاعر الجاهلي حمل بن عبد المعنى العبدي [1] :

نَصَحتُ لعبدِ القَيسِ يَومَ قَطيفِها ... وما خيرُ نصحٍ بعدُ لم يُتقبَّلِ

فَقَد كانَ في أهلِ القَطيفِ فَوارسٌ ... حُماةٌ إذا ما الحَربُ شُدّت بِيَذبُلِ

وبعد احتلال مدينة القطيف أقام نجدة فيها، ثم أرسل ابنه المُطَرّح ليتعقب فلول المنهزمين من عبد القيس فالتقى بهم في موضع يسمى (الثوير) فقاتلهم، فدارت الدائرة عليه فلقي مصرعه هناك، وقتل معه جماعة من أصحابه.

وفي سنة ٦٩هـ استولى مصعب بن الزبير على البصرة فجهز قوة كبيرة تتألف من أربعة عشر ألفاً، وسيرها لقتال نجدة تحت قيادة عبد الله بن عمير الليثي، فهاجم مدينة القطيف على حين غرة وكان بها نجدة، فصده بهجوم معاكس وأوقع بجيشه وقتل منهم عدداً كبيراً وهزمهم هزيمة منكرة، فولوا الأدبار، وغنم نجدة ما في معسكرهم من أسلحة وعتاد .

وبعد هزيمة ابن عمير جهز نجدة جيشاً لاحتلال عمان، بقيادة عطية بن الأسود الحنفي، فهاجمها وقتل حاكمها عباد بن عبد الله واستولى عليها وبقي فيها فترة من الزمن، ثم غادرها واستعمل عليها رجلاً يكنى أبا القاسم، ولكن عمان ما لبثت أن انتفضت فثارت بزعامة سعيد وسليمان ابني حاكمها السابق، فاستعادت استقلالها وأُعدم الوالي.

وفي هذه الفترة قام نجدة بجولة في البوادي لجباية الصدقات، فامتنع عليه بنو تميم بكاظمة وقاتلوه، ثم تركهم وسار إلى اليمن فخافه أهل صنعاء فاستسلموا له وجبى منهم

---

(١) طالما استشهد بهاذين البيتين كثير من دارسي الأدب وكذلك المؤرخون وانظر على سبيل المثال : الخليج العربي بحر الأساطير ص ١٠ ، وهو ينقل عن المسلم أيضاً .

الصدقات، ثم بعث أبا فديك إلى حضرموت فجبى الزكوات من أهاليها.

وفي العام نفسه، أي سنة ٦٩ هـ قصد مكة المكرمة في موسم الحج، فهادنه ابن الزبير، واتفق معه على أن يكف كل منهما عن الآخر حتى ينتهي الموسم وأن يؤم كل منهما أصحابه في الصلاة عند إقامة مراسم الحج، ثم توجه بعد ذلك إلى المدينة المنورة، فاستعد أهلها لقتاله وحملوا السلاح، وكان من بينهم عبد الله بن عمر وكبار الصحابة، فلما علم نجدة بأمرهم رجع أدراجه ويمم الطائف فاحتلها، فخرج للقائه عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي وصالحه، فولى رجلاً يسمى الحاروق من قبله على الطائف وقبالة السراة، وولى سعد الطلائع على نجران ثم قفل عائداً إلى بلاد البحرين.

ويحدثنا ابن الأثير بأن نجدة بعد رجوعه إلى البحرين عمد إلى مقاطعة الحجاز اقتصادياً، فقام بقطع الميرة عن أهل الحرمين نكاية بهم، فكتب إليه عبد الله بن عباس يستعطفه ويناظره، ويذكره بقصة ثمامة بن أثال حين قطع الميرة عن المشركين من أهل مكة لمناوأتهم للرسول (ﷺ)، فما كان من النبي (ﷺ) إلا أن كتب إلى ثمامة « إن أهل مكة أهل الله وأهل حُرَمه فلا تمنعهم الميرة » فجعلها لهم، ثم عقب قائلاً : وأنت قطعت عنا الميرة ونحن مسلمون، فارتدع نجدة عن عمله وعدل عن رأيه حيث عادت الأمور إلى مجراها الطبيعي[1].

وكان للتشدد في الرأي الذي اتسم به مذهب الخوارج أثر بيّن في بروز جبهات المعارضة، فقد نجمت بعض الخلافات بين نجدة وكبار قومه، فمنها أن أبا سنان بن حيان بن وائل طلب من نجدة إعدام من أجابه تقيّة، فرفض، ولما شتمه، هَمَّ أبو سنان بالفتك به،كما خرج عليه عطية بن الأسود لأشياء نقمها عليه، فسار إلى عمان فيمن تبعه في رأيه، وأسلموا قيادتهم لأبي فديك عبد الله بن ثور أحد بني قيس بن ثعلبة، وقد قوي أمر أبي فديك فتتبع نجدة وألح في طلبه حيث اختفى في قرية من قرى هجر، وفي سنة ٧٢هـ عثروا عليه فقتلوه وعلى

---

(١) ساحل الذهب الأسود، ص ١٣٠ .

الرغم من أن قتله أسخط بعضاً منهم إلا أنه خلص أبا فديك من أخطر منافس له في زعامة الخوارج.

ويذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٧٣هـ أن عبد الملك بن مروان اهتم بأمر الخوارج وسيطرتهم على بلاد البحرين، فندب الناس إلى قتال أبي فديك، فجهز جيشاً يضم عشرة آلاف مقاتل، وسيّره إلى البحرين، وهناك اشتبكوا مع قوات أبي فديك في معركة عنيفة، كانت فيها بوادر النصر للخوارج، إلا أن تفاني الجيش الأموي واستماتته في القتال أدى إلى انتصاره آخر الأمر، فهجم على معسكر الخوارج ومزقه شر ممزق، وأسفرت المعركة عن مصرع أبي فديك وهزيمة أصحابه حيث لجؤوا إلى حصن المشقّر، وهناك طوقهم الجيش الأموي وشدد عليهم الحصار حتى أذعنوا للتسليم، فقتل منهم ستة آلاف وأسر ثمانمئة، وبهذا انتهى سلطان الخوارج الذي دام ثلاثين عاماً، وبهذا تم للأمويين أمر الاستيلاء على البحرين حيث ولّى عليها عبد الملك بن مروان الأشعث بن عبد الله الجارود العبدي [1].

وقد تتبع عبد الملك بن مروان رجالات الشيعة بعد أن سيطر على بلاد البحرين فقتل خيار البلد، وحمل الباقي على مفارقة التشيع، ولما فشلت خططه عمد إلى محاربتهم اقتصادياً، فدفن عيوناً كثيرة حيث ردمها بالصخور الضخمة ليقضي على زراعتهم وموارد رزقهم.

في سنة ٨٥ هـ ثار الخوارج الذين كانوا مشتتين في عمان والبحرين واليمامة بعد أن تجمعوا تحت قيادة مسعود بن أبي زينب العبدي، فاستعادوا نفوذهم على بلاد الساحل كافة إلى سنة ١٠٥ هـ. حيث سولت لهم أنفسهم أن في إمكانهم توسيع رقعتهم ومد سلطانهم فقاموا بغزو اليمامة التي كان يتولى حكمها سفيان بن عمرو العقيلي من قبل الخلافة الأموية، فأخذ عدته وجهز جيشاً لملاقاة الغزاة، والتقى الجيشان بمكان يدعى (الخضرمة) باليمامة، وكانت معركة حاسمة انتهت بقتل مسعود وتشتت أصحابه.

---

(١) ساحل الذهب الأسود، ص ١١٢ و ١٣١، وانظر أيضا: تاريخ الأمم والملوك، ج ٣، ص ٢٥٢.

وبهذا عادت البحرين إلى الحكم الأموي وضمت إلى سفيان العقيلي الذي كان والياً على اليمامة[1] .

وفي أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك كان والي اليمامة والبحرين سفيان ابن عمرو العقيلي الذي كان تابعاً لولاية العراق، وخاضعاً لنفوذ يوسف بن عمر الثقفي الذي عزله وولى علي بن المهاجر، الذي اتخذ له مقراً بهجر، فلما قتل الوليد سنة ١٢٦ هـ ثار المهير بن هلال بن أبي سلمى ضد علي بن المهاجر طالباً منه أن يترك البلاد ليختاروا أميراً من بينهم يوافق عليه الخليفة لكنه أبى، فخرج المهير لقتاله فاقتتل الفريقان فلحقت الهزيمة بجيش ابن المهاجر الذي هرب إلى المدينة، وأصبح المهير والياً على البحرين، فلما مات آلت الولاية إلى عبد الله بن النعمان أحد بني قيس بن ثعلبة، وبقي والياً عليها حتى قدم المثنى بن يزيد بن هبيرة الفزاري والياً من قبل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية حتى قتل سنة ١٣٢ هـ، وبذلك طويت صفحة بني أمية وفتحت صفحات جديدة في سفر التاريخ.

في سنة ١٥١ هـ خرج من طاعة الدولة العباسية سليمان بن حكيم العبدي، وتحصن بهجر محاولاً الانفصال عن الدولة، وجمع حواليه الأعراب من عبد القيس وتميم والأزد فكون جيشاً أخذ يغير به على القرى والمدن فينهب ويقتل دون أن يتمكن من إقامة دولة، أو أن يرسي قواعد حكم ثابت، ذلك لأن هذه المنطقة البعيدة عن مقر الخلافة التي اتسعت رقعتها أصبحت هي وغيرها مجرد ولايات يجبى منها الخراج، فأراد سليمان بن حكيم بمحاولته تلك أن يستقل بهذا الجزء إلا أن الطريقة البدائية التي اتبعها والنظام العشائري الذي كان يسود قواته لم يمكنه من عمل شيء مما كان يفكر فيه، وكانت الدولة العباسية في أوج مجدها آنذاك، فبعث إليه أبو جعفر المنصور جيشاً كثيفاً بقيادة عقبة بن مسلم الذي التقى بسليمان بن حكيم العبدي فقتله بعد أن فرق جنده وسبى أهل البحرين، ثم أنفذ السبي والأسرى إلى المنصور الذي قتل بعضهم ووهب الباقين للمهدي فأطلقهم

---

(١) صفحات من تاريخ الأحساء، ص ٢٠٧ .

وكساهم (١).

وقد أشار ابن الأثير إلى أنه في سنة ٢٤٩هـ قدم من سامراء إلى هجر رجل ادعى أنه علي بن محمد بن الفضل بن محمد بن الحسين بن عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب ودعا الناس إلى مذهبه الذي كان ظاهره التشيع، فلقيت دعوته إقبالا وتأييداً فدخل في طاعته خلق كثير من أهل البحرين ومن البوادي، فجبوا له الخراج ونفذ فيهم حكمه وقاتلوا أصحاب السلطان بسببه، لكنه لما أعلن مذهبه وهو سب معاوية أنكر السنة، وعندما سب علياً أنكر الشيعة، فانقسم أصحابه إلى حزبين فتقاتلا حتى وتر منهم جماعة تنكروا له فانتقل عنهم ونزل على قوم من بني سعد من تميم يقال لهم بنو شماس، وأقام فيهم وفي صحبته جماعة من أهل البحرين منهم يحيى بن محمد الأزرق البحراني وسليمان بن جامع، قائد جيشه، وأخذ يتنقل في البادية ويدعوهم إلى الانضمام إليه حتى اجتمع له خلق كثير أغار بهم على بيوت من البدو في مكان يقال له (الروم) فهزم هو وأصحابه، وقتل من أصحابه جماعة مما جعل الأعراب يتفرقون عنه، فسار إلى البصرة ونزل في بني ربيعة، فانفض عنه جماعة كثيرة منهم علي بن إبان المهلبي، وكان ذلك سنة ٢٥٤ هـ وكان حاكم البصرة محمد بن رجاء الحضاري الذي ذهب للقبض عليه فهرب وتتبعه الحضاري حتى قبض على بعض أتباعه ومنهم زوجته وابنه وجاريته.

لكنه عاد بعد سنة إلى البصرة ونزل بقصر القدسي على نهر المنجم فأخذ يدعو المماليك للتحرر من الرق والعبودية، فاجتمع عنده منهم خلق كثير العدد، فلما أتاه سادتهم لإعادتهم إلى الرق تفاوضوا معه على أن يدفعوا له عن كل رأس خمسة دنانير، فلم يقبل، ولكنه أمر أن يقوم كل عبد بضرب مولاه خمسمئة سوط.

وقد استثمر هذه الدعوة استثماراً حربياً بعد أن جمع حواليه الألوف المؤلفة من الرقيق حتى وجد أنه قادر على أن يقوم بعمل حربي له قيمته، فأغار على البصرة سنة ٢٥٧هـ

(١) تحفة المستفيد، ج ١، ص ٨٠.

فدخلها واستباحها وقتل من أهلها خلقاً كثيراً وأحرق مبانيها بما فيها الجامع، حتى زرع الخوف والرعب في جنوب العراق.

وكانت الدولة العباسية في حالة من الارتباك في عهد المهتدي الذي خلع سنة ٢٥٦هـ وكان قد خلع قبله اثنان من الخلفاء [١] ،مما أدى إلى تفكك الدولة وإعطاء صاحب الزنج وغيره من المغامرين فرصة المخاطرة، إلا أن المعتمد أحمد بن المتوكل الذي آلت إليه الخلافة بعد المهتدي رأى أن التهاون مع هؤلاء الخارجين على الدولة سيمحو أثرها ويقضي عليها، فعقد لواء القيادة لأخيه (أبي أحمد) الذي هب لمنازلة هؤلاء وفي مقدمتهم صاحب الزنج الذي وقف معه عدة مواقف عنيفة انتهت بانتصار جند الخلافة وقتل صاحب الزنج سنة ٢٧٠ هـ [٢].

القرامطة:

ظلت البحرين ومنها منطقة القطيف خلال فترة الحكم العباسي مجرد إقليم تابع للدولة تجبى منه الضرائب لتزويد الخزينة العامة بالأموال دون اهتمام بحالة الشعب الذي كان يعاني من الظلم والإرهاب على أيدي الولاة، وقد تشجع دعاة القرامطة وأتيحت لهم فرصة التسلل إلى المجتمع في البحرين عامة (القطيف وهجر وأوال) للتبشير بقيام دولة تخلص الناس من هؤلاء الولاة الذين كان جل همهم جباية الأموال.

وقد استطاع أبو سعيد الجنابي بما له من نفوذ ومن علاقات اجتماعية وإدارية – حينما كان جابياً للمكوس – كما جاء في بعض الكتب [٣] أن يتخذ من الدعوة الإسماعيلية التي كانت منتشرة آنذاك في جميع أنحاء الدولة الإسلامية شعاراً للوصول إلى ما يرمي إليه وهو

---

(١) الكامل في التاريخ ، ج ٥ ، ص ٣٤٦ .

(٢) ساحل الذهب الأسود ص ١١٥ ، وانظر ايضا تحفة المستفيد ج ١ ، ص ٨٢ وصفحات من تاريخ الاحساء ص٢٠٩

(٣) الكامل في التاريخ ، ج ٥ ، ص ٣٤٨ .

الانفصال عن جسم الدولة العباسية وتأسيس حكومة مستقلة تتوافر لها جميع الإمكانات الاقتصادية والمواقع الاستراتيجية، ولاسيّما وأن الظروف السياسية كانت مهيأة لقيام هذه الدولة، وقد أشار بعضهم إلى أن أبا سعيد الجنابي كان يتاجر في الأطعمة [١].

لذلك لم يتوان منذ أن أحس باستجابة بعض القبائل من الأعراب للدعوة الإسماعيلية من الحضور إلى القطيف واتخاذ مدينة الخط قاعدة له بعد أن رتب أموره بمساعدة القبائل المحيطة بالبلاد، واتخذ من زعماء القبائل هذه أعواناً له – كآل سنبر– الذين أصبحوا وزراء له ولأبنائه من بعده.

ووجه اهتمامه في البداية لبناء قاعدته الشعبية في الداخل، بينما هرب الكثير من السكان إلى البصرة وانتظموا في جيش الغنوي لقتاله، لأنه يعلم أن الحكومة المركزية في بغداد في حالة لا تسمح لها بالوصول إليه قبل مدة طويلة استغلها في تكوين كيان قوي، فحصن البلاد وبنى الأسوار وجلب السلاح من فارس والهند، عند ذلك أعلن قيام دولته بمهاجمة البصرة سنة ٢٨٦ هـ فلما لم يجد المقاومة التي كان يخشاها عاد إلى مقر دولته وانصرف إلى تقوية مركزه، فكان أول عمل قام به هو القضاء على زعماء عبد القيس وإحراق عاصمتهم الزارة [٢].

ثم قام بغزو البصرة ونهبها ، فلما تيقن الخليفة العباسي من صحة ما ورد إليه من الأخبار ورأى أن قيام أبي سعيد بغزو أطراف الدولة أصبح واقعاً كان لابد من منازلته، فولى البحرين واليمامة أحد قواده (العباس بن عمرو الغنوي) الذي سار على رأس جيش يدعمه ٢٠٠٠٠ من المتطوعين، فلما التقى جيش أبي سعيد انسحب المتطوعون وهم بنو ضبة وأهل البصرة، فلما التقوا انهزم الجيش العباسي وأسر قائده (العباس بن عمرو الغنوي)، فلما انتهت

(١) تحفة المستفيد ، ق ١ ، ص ٨٤ .

(٢) صفحات من تاريخ الأحساء ص ٢١١ والزارة هي أحد الأحياء في مدينة العوامية للشمال من القطيف ، وقد كانت الزارة عاصمة في ذلك العهد .

المعركة جهز أبو سعيد أسيره العباسي وبعثه إلى البصرة وقال له (أخبر الخليفة بما رأيت).

وكانت هذه الواقعة وما حققه أبو سعيد خلالها من مكاسب مادية ومعنوية حافزاً له على الاستيلاء على هجر، فسار إليها سنة ٢٨٧ هـ فلما وصل إلى هجر أرسل إلى الرؤساء والأعيان والعلماء للتشاور معهم في أمر إصلاح البلاد، فلما اجتمعوا لديه أحرق المكان الذي اجتمعوا فيه وأمر خدامه بأن يقفوا بالسيوف لتلقف كل من يحاول الهروب من الحرق.

وقد أشار إلى ذلك ابن المقرب بقوله:

وحرّقوا عَبدَ قَيسٍ في مَنَازِلهَا وصَيَّروا الغرّ من سَادَاتها حُمَمَا

وبذلك استتب له الأمر، فاستولى على جميع أنحاء القطيف وهجر حتى قتل سنة ٣٠١هـ على يدي غلامين صقلبيين غنمهما من بدر المحلى [١].

سعيد بن الحسين ٣٠١ - ٣١٠ هـ

كان أبو سعيد قد عهد بالأمر قبل اغتياله لابنه سعيد الذي آل إليه الأمر سنة ٣٠١هـ وكان ضعيفاً، وقد استمر في الحكم إلى سنة ٣١٠ هـ فثار به أخوه سليمان ونفاه إلى أوال واستولى على السلطة مكانه، وقيل إنه قتله وبايعته العقدانية مكان أخيه سعيد.

سليمان بن الحسين ٣١٠ - ٣٣٢ هـ

قفز إلى سدة الحكم، وكان أول عمل له أن احتل البصرة واستباح الكوفة وسارت عساكره إلى الشام وعمان، عندما قوي أمره ورأى عجز الدولة العباسية عن تحديه وإيقافه عند حده.[٢]

ويسهب سامي العياش في الحديث عن أعمال أبي طاهر هذا فيقول:

---

(١) ساحل الذهب الأسود، ص ٢٠ و ٨٣.

(٢) الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٣٥٥.

« ففي سنة ٣١١ هـ تعرض أبو طاهر الجنابي والقرامطة لقوافل الحجاج، وفي سنة ٣١٢ هـ ترك الحجاج جمالهم وفروا إلى الكوفة فتبعهم الجنابي وجماعته وهزم عسكر الخليفة البالغ عددهم سبعة آلاف رجل، وأسر أحد قادته وفر الباقون واحتل الكوفة وأخذ ما في أسواقها، وقد أقام أبو طاهر فيها ستة أيام يقيم في مسجدها حتى الليل ثم يبيت في معسكره، وقد بطل الحج هذا العام ».

وقام قرامطة البحرين بغزو مكة سنة ٣١٧ هـ[١] في موسم الحج، وكان الناس محرمين فقتلوا منهم العديد في المسجد الحرام وهم متعلقون بأستار الكعبة واقتلعوا الحجر الأسود وجردوا الكعبة من كسوتها، وأخذوا جميع ما فيها من الآثار والزينات الثمينة ورموا جثث القتلى في بئر زمزم وقائلهم يقول:

أَنَا بِاللهِ وبِاللهِ أَنَا يَخلُقُ الخَلقَ وَأُفنِيهُم أَنَا

وقد وزع الكسوة على أصحابه وحمل الحجر الأسود إلى هجر، فلما بلغت تلك الأعمال المهدي كتب إلى أبي طاهر يوبخه ويستنكر أفعاله ويأمره برد الحجر إلى مكانه والأموال إلى أصحابها سوى ما استهلكه أصحابه، وفي هذه السنة بنى مدينته (المأمونية) ثم عدل عن هذه التسمية وسماها (الأحساء)[٢] وقد مات سليمان سنة ٣٣٢ هـ.

أحمد بن الحسين ٣٣٢ هـ:

اختلف القرامطة بعد وفاة أبي طاهر، فمنهم من مال إلى تولية أحمد بن الحسين ومنهم من رأى تولية سابور بن سليمان، فلما رأى العقدانية انقسام الرأي كتبوا إلى القائم بأمر الله الفاطمي في ذلك فجاء الجواب بتولية أحمد ابن الحسين وأن يكون سابور ولياً للعهد.

فتولى أحمد ويكنى بـ(أبي منصور) واستمر في قيادة الدولة، ورد الحجر الأسود إلى موضعه سنة ٣٣٩ هـ، وقد طالت مدته حتى سئم سابور الانتظار فثار بعمه وقبض عليه

---

(١) تحفة المستفيد، ق ١، ص ٨٥.

(٢) صفحات من تاريخ الأحساء ص ٢١٤ و ٢١٥.

وأودعه السجن سنة ٣٥٨ هـ إلا أن أنصار أبي منصور وإخوته ثاروا على سابور وقتلوه وأطلقوا سراح عمه أبي منصور الذي استمر في الحكم إلى أن مات سنة ٣٥٩هـ.

الحسن بن أحمد (الأعصم) ٣٥٩ هـ :

تولى بعد وفاة والده، فصرف جزءاً من وقته لترتيب الشؤون الداخلية والتخلص من أبناء عمه أبي طاهر، ثم لما صفا له الجو قرر غزو الشام سنة ٣٦٢ هـ واستولى على دمشق بعد أن قتل حاكمها جعفر بن فلاح، ثم قرر غزو مصر فغزاها سنة ٣٦٣ هـ ونزل بمشتول الطواحين وحاصر القاهرة شهوراً جرت بينه وبين جيوش المعز عدة وقائع، وفي أثناء حصاره القاهرة علم أن الأمور انعكست عليه إذ قرر العقدانية طرد أبناء الحسين وإخراج الأمر من أيديهم فعاد وعندما وصل إلى الرملة بفلسطين مات سنة ٣٦٦هـ.

وعلى أثر موت الأعصم ثار أهل البحرين على أسرة أبي سعيد وأنكروا عليهم خطبتهم وولاءهم لبني العباس، واتفقت كلمتهم على إخراج الأمر منهم فنفوهم بأجمعهم إلى جزيرة أوال، وأسندوا مهام سياسة الدولة لرجلين منهم هما إسحاق وجعفر الهجريان يعاونهما ستة أشخاص أطلقوا عليهم اسم (السادة)، ثم أعلنوا ولاءهم للفاطميين في مصر، واستبدلوا شعارات الدولة العباسية بشعارات الدولة الفاطمية.

وقد استاء صمصام الدولة لهذا الاتجاه المعادي فألقى القبض على ممثل القرامطة في بغداد (أبو بكر بن شاهويه) الذي كان له نفوذ واسع، فاستاء القرامطة لهذا الإجراء الذي اتخذه ضدهم صمصام الدولة مما حدا بإسحاق وجعفر الزعيمين الهجريين أن يقودا حملة كبيرة سنة٣٧٥ هـ واتجها بها نحو الكوفة واستوليا عليها وخطبا لشرف الدولة البويهي نكاية بأخيه صمصام الدولة، فكتب لهما هذا الأخير يستلطفهما ويستفسر عن الأسباب التي دعتهما للقيام بهذه الحركة فأجاباه باحتجاج صارخ اللهجة على الإجراء الذي اتخذه ضدهم في القبض على نائبهم فتوترت العلاقات فيما بينهم، فسير صمصام الدولة جيشاً لمقاتلتهم فاشتبكوا في معركة عنيفة أسفرت عن انهزام القرامطة وأسر عدد من قادتهم وفي مقدمتهم أبو قيس الحسن بن المنذر فأعدموا، ولكن القرامطة عادوا كرة ثانية وجهزوا جيشاً

آخر كثيف العدد فكان نصيبه مثل سابقه حيث عادت فلوله إلى بلاد الأحساء [١].

وكانت هذه المعركة الأخيرة هي الحد الفاصل في تاريخهم المليء بالأحداث والمغامرات، فمنذ ذلك الحين لم يغز لهم جيش خارج حدود دولتهم، فانكسرت شوكتهم حتى اجترأ عليهم أعداؤهم فغزوهم في عقر دارهم، وساعد على ذلك تأزم الخلاف بين رئيسيهما اسحق وجعفر إذ طمع كل منهما في الانفراد بالحكم فتفرقت كلمتهم في الفترة التي أشرفت فيها دولتهم على الاحتضار. [٢]

ويحدثنا التاريخ ان آل بويه ألبّوا عليهم رجلاً قوي الشكيمة من قبيلة المنتفق يسمى الأحيفر، فحشد معه جمعاً كثيراً وسار بهم سنة ٣٧٨ هـ إلى بلاد البحرين، فخرج القرامطة للقائه والتحموا معه في معركة طاحنة أسفرت عن قتل رئيسهم وفناء معظمهم وأسر عدد كبير منهم وفرار فلولهم حيث اعتصموا بالأحساء فحاصرها الأحيفر مدة بعد أن استولى على حصونها ولما يئس من فتحها زحف على القطيف فصادر جميع ما كان للقرامطة من الأموال والمواشي والعبيد ثم عاد أدراجه إلى البصرة.

استيلاء بني ثعلب وبني عقيل:

عندما ضعف أمر القرامطة بالبحرين طمعت في ملكهم بعض القبائل التي كانوا يعتمدون عليها ويستخدمونها في حروبهم، ويستنجدونها ضد أعدائهم، وأشهر هذه القبائل بنو ثعلب وبنو عقيل وبنو سليم، إلا أن بني ثعلب كانوا أقوى شكيمة وأكثر عدداً فتحالفوا مع بني مكرم رؤساء عمان ضد القرامطة، ففي سنة ٣٩٨ هـ زحف الأصغر بن أبي الحسن الثعلبي زعيم بني ثعلب على الأحساء فاستولى عليها وخطب للخليفة العباسي، ويحدثنا ابن خلدون أن بني ثعلب ضاقوا ذرعاً ببني سليم أخيراً، فاستعانوا عليهم ببني عقيل فأجلوهم عن أراضي البحرين حيث نزحوا إلى مصر ومنها إلى المغرب ثم ما لبث بنو

---

(١) تحفة المستفيد، ق ١، ص ٩٨.

(٢) صفحات من تاريخ الاحساء، ص ٢١٦.

ثعلب أن اختلفوا أيضاً مع قبيلة بني عقيل فأجلوها هي الأخرى إلى العراق [1] وصفا الجو لبني ثعلب حيث أسسوا دولة على أنقاض دولة القرامطة ظلت متوارثة في أعقاب الأصغر الثعلبي [2] .

أما بنو عقيل فحين نزحوا إلى العراق استولوا على الكوفة وأخضعوا لنفوذهم عدداً من البلدان الراقية إلا أن الأصغر الثعلبي طمع في ملك بني عقيل بالعراق فسار إليهم وحاربهم برأس عين التمر واستولى على مناطق نفوذهم وأخضع الجزيرة والموصل سنة ٤٣٨ هـ، ولكنه اصطدم أخيراً بنصير الدولة ابن مروان صاحب ميافارقين وديار بكر، فألب عليه الولاة من كل حدب وصوب فهزم جموعه واعتقله ثم أطلقه حيث عاد أدراجه إلى بلاد البحرين [3]

ولبث بنو عقيل فترة من الزمن يسيطرون على الجزيرة بالعراق حتى قامت الدولة السلجوقية في منتصف القرن الخامس فسيطرت على الأراضي العراقية فتلاشى نفوذهم وغادروا العراق وتحولوا عنها إلى بلاد البحرين مواطنهم الأولى فوجدوا دولة بني ثعلب قد أدركها الهرم فاستولوا عليها.

ولقد ذكر ابن خلدون أن دولة بني عقيل استمرت إلى أن ثار بهم عبد الله بن علي العيوني، وأن بني ثعلب من جملة رعاياهم وأن حكام الأحساء سنة ٦٥١ هـ هم بنو عصفور من بني عقيل [4]

---

(١) الكامل في التاريخ ، ج ٧ ، ص ١٢٦ و ١٣٦ .

(٢) كتاب البحرين ، ص ٥٣ .

(٣) ساحل الذهب الأسود ، ص ٣٣ .

(٤) صفحات من تاريخ الأحساء ص ٢١٧ و ٢١٨ .

أبو البهلول وابن العياش :

وما إن انتصف القرن الخامس الهجري (في حدود سنة ٤٦٦ هـ) حتى نشبت الثورات في أرجاء البحرين وبرزت الحركات الانفصالية، حتى بسط أبو البهلول العوام بن محمد بن يوسف الزجاج نفوذه على جزيرة أوال وسيطر يحيى بن العياش على القطيف.

وكان أول من فكر في الانفصال أبو البهلول الذي كان ضامناً لمكوس جزيرة أوال، فمهد بالاشتراك مع أخويه مسلم وجعفر لنجاح خطتهم بأن طلبوا في بادئ الأمر من واليها جعفر ابن أبي محمد ابن عرهم أن يأذن لهم في إنشاء جامع تقام فيه صلاة الجمعة يكون بمثابة ندوة يجتمع فيها الغرباء والمسافرون لتشجيع الحركة التجارية، فكتب ابن عرهم لأولي الأمر يستأذنهم فوافقوا، وبعد افتتاح الجامع مباشرة صعد أبو الوليد مسلم أخو العوام المنبر وكان خطيباً مفوهاً، فخطب للخليفة العباسي القائم بأمر الله، وقد اعتبروها خدعة فاستنكروا عمله وطالبوا بمنعه، غير أن الجواب جاء بأن يعطوا حريتهم وأن لا يعترضوا في مذهبهم، إلا أنهم اعترضوا أبا البهلول وأتباعه، وقالوا لمسلم إن من تخطب له في بغداد دالت دولته، وتحولت الخطبة للخليفة الفاطمي في مصر، ولكن العوام تحول فجأة ومضى يوطد العلاقات الطيبة بينه وبين سادة البلاد ويبعث لهم الهدايا حتى أصبح له نفوذ واسع، فطمع في حكم الجزيرة فأخذ يعكر الجو في وجه الوالي ابن عرهم ويثير الاضطراب حوله ويضعف من مركزه، وأخيراً وشى به إلى السلطات العليا حتى عزلوه ظناً منه أنهم يستبدلونه محله فيسندوا إليه ولاية الجزيرة، فلما بعثوا بوال جديد لولايتها ولقمع حركة العصيان خاب أمله، فجمع عشيرته وأتباعه واتصل بابن العريان – وهو من كبار الزعماء ورؤساء العشائر– وتآمر معه على قلب نظام الحكم [(١)].

وحين أحس الوالي الجديد بحركتهما اعتزم القبض عليهما، ولكنهما فاجآه بالثورة، فاضطر للهرب، فكتب أبو البهلول مرة ثانية إلى سادة البلاد يساومهم في إعادة ابن عرهم أو

---

(١) ساحل الذهب الأسود، ص ١٥٦ و ١٥٧ .

الاستمرار في إعلان العصيان، فجاء الرد قاسياً إذ بعث الوزير عبد الله بن سنبر أحد أولاده إلى عمان لجلب السلاح لقمع حركة التمرد وإخضاعه ولكن أبا البهلول وابن أبي العريان كمنا لابنه في الطريق فقتلاه واستوليا على السلاح [1] .

وقد عز على ابن سنبر وقوع هذا الحادث، فعمد إلى مكاتبة ابن العريان سراً ووعده بولاية جزيرة أوال حتى استماله فاتفق معه على اغتيال أبي البهلول، غير أن أبا البهلول علم بما يدبر له في الخفاء فبادر إلى اغتيال ابن أبي العريان، ومن سوء الطالع أن عبد الله بن سنبر أبحر على حين غرة ولم يعلم بما حدث لابن أبي العريان في أسطول يتألف من مئة وثمانين قطعة يقل جيشاً من بني عامر وخمسمئة فرس لتنفيذ خطة اتفق عليها، ولكن أبا البهلول فاجأهم في عرض البحر وتصدى لهم بأسطول يتألف من مئة قطعة وأوعز إلى جنوده بضرب الأبواق والدبادب فنفرت الخيل من السفن وأغرق معظمها حتى اضطر ابن سنبر إلى الهرب بعد أن هلك معظم رجاله غرقاً واستولى أبو البهلول على ما بقي منها وسلم الباقون، وبذلك استتب له الأمر في جزيرة أوال .

الدولة العيونية:

ليس من السهل البحث في تاريخ الدولة العيونية التي قامت بالأحساء منذ عام ٤٦٦هـ حتى ٦٣٦ هـ، إذ ليس هناك من المراجع ما يمكن الركون إليه سوى ديوان علي بن مقرب العيوني .

وتأتي أهمية ديوان ابن مقرب في هذا البحث لكونه أحد أفراد العائلة الحاكمة، حيث عاصر عدداً من حكامها، ورأى وسمع الكثير من أحداثها، وبذلك يكون هو المرجع الوحيد المهم في تاريخ هذه الحقبة، إلا أن هناك بعضاً من الشروحات والهوامش والإشارات التي ترد في كتب التاريخ المؤلفة في القرن السادس وما بعده تشير إلى أن العيونيين فخذ من قبيلة عبد القيس، وقد أطلقت عليهم هذه التسمية نسبة إلى مدينة العيون .

---

(١) صفحات من تاريخ الإحساء ، ص ٢١٩ .

ويطلق على العيونيين اسم (آل إبراهيم) [١] نسبة إلى مؤسس الدولة العيونية عبد الله ابن محمد بن إبراهيم.

وقد بدأت حركة عبد الله بن علي ضد القرامطة بعد أن تقلص نفوذهم وتفتتت دولتهم وأصبح سلطانهم لا يتعدى حدود الأحساء، وكان للعيونيين آنذاك قوة ومنعة ونفوذ حيث ذكر أن بشر بن مفلح العيوني كان قائداً للجيش القرمطي الذي هاجم (أوال) بعد ثورة أبي البهلول، فلما رأى عبد الله بن علي ضعف المتولين على هذه البلاد بعد القرامطة وتطاحنهم وفساد سياستهم وسوء تدبيرهم كتب إلى الخليفة العباسي القائم بأمر الله (أبي جعفر) والسلطان جلال الدولة أبو الفتح ملكشاه بن السلطان ألب أرسلان ووزيره نظام الملك يطلب المساعدة على حرب من أسماهم القرامطة وإنهاء نفوذهم، فأمدوه بجيش عدده سبعة آلاف مقاتل تحت قيادة أكسك سالار (أرتق) التركماني المتوفى سنة ٤٨٤ هـ الذي توجه إلى الأحساء ماراً بالبصرة ثم القطيف حيث هاجم (ابن العياش) الذي هرب إلى جزيرة أوال فاحتل القطيف وتوجه إلى الأحساء إلا أن سكانها عندما علموا بقدوم الجيش تحصنوا داخل الأسوار فحاصرهم الجيش العباسي والعيونيون [٢].

إلا أن الحصار طال أمده على سكان الأحساء فبعثوا إلى أكسك سالار بطلب الصلح مقابل مال يدفعونه فقبل هذا العرض على أن يسلموا له عدداً من رجالهم كرهينة يقال إن عددهم ثلاثة عشر رجلاً، إلا أن القرامطة استغلوا فترة الصلح لجمع الأطعمة والسلاح والمؤونة لمواصلة القتال فنقضوا الصلح مما جعل القائد السلجوقي يقتل الرهائن ويشد الحصار عليهم، ولكن مدة الحصار طالت على الجيش المحاصر الذي أصبح يعاني من حرارة الصيف والأوبئة وقلة الأطعمة، فشكا لعبد الله بن علي متاعبه ومتاعب الجيش فقال له «دع معي مئتي جندي وعد إلى بلدك..» فترك له ذلك العدد من الجنود تحت إمرة أخيه (البكوش)

---

(١) آل إبراهيم اليوم كثيرون منهم العيونيون والنجديون من أصلاب متفرقة ومنهم آل إبراهيم الشمريون في مناطق القطيف والأحساء.

(٢) صفحات من تاريخ الأحساء ص ٢٢٠، وانظر أيضاً: أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء ص ٥٧.

وانسحب القائد بجنوده صوب العراق، مما أطمع القرامطة في ذلك العدد الصغير واتفقوا مع القبائل البدوية على مهاجمة عبد الله بن علي، فخرجوا من حصونهم في الموعد المضروب وانضمت إليهم قبائل بني عامر فاشتبكوا مع العيونيين في معركة ضارية بين قرية (العمران) وبحيرة الأصفر فيما يعرف بـ(الرحلين) فتمكن عبد الله من هزيمتهم واحتلال حصونهم.

إلا أن العياش بعد انسحاب الجيش العباسي عاد إلى احتلال القطيف وطمع في احتلال الأحساء، فسار إليها حيث نزل بمكان يقال له (ناظرة) قرب قرية المقدام بمنطقة الكلابية، فبرز له عبد الله بن علي بجيشه ودارت معركة كانت الهزيمة فيها على ابن العياش الذي هرب إلى أوال، فزحف عبد الله بن علي إلى القطيف واحتلها وبعث جيشاً بقيادة ابنه الفضل بن عبد الله إلى أوال، فاحتلها وهرب منها ابن العياش إلى العقير حيث التقى بجيش العيونيين في معركة قتل فيها ابن العياش [1].

وقد سجل الشاعر علي بن المقرب تلك الأحداث في قصيدة طويلة منها قوله:

ولم يُنَجِّ ابن عياش بمهجته ... يم إذا ما يَراه النَاظرَ ارتَسَما

أتى مُغيراً فوافى جوَّ (ناظرةٍ) ... فعاينَ الموت منَّا دُونَ مازَعَما

فراح يَطرُدُ طَرْدَ الوحش لَيس يرى ... حَبلَ السَّلامة إلا السَّوطَ والقَدَما

فانصاعَ نحو أوالٍ يبتَغي عِصَماً ... إذْ لَم يَجدْ في نَواحي الخطِّ مُعتَصَما

فأقْحم البحرَ منَّا خلفَه ملكٌ ... مازالَ مُذ كَان للأهْوالِ مقتحِمَا

وهي الأبيات من ٩٠-٩٤ من قصيدة يفتخر بآبائه وأهل بيته [2]

وبعد أن تمت لعبد الله السيطرة على كل من الأحساء والقطيف وأوال عاد أدراجه إلى الأحساء، فقطع ما كان يدفع لشيوخ القبائل من أموال أيام القرامطة، فغضبوا، وتنادوا

---

(١) تحفة المستفيد ص ١٠١ و ١٠٢ . وساحل الذهب الأسود، ص ١٣٦ .

(٢) انظر ديوان ابن المقرب، ص ٥٢٦ و ص ٥٣٨ و ٥٣٩ .

وأجمعوا على حربه، وفي مقدمتهم (بنو عامر) فأقبلوا إلى الأحساء يسوقون أمامهم الإبل التي ساقوها على الجيش العيوني لدهسه إلا أن عبد الله بن علي استعمل الطبول والصاجات ففرت الإبل وهربت على أعقابها وارتدت على أصحابها فتحقق له النصر والظفر.

وقد حاول البكوش ومن معه من الجند أن يفرض سيطرته على عبد الله بن علي وأن يمد نفوذه على البلاد فضاق به ذرعاً وقبض عليه وقتله، وقد أزعج مقتله السلاجقة فبعثوا جيشاً بقيادة (ركن الدين والدولة) للقضاء على عبد الله بن علي الذي تحصن هو وأهل بيته ومؤيدون فحاصرهم السلاجقة لمدة سنة، فلما طال عليهم الأمد اضطر أن ينزل لمقابلة الجيش، فإما النصر وإما الموت، فاستمات هو ومن معه حتى مَنَّ الله عليهم بالنصر.

وفي رواية أخرى أن الشراكسة سئموا من طول المقام فبعثوا إلى عبد الله ابن علي بأنهم يرغبون في الرحيل بشرط أن يسلمهم رهينة من أهل بيته حتى لا يهاجمهم بجيوشه في أثناء الانسحاب، فتردد في ذلك إلا أن ابنه علياً قدم نفسه رهينة على أن ينسحب الجيش، ويفك الحصار، فأخذوه معهم إلى بلادهم فحبسوه واستبقوه لديهم، وأعطوه جارية لخدمته، وكانت على درجة من الجمال فتزوجها وحملت منه وولدت غلاماً سماه (جساسا) [1]

وقد احتال الأمير عبد الله في تخليص ابنه فبعث رجلاً يقال له: عزيز بن محفوظ ومعه مال كثير فاحتال حتى وصل إلى السجان وأغراه بالأموال وأغدق عليه الهدايا حتى أفرج عن علي، فسار معه إلى الأحساء، أما الصغير جساس فقد بقي في كرمان حتى كبر وجاء إلى الأحساء بعد أن أصبح فارساً لا يشق له غبار [2].

ولاية عبد الله بن علي:

امتدت ولاية عبد الله بن علي ستين سنة منذ عام ٤٦٦ هـ حيث بدأ حركته إلى وفاته عام

---

(١) ساحل الذهب الأسود، ص ١٤١ .

(٢) صفحات من تاريخ الأحساء ص ٢٢٣ .

٥٢٦ هـ عن عمر يناهز مئة عام، وكان يتميز بالكثير من الصفات الحميدة، منها شجاعته وصموده أمام المؤامرات ووقوفه في وجه الجيوش المتعاقبة وتوحيد البلاد وتأمين السبل وتشييد المساجد، وإنشاء المدارس لعلوم الدين واللغة.

وكانت أهم أعماله : القضاء على قوة ابن عياش واحتلال القطيف، ثم احتلال جزيرة أوال بعد قتل ابن عياش ووزيره العكروت [١] .

وقد طمع حاكم جزيرة قيس أبو كرزاز بن سعد بن قيصر من الزنجيين الذين حكموا فارس في الاستيلاء على أوال، فزحف إليها، إلا أن عبد الله قابله بجيش قاده بنفسه فهزمه وأسر أخاه نام سار بن سعد، ثم عاد أدراجه ليواجه الطامعين من بني عامر الذين طمعوا في ملك الأحساء بعد أن قطع عوائدهم وجراياتهم فقابل جموعهم وقاتلهم حتى قضى عليهم ولم ينج منهم إلا أحمد بن مضر وأبو فراس بن الشياش في جماعة هربوا إلى العراق.

الفضل بن عبد الله

تولى خلفاً لأبيه سنه ٥٠٠ هـ، وكان في أثناء ولايته ينتقل بين القطيف والأحساء وأوال، فكان خلال فترة حكمه يتعقب المفسدين وقطاع الطرق، حتى استتب الأمن في عهده، وقد دام حكمه سبع سنوات، وكان قبلها والياً على القطيف من قبل والده، وقد مات مقتولاً على أيدي بعض خدامه بجزيرة تاروت سنة ٥٠٧ هـ [٢]

وهو الذي أشار إليه ابن المقرب بقوله [٣] :

ومَن يفتخر بالفَضل فَضل بن عبدلٍ ... فَيَا بأبي أعراقُه ومَناسبُهُ
همامٌ حَمَى البحرين سَبعاً ومثلَها ... سنينٌ وسَارت في الفَيافي مَواكبُه
ولم يَرعَ من(ثاجٍ) إلى(الرَّمل)مُصْرِمٌ ... علَى عَهدِه إلا استُبيحَت حَلائبُه

(١) تحفة المستفيد ص ١٠١ .

(٢) من تاريخ جزيرة تاروت ، ص ١٠٧ .

(٣) ديوان ابن المقرب ،ص٥٧و٥٨ .

زمَــانَ يقــول العــامــرِيُّ لمن غَــدَا — يحُــدثه عنه وذو الحُــمقِ غَــالبُــه
مَــتىَ يلْتَــقي من(ناربَرد) مَــحَلُّه — وآخــر سُــودي بعَــيــدٌمَــذَاهبُــه
فلَمَ يســتَــتِمٌ القَــولَ حَــتَّى إذا بـه — يسُــايرهُ والدّهرُ جَمٌ عَــجَــائبُــه
فَــقَــال له: الآنَ التَــقَــينا فــأرعَــدَتْ — فَــرائصُــهُ والجــهلُ مــرٌ عَــوَاقبُــه

وقد اشتهر بالكرم المفرط حتى إن حاكم البصرة عندما سمع بحكايات كرمه قام من كرسيه وشرب كأساً من الماء وهو قائم تعظيماً لذلك الملك الكريم [1] .

أبو سنان محمد بن الفضل :

تولى الحكم بعد وفاة والده سنة ٥٠٧ هـ ، وجعل عمه علياً على الأحساء والقطيف ابنه عزيزاً، وكان شجاعا كريماً، وقد وردت قصص لبيان كرمه ، ومن ذلك: أن بعض عماله أتاه بأموال من جزيرة أوال تحتوي الكثير من اللآلئ والفضة والذهب، وكان لديه حينذاك شاعر يدعى الثعالبي من أهل العراق، فأمر عامله أن يدفع ما لديه إلى الشاعر، حتى إن خازنه عندما تلقى الأمر صعق ومات [2] . إلا أن عهده لم يدم فيه الرخاء له ولا السرور، فقد طمع عماه في الولاية وتآمرا مع رئيس قبيلة بني عامر، (غفيلة بن شبانة) على أن يقوم هذا الأخير بإخراج أبي سنان والنزول على القطيف خلافاً لأوامره، فلما علم أبو سنان بذلك جرد حملة هاجم بها غفيلة وأتباعه حتى قضى عليهم، وبعد أن استتبت الأمور علم أن لعميه يداً فيها، فجهز حملة قادها بنفسه إلى الأحساء وفي معركة حامية الوطيس قتل أبو سنان قرابة سنة ٥٢٥ هـ وكانت مدة ولايته ١٨ عاماً.

أبو منصور علي بن عبد الله:

كان والياً على الأحساء منذ عهد أخيه الفضل، إلا أنه بعد أبي سنان أصبح ملك

---

(١) صفحات من تاريخ الاحساء ، ص ٢٢٥ ، وانظر ايضا : من تاريخ جزيرة تاروت ص ١٠٨

(٢) صفحات من تاريخ الأحساء ،ص٢٢٥،وانظر أيضاً : من تاريخ جزيرة تاروت ،ص١٠٨.

الأحساء دون منازع، أما أبناء أبي سنان فقد عقدوا البيعة لأخيهم غرير بن محمد الذي استقل بالقطيف وأوال حيث قام بحشد جيش هاجم به الأحساء لأخذ الثأر من عمه أبي منصور، فالتقى الجيشان في مكان يدعى (السليمات) غرب الأحساء سنة ٥٤٥ هـ والتحم الجيشان في معركة قتل فيها الأمير علي والأمير بطال بن مالك بن بطال العيوني أخو الأمير عبد الله بن علي لأمه، والذي تنسب له قرية البطالية، وكان يقيم في حي من أحيائها أحدثه بنفسه فغلب اسمه على باقي القرية.

ولم تطل مدة حكمه فقد قتله ابن عمه هجرس بن محمد سنة ٥٤٦ هـ، إلا أن هجرساً لم تستقم له الأمور حيث قتله ابن عمه شكر بن علي بعد سنة واحدة.

شكر بن علي بن عبد الله:

تولى حكم الأحساء بعد مقتل والده سنة ٥٤٦ هـ وكان أهل الأحساء يعانون من المجاعة وشظف العيش وتدهور الاقتصاد وتوالي الحروب، فوضع عنهم المكوس وساعدهم بالمال ليتغلبوا على تلك المحنة، وكان عالماً ورعاً شجاعاً .

وفي عهده حاول أحد زعماء البادية ويعرف بحماد النايلي مهاجمة الأحساء وقد تسلق بعض أعوانه الأسوار فاقتحموها ودخلوا المدينة، إلا أن شكراً برز إليهم وقاتلهم حتى ردهم على أعقابهم بعد أن قتل منهم مقتلة عظيمة حتى أنتنت الأرض جيفهم، لذلك سمي مكان المقتلة (الخائس) وقد توفي سنة ٥٥٦ هـ[١] .

محمد بن أحمد بن عبد الله بن علي :

تولى بعد عمه شكر بن علي، وفي أيامه امتد نفوذ العيونيين إلى نجد وبادية الشام، وقد أسند إليه الخليفة العباسي الناصر لدين الله خفارة الحاج العراقي من بغداد حتى يرد مكة ويعود منها بعد أداء الحج وقدر له في كل عام ألفاً وخمسمئة حمل من البر وألفاً ومئتي

---

(١) انظر : تحفة المستفيد ، ق ١ ، ص ١٠٧ و ١١٢ ، وانظر أيضاً :صفحات من تاريخ الأحساء ، ص ٢٢٦ .

ثوب من نسيج مصر.

وفي أيامه تجمعت القبائل العربية من ربيعة بن حارثة بقيادة زعمائهم سعيد بن فضل ومانع بن حديثة ومسعود بن بريك ودهمش بن سند بن أجود، واتفق الجميع على أخذ الحاج العراقي، وعندما بلغ الخليفة هذا الأمر بعث إلى الأمير محمد وأخبره بما نُمي إلى علمه، فجمع عرب البحرين وعرب العراق فهاجم الأعراب في (لينة)، وبعد معركة حامية انهزم المغيرون وهرب زعماؤهم والتجأ دهمش بن سند إلى مشهد الحسين بن علي رضي الله عنه فحاصره محمد حتى قبض عليه رجال الخليفة وحملوه إلى بغداد.

ومن ثم قرر محمد أن يتعقب فلول البوادي حتى وجدهم على ماء يسمى (الدجاني) غرب الدهناء، فقضى على أكثرهم وهرب الباقون الذين لاقوا حتفهم عطشاً في الصحراء.
وقد أخذ رئيس قبيلة بني عامر راشد بن عميرة بن غفيلة يحيك المؤامرات ضد محمد، فأغرى غرير بن الحسن بن شكر بن علي بن عبد الله بأن يستولي على الإمارة وتعهد بمساعدته على أن تكون الإمارة لغرير وأموال محمد لراشد، واتفقا على أن يكون التخلص منه اغتيالاً، فتحين راشد الفرصة حتى قتله سنة ٦٠٣ هـ.

الفضل بن محمد بن أحمد :[١]

بعد وفاة محمد بن أحمد نهض ابنه الفضل فكتب إلى الخليفة العباسي طالباً منه مساعدته على الأخذ بثأر أبيه، فأمده الخليفة بالمال والسلاح مما استعان به على الاستيلاء على الأحساء، فتتبع قتلة أبيه حتى قتلهم جميعاً، واستقام له ملك الأحساء والقطيف والبحرين، وقد ساعده في ذلك حاكم جزيرة (قيس) غياث الدين بن تاج الدين الذي حاول أن يفرض نفوذه على القطيف والبحرين حتى أخضع الفضل لاتفاق تخلى بموجبه عن بعض الجزر وأن يقاسمه الخراج، وكان ذلك سنة ٦٠٦ هـ، إلا أن هذا الاتفاق لم يرض علي بن ماجد فثار على عمه ونحّاه عن سدة الحكم.

(١) صفحات من تاريخ الأحساء ص٢٢٧.

وفي عهده أخذ الضعف يدب في الدولة العيونية، إذ أصبح أفراد العائلة يتعاملون مع بعضهم بعضاً بخوف وحذر. وقد وصف ابن المقرب هذه الحالة في قصيدة طويلة منها:

واعجبُ ما لاقيتُ أن بَني أبي ... لحُسامٌ لمن يَبغي جِلادي وساعِدُ

عَزيزُهم إن لُذتُ يوماً بظلّه ... رأيتُ سَموماً وهْو للخصم باردُ

وسائرُهم إمّا ضَعيفٌ فضعفُهُ ... له عاذرٌ أو مبغضٌ لي مُجاهِدُ

هُمُ ألحَموني النائبات وأولعَتْ ... بلَحمي أسودٌ منهمُ وأساوِدُ

وَهُم تركُوا عَمداً جَنابي ومَربَعي ... منَ الجدبِ لا يَرجُو بهِ الخِصبَ رائدُ

وهم شَمتُوا بي حَاسديّ وذلكُم ... من الأمرِ مَالاَ ترتَضيه الأماجِدُ

أيا فضلُ قد طَالَ انتظاري ولَم يَقُمْ ... شتاءً وقيظاً عند مِثلك وافِدُ

وقد زَالَت الأعذارُ لا الغوصُ باترٌ ... ولا البحرُ ممنوعٌ ولا الدَّخلُ فاسِدُ

ولا أنتَ محجورُ التصرُّفِ في النّدىَ ... عليكَ رَقيبٌ في نَوالكَ رَاصِدُ

ولاَ في بنَي فَضلٍ بخيلٌ وإنّهم ... إذا اغبَرَّت الآفاقُ غُرٌّ أماجِدُ

فلا تقطَعَنْ ما بينَنا من مَوَدّةٍ ... وقُربٍ وخَلّ الشِّعرَ فالشِّعرُ كاسِدُ

فَهَات فَقُل لي ما أقُولُ لأسرَتي؟ ... فَكلٌّ عن الأحوالِ لابدَّ نَاشِدُ

وَكلُّهم سامٍ إليّ بطرفِهِ ... يَظُنّ بأن الزّارع الخيرَ حَاصِدُ

فلا تتّكل يا فضلُ في الفَضلِ والنّدَى ... عَلَى سَالفٍ أسداهُ جَدٌّ وَوَالدُ

فَلاَ حَمدَ إلاّ بالّذي يَفعَلُ الفتَى ... وَلَو كَثُرَت في أوّليه المحَامِدُ

فَكُن عِندَ ظَنّي فيكَ لاظنّ عَائذٍ ... نَهَاني عَن قَصْدَيكَ فالمالُ نافِدُ [1]

علي بن ماجد بن أحمد:

نهض علي بن ماجد بن محمد بن أحمد ثائراً على الأوضاع السيئة التي انتهت إليها الدولة في عهد عمه الفضل بن محمد، وبمساعدة قبيلة العماير استطاع تنحية عمه عن

---

(١) ديوان ابن المقرب، (أبيات مختارة) ص ١٤٤ و١٤٨.

الحكم، فتولى مقاليد الحكم، فاستتب الأمن في البلاد وساد الاستقرار، وقد لاقت ثورته صدى طيباً في نفس الشاعر علي بن المقرب، فانبرى يمدحه ويعقد عليه الأمل في استرجاع أمجاد الأسرة.

ولقد استاء الشاعر كثيراً حينما قام إبراهيم بن عبد الله بن أبي جروان أحد رؤساء بني عبد القيس بمؤامرته في محاولة القبض على الأمير علي بن ماجد الذي اضطر - بدوره - إلى الهرب فخرج من البلاد، ثم تنصيبه مقدم بن غرير العيوني الذي نشأ نشأة بدوية جاهلاً بشؤون السياسة حيث استغله رؤساء العشائر لسوء إدارته فأطلق لأيديهم العنان يتحكمون في مقدرات الشعب، فعند وصول الشاعر ابن المقرب إلى مدينة القطيف أطلقها صرخة مدوية، فبعث بقصيدة إلى ابن أبي جروان بالأحساء يندد فيها بأعمالهم وسوء تصرفاتهم جاء فيها:

أرجالَ عَبدِ القيسِ كم أدعوكُمُ ... في كُلِّ حينٍ للعُلاَ وأَوانِ
لا تَسْقُطَنْ من هَامِكم وأُنوفِكُمْ ... هِمَمُ الرِّجَالِ وغَيرةُ الفِتيَانِ
وَذَروا التَّحاسُد والتَّنافُسَ بينَكُم ... فكِلاَهُما نَزغٌ مِنَ الشَّيطَانِ
لَم يَبقَ مالٌ تتَّقُون بَه العِدَى ... لِربيعةٍ فيهَا ولا قَحطَانِ
أخذوا مِنَ الأحسا الكثيبَ إلى مَحَا ... ديثِ العُيونِ إلى نُقَا حَلوَانِ
والخطُّ مِن صَفواءَ حَاذُوها فما ... أَبقَوا بِها شِبراً إلى الظَّهرَانِ
والبحرَ فاستولوا عَلَى مَا فيه مِن ... صَيدٍ إلى دُرٍّ إلى مُرجَانِ
وأمَضُّ شَيء لِلقُلوب قَطائِعٌ ... بالمَروزَانِ لهم وكُرزَكَانِ
واللّهِ لَو نَهرٌ جَرَى بِدِمائِكُم ... وشَرِبتُه غَيظاً لَما أروَانِي [1]

(١) ساحل الذهب الاسود ،ص١٦٥ وانظر أيضاً صفحات من تاريخ الأحساء ،ص٢٢٩ وانظر كذلك ديوان ابن المقرب ،ص٦٣٨و٦٣٩ .

مقدم بن غرير بن أحمد:

تولى الأمارة انتزاعاً من عمه وكان صغير السن فلم تتجاوز مدة حكمه السنتين حيث توفي بعد مرض، وفي توليه يقول ابن مقرب :

مُقَدَّمٌ كَاسْمِهِ فِي كُلِّ مَكْرُمَةٍ ... فإن نَبَا بِكَ دَهرٌ فَادعُه تُجَبُ

تَسَنَّمَ المُلكَ لم تُقبَلْ (عَوارِضُه) ... وَحَلَّ في ذُروَتَيهِ أفضَلَ الرُّتَبِ

وبعد وفاته سنة ٦١٨ هـ تولى الأمر فاضل بن معن، وقد استمرت فترة حكمه ثلاث سنوات حيث انتهت ولايته سنة ٦٢١ هـ.

محمد بن ماجد بن محمد:

انتخبه أهل الأحساء ليكون ملكاً على الأحساء والقطيف والبحرين سنة ٦٢١ هـ وهو الذي مدحه ابن المقرب بقوله :

همامٌ علت همّاتُه فكأنما ... يُحاولُ أمراً دُونَهُ السبعةُ الشُّهْبُ

عَلا كلَّ بَاعٍ باعُه وتَواضَعَت ... لِعِزَّتِه وانقَادَت العُجْمُ والعُرْبُ

سليلُ عَلاً من دَوحةٍ طابَ فَرعُها ... وَطَالت ذُرى أغصَانِها وَزَكى التُّربُ

سَمَا للعُلا من قَبلِ تَقبيلِ وَجهِه ... فَأدرَكَها والمأثُراتُ لَه صَحبُ

إلا أن محمداً اغتيل على يد ابن عمه محمد بن مسعود، لكن الأمور لم تستقم له، فلما توفي تولى ابنه الفضل الذي أخضع البلاد لرؤساء قبائل بني عامر الذين أخذوا يتعاملون معه ومع غيره بعجرفة، فاشترطوا عليه أن يسلمهم القصور والأموال والبساتين الخاصة بأسرته فخضع لطلبهم [1].

ويصف شارح ديوان ابن المقرب – محمد بن مسعود – بأنه رجل سليم القلب بليد الحس عازب الفكر، وقد اطمأن إلى نفر من جلسائه يعملون في السر على تقويض حكمه،

---

(١) صفحات من تاريخ الأحساء، ص٢٣٠ و٢٣١، وديوان ابن المقرب أيضاً ص٣١ و٣٢.

فأودع ثقته فيهم فتآمروا مع رؤساء بني عقيل، إذ دبروا خطة لتقويض دولة العيونيين، فاتفقوا معهم على أن يقوم هؤلاء بضرب حصار حول البلد حتى يضطر الأمير إلى طلب الصلح، فإذا أجاب يفرضون عليه شروطاً قاسية منها تسليم القصور والبساتين الخاصة بالأسرة المالكة، فإذا عز عليه الأمر أشاروا عليه بقبول تلك الشروط حفاظاً على المصلحة العامة وحياة الأهلين، وفعلاً تم تنفيذ الخطة، فسلم لهم ما أرادوا، وبذلك دالت دولة العيونيين في الأحساء إذ تولى عليها بنو عصفور [1].

أما القطيف فقد استولى عليها بعد محمد بن مسعود الأمير منصور وبقي في الحكم مدة ثلاث سنوات وستة أشهر، وفي أخريات أيامه استولى أبو المظفر الهرموزي على جزيرة قيس سنة ٦٢٦ هـ، وأرسل ممثليه إلى جزيرة أوال، ليقبضوا الجرايات التي كانت تدفع أيام الفضل بن محمد العيوني لملك قيس، وفي هذه السنة ذاتها احتل عسكر السلطان المنصور أبي بكر بن سعد جزيرة قيس، ثم استولى على أوال سنة ٦٣٣ هـ وبعث شهاب الدين خسرو عاملاً عليها يساعده نجيب الدين عثمان.

وبعد الأمير منصور استولى محمد بن محمد آخر الأمراء العيونيين على القطيف، وهزم عساكر السلطان المنصور التي حاولت احتلال القطيف كما استرجع جزيرة أوال أيضاً، ولكن السلطان المنصور جهز حملة سنة ٦٣٠ هـ لاحتلال الجزيرة فهزمه محمد بن محمد وبقي مقيماً فيها حتى سنة ٦٣٦هـ، وفي هذه السنة جهز السلطان حملة أخرى لاحتلالها، فاشتبكوا في معركة بالجانب الغربي أسفرت عن مقتل الأمير محمد بن محمد ثم أبحر إلى القطيف فاحتلها، وزحف على الأحساء فاستولى عليها وبذلك أسدل الستار على هذه الدولة العيونية التي عمرت نحو ١٧٦ عاماً، وتوالى على حكمها نحو من ٢١ ملكاً وأميراً على وجه التقريب.

دولة بني عصفور:

(١) تحفة المستفيد، ج ١، ص٢٣٢و صفحات من تاريخ الأحساء أيضاً ص ٢٣٢.

لما تمكن بنو عقيل من امتلاك ناصية الأمور واضمحل شأن العيونيين استولى مانع بن عصفور (من بني عامر بن عوف) على ملك الأحساء في العقد الرابع من القرن السابع للهجرة .

وقد ذكر ابن خلدون : أن آل عامر هؤلاء وفدوا على السلطان بيبرس بالديار المصريةو في مقدمتهم أحمد العقدي بن سنان بن غفيلة بن شبانة بن قديمة ابن شبانة بن عامر، فعوملوا باتم التقدير والاحترام وأفيض عليهم سابغ الأنعام، وقد توالت وفادتهم على الديار المصرية فكانوا يلقون الحفاوة والتكريم .

وقد دام الملك لأولاد مانع بن عصفور إلى سنة ٧٠٠ هـ. وفي هذه السنة استولى سعيد بن مغامس بن سليمان بن رميثة على الحكم في الأحساء إلا أن ملكه لم يدم أكثر من خمس سنوات حيث تغلب عليه جروان بن ناصر أحد بني مالك بن عامر.

آل جروان:

هم من بني مالك بن عامر وزعيمهم جروان بن ناصر، تغلب على الأحساء في عهد سعيد بن مغامس القرمطي سنة ٧٠٥ هـ واستمرت ولايته عليها إلا أنه توفي فخلفه ابنه ناصر بن جروان، فلما توفي خلفه إبراهيم بن ناصر ثم جروان بن إبراهيم.

وقد بقي الملك في بيت آل جروان إلى ما بعد سنة ٨٢٠ هـ حيث جاء في كتاب الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني أن أحد ولاة آل جروان ويدعى إبراهيم كان موجوداً سنة ٨٢٠هـ .

الجبريون:

نسبة إلى جدهم جبر العقيلي من بني عامر بن ربيعة، وأولهم سيف بن زامل بن جبر العقيلي، ومما يروى أنه كانت بين سيف بن زامل بن حسين العقيلي الجبري وبين آخر ولاة بني جروان منافسات، وكان كل منهما يتحين الفرصة للقضاء على الآخر، فأرسل الوالي إلى

سيف من يقبض عليه ويحضره إلى مجلسه إلا أن رجال الوالي لم يستطيعوا القبض عليه فسار وحده إلى مجلس الوالي ومعه بعض حاشيته، وقد أخفى سيفه تحت عباءته، فلما احتدم بينهما الحديث تناول سيفه وهوى به على رأس الوالي فقتله وجلس مكانه وأصبح حاكماً للأحساء فسار فيها بالعدل فدان له أهلها إلى أن توفي، ولم يعرف تاريخ وفاته، فخلفه أخوه[1].

أجود بن زامل بن جبر العقيلي :

ولد بالأحساء سنة ٨٢١ هـ – ١٤١٨ م فلما توفي أخوه سيف خلفه في الحكم واتسعت مملكته حتى شملت أرض البحرين وعمان ونجد وهرمز، وكان فارساً شجاعاً تعددت في جسمه الجراحات، فأقام الجمعة والجماعة، وأكثر من الحج والصدقة وتحصيل الكتب والبذل في الحرمين الشريفين، وله إلمام ببعض فروع المذهب المالكي، وقد ذكره السيد السمهودي في كتاب (وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى)، صلى الله عليه وآله وسلم بقوله :

« رئيس أهل نجد ورأسها وسلطان البحرين والقطيف، فريد الوصف والنعت صلاحاً وأفضالاً وحسن عقيدة، أبو الجود أجود بن زامل بن جبر أيده الله وسدده ».

ويورد الشيخ عبد القادر الجزيري الحنبلي في كتابه (درر الفرائد المنتظمة) : « أجود بن زامل العقيلي الجبري نسبة إلى جدّ له اسمه (جبر)، ولذا يقال له ولطائفته (بنو جبر) النجدي الأصل المالكي المذهب، مولده ببادية الأحساء والقطيف من الشرق في رمضان سنة ٨٢١ هـ، وولي بعد أخيه واتسعت مملكته بحيث ملك البحرين وعمان وانتزع مملكة هرمز من ابن أخ السلطان سرغل بن نورشاه كان استقر فيها بعد موت أبيه، وصار رئيس نجد في أتباع يزيدون على الوصف » إلى آخر ما جاء. . . [2]

ويحدثنا المؤرخ عبد الملك العصامي في تاريخ (سمط النجوم العوالي) : حج أجود بن

---

(١) صفحات من تاريخ الأحساء ص٢٣٣و٢٣٤ .

(٢) النفوذ البرتغالي في الخليج العربي ص٥٤ .

زامل سنة اثنتي عشرة وسبعمئة هجرية مع أتباع يزيدون على الثلاثين ألفاً، وقد اتخذ قاعدته قرب قرية المنيزلة، والظاهر أنها بين قرية المنيزلة والفضول حيث توجد آثار قصر لا يزال يعرف موضعه باسمه قرب قرية المنيزلة يسمى (قصر أجود). وقد توفي أجود سنة ٩١٢ هـ فخلفه ابنه محمد بن أجود [١].

سيف بن أجود :

وهناك رواية تقول إن سيفاً تولى الحكم ووسع أطراف أمارته على حساب جيرانه [٢].

محمد بن أجود :

وهو الذي استنجد به شريف مكة (الشريف بركات) للقضاء على الفوضى والعبث الذي سببه الأعراب، فسار إليها في خمسين ألفاً فوافاها في ١٧ ذي الحجة سنة ٩١٢ هـ، فطافوا بالبيت وتحللوا وكانت العساكر المصرية قد سبقتهم للقضاء على الفتنة.

صالح بن سيف بن أجود :[٣]

ثار على ابن عمه وحاربه، فلما لم يتحقق له ما يريد سافر إلى الشام وأخذ عن علمائها وأقام بها متخفياً تحت اسم (عبد الرحيم) فلما قتل ابن عمه على يد الروم عاد إلى بلاده إلى أن توفي سنة ٩٣١ هـ.

مقرن بن زامل بن أجود:

تولى بعد وفاة عمه محمد، وقد وصفه ابن إياس في (بدائع الزهور) : أنه لما دخل مكة والمدينة تصدق على أهلهما بنحو خمسين ألف دينار، فلما كر راجعاً إلى بلاده لاقته الإفرنج (البرتغاليون) فقاتلهم إلا أنهم انتصروا عليه وأسروه وحاول افتداء نفسه بألف ألف دينار

---

(١) معجم المنطقة الشرقية ، ج١، ص٨٦.

(٢) النفوذ البرتغالي في الخليج العربي ص٥٤.

(٣) صفحات من تاريخ الأحساء، ص٢٣٥.

فأبوا وقتلوه سنة ٩٢٨ هـ - ١٥٢١ م ، واستولوا على بلاده، فخلفه علي بن أجود إلا أنه لم يستقم في الولاية أكثر من شهر واحد [١] .

ناصر بن محمد بن أجود :

تغلب على عمه منذ مطلع عام ٩٢٨ هـ إلى عام ٩٣١ هـ حيث تولى قطن ابن علي إلى عام ٩٣٢ هـ ثم ابنه قطن بن قطن ، ثم خلفه عضيب بن زامل ، وفي عام ٩٣٣ هـ أخذ السلطة راشد بن مغامس الذي وصفه في (درر الفرائد المنتظمة) بقوله : سلطان الشرق الشيخ راشد بن مغامس بن صقر بن محمد بن فضل سلطان البصرة والاحساء والقطيف ، وكان قد استولى على البصرة عام ٩٣١ هـ ، ثم زحف على الأحساء واستولى عليها ، إلا أن الجبريين استردوا ملك الأحساء على يد مقرن بن عضيب ثم منيع بن سالم الذي رحل إلى العراق سنة ٩٦٩ هـ بعد أن استولى الأتراك على الأحساء . وما إن تم القرن العاشر حتى كان الأتراك قد ضبطوا أمورهم ورتبوا ولايتهم على الأحساء ، وقد أصبحت مملكة الأحساء والقطيف سنجقاً تركياً وبدأت مرحلة جديدة من الصراع بين الأتراك والعرب وبين الأتراك والإفرنج، أي البرتغاليين ، وقد استمر هذا الصراع طويلاً شهدت القطيف أنهراً من الدم مما سيأتي مفصلاً في الأبواب والفصول التالية من هذا الكتاب .

---

(١) النفوذ البرتغالي في الخليج العربي ص١٢٩ .

الباب الثالث

البرتغاليون (الجغرافيا العامة)

القطيف في عصرهم – التجارة – الأسلحة – السفن – القلاع



البرتغال :

في الماضي البعيد كان يطلق على بلاد البرتغال اليوم (لوزيتانيا) وهو ما يطلقه البرتغاليون حتى اليوم على بلادهم ، ولوزيتانيا أكبر حدوداً من البرتغال الحالية ، وكانت فيها مدينة (بورتو) (Porto) أو (Oporto) وهي عاصمة لإقليم لوزيتانيا و تقع على الضفة الشمالية لنهر (الدويرة). وبالتحديد بالقرب من المصب ويتكون اسم المدينة من شقين الأول (Caya) أو (Caia) أو (Cale) وهو اسم لإحدى القلاع المهمة هناك ، والشق الثاني يسمى (Oporto) وهو أيضاً اسم لميناء هام واقع على النهر وقد دمج الاسمان معاً Oporto (Cale) أو (Portugal) ثم أطلق بعد ذلك في القرن العاشر الميلادي على تلك المنطقة بأسرها وأصبحت تعرف باسم أراضي البرتغاليين(Territoruim Portugalense) . وقد اتفقت المصادر البرتغالية على إطلاق اسم البرتغال (Portucale) في القرن العاشر الميلادي على مجموعة من الأراضي الواقعة جنوب خط ليميا Limia [١] وظهر اسم البرتغال لأول مرة ككونتية عندما قسمت مملكة اشتورياس بين أبناء الملك أردونيو الثاني فكانت منطقة البرتغال من نصيب راميرو الثاني (٩٢٦ - ٩٥٠ م) وتضم عندئذ المنطقة الواقعة بين قلمرية ونهر (المنهو) (مينه) ووقع الاختيار على مدينة (بازو) كعاصمة لتلك الكونتية [٢] .

جاء في الموسوعة العربية العالمية ما يلي : البرتغال دولة تقع في شبه جزيرة أيبيريا في أقصى الطرف الغربي من قارة أوروبا، وتحتل أسبانيا جارة البرتغال من الشرق والشمال – باقي أجزاء شبه الجزيرة تقريباً . تواجه البرتغال من الغرب والجنوب المحيط الأطلسي ، ولشبونة هي عاصمة البرتغال وأكبر مدينة فيها . ومساحتها ٨٨,٩٤١ كم٢ وهذه المساحة باستثناء جزر ماديرا ، وسكانها حتى عام ١٩٩١ م أقل من ١١ مليون وعملتها اليوم (الاسكيودو) .

---

(١) تأسيس مملكة البرتغال ، ص ٦٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٣ .

يعيش معظم البرتغاليين في قرى ريفية . ومن القرويين أناس مهرة يبحرون عبر مياه المحيط الأطلسي العاصف في قوارب صغيرة لصيد السمك ، ومزارعون ينتجون العنب الذي يستخدم في صنع الخمور .

وخلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر استهل المكتشفون البرتغاليون المغامرون ما يمكن وصفه بالعصر الشهير للاكتشافات الأوربية . فقد قاد بارثولوميو دياز الرحلة البحرية الأولى حول رأس الرجاء الصالح في الرأس الجنوبي لأفريقيا . وأبحر فاسكو دي جاما حول الرأس ، واكتشف طريقاً بحرياً إلى آسيا . كما أبحر بدرو الفاريز كابرال إلى ما يعرف اليوم باسم البرازيل . وهذه الرحلات البحرية وغيرها أدت إلى تأسيس إمبراطورية برتغالية شاسعة شملت مستعمرات في أفريقيا ، وآسيا وأمريكا الجنوبية .

بدأت قوة البرتغال ونفوذها يضعفان في أواخر القرن السادس عشر ، ولكنها احتفظت بكثير من إمبراطوريتها لأكثر من ٤٠٠ عام [١] .

وكان أناس يعرفون بالإيبيريين يقطنون فيما يعرف الآن بالبرتغال . عاشوا هناك قبل التاريخ المكتوب ، (قبل نحو خمسة آلاف عام) . وعبر القرون جاءت جماعات أخرى متعددة إلى البرتغال . كان منهم الفينيقيون والقرطاجيون والسلت والإغريق والرومان ، والقوط الغربيون ومسلمو شمالي أفريقيا .أما اليوم فإن سكان البرتغال الحاليين مزيج من كل هذه العناصر . وارتحل إلى البرتغال منذ منتصف ستينيات القرن العشرين آلاف من السود من مستعمرات البرتغال الأفريقية السابقة . إلا أن هؤلاء السود يشكلون أقلية ضئيلة في البلاد .

إن معظم البرتغاليين الريفيين يعيشون في قرى صغيرة لصيد السمك ، أو للزراعة . وقرى الصيد تمتد على طول الساحل . واعتمد سكان هذه المستوطنات على صيد السمك

---

(١) الموسوعة العربية العالمية ، ج ٤ ، ص ص : ٢٩٣ و ٢٩٤ ، وقد عرفنا البرتغال عن هذه الموسوعة الجديدة لأهميتها في عالمنا العربي ، وانظر الصفحات من ٢٩٣ - ٣٠٣ التي نقلنا نصوصاً مختصرة منها .

لكسب قوتهم . فالرجال لهم الجرأة على الإبحار في مياه المحيط الأطلسي العاتية في قوارب صغيرة لصيد السمك ، بينما تقوم النساء والأطفال بأعمال روتينية لتنظيف السمك وإصلاح شباك الصيد .

ومع أن البرتغال مازالت بلداً ريفياً إلا أن مدنها ، وبخاصة لشبونة ، وبورتو تتطور بمعدل كبير ، ففي كل عام يتدفق على المناطق المتصلة بالمدن أعداد كبيرة من الريفيين بحثاً عن وظائف في مجال الصناعة أو أي نشاطات أخرى في المدن . وفي المدن البرتغالية مبان يرقى عمرها إلى مئات السنين [(١)] .

يرتدي معظم البرتغاليين – في المدن والقرى ، على حد سواء – الملابس الأوربية الحديثة ، ولكن بعض الريفيين يلبسون أزياء مشابهة لملابس أجدادهم . بينما يرتدي الرجال البيريهات (جمع بيريه) والقلنسوات الطويلة ، والقمصان الفضفاضة والسراويل الواسعة، وتلبس كثير من النساء ملابس طويلة وشالات في بعض المناطق ، ويرتدي البرتغالي الملابس السوداء أو المظللة تظليلاً معتماً للقيام بالنشاطات اليومية . ولكنهم يلبسون الملابس ذات الألوان المبهجة في بعض المناسبات الخاصة .

يستمتع الناس بالنشاطات الترويحية مثل الأغاني الشعبية وكرة القدم ومصارعة الثيران ، إن هي تختلف في البرتغال عما هي عليه في إسبانيا وأمريكا اللاتينية في نقطة أساسية، ففي إسبانيا وأمريكا اللاتينية تُقتل الثيران بعد المصارعة ، أما في البرتغال فهذا لا يحصل إذ لا يحق قتل الثيران في أثناء المصارعة أو بعدها [(٢)] .

اللغة البرتغالية :

أما اللغة الرسمية فهي البرتغالية ، وهي اللغة الواسعة الانتشار في البرتغال. واللغة البرتغالية كما هو الحال في اللغة الإسبانية هي إحدى اللغات الرومانسية التي انحدرت من اللغة

---

(١) الموسوعة العربية العالمية ، ص ٢٩٥ .

(٢) الموسوعة العربية العالمية ، ص ٣٩٦ .

اللاتينية . وتتشابه اللغتان البرتغالية والإسبانية في وجوه كثيرة [1] .

ويتبع معظم البرتغاليين المذهب الروماني الكاثوليكي ، وفي البلاد أيضا جماعات صغيرة من المسلمين واليهود والبروتستانت .

بقيت الكنيسة الرومانية الكاثوليكية حتى أوائل القرن العشرين تمارس تأثيرها بصفتها جزءاً من حكومة البرتغال القومية . وقد تم فصل الكنيسة عن الدولة عام ١٩١١م . فالديانة الكاثوليكية مهمة للبرتغاليين ، وبالأخص الريفيين منهم ، حيث يؤدي القساوسة الكاثوليك دوراً رئيساً في إدارة المناطق الريفية ، وفي التعليم ، وفي الحياة الاجتماعية . ومن الأنشطة المهمة في حياة الناس : الاحتفالات الكاثوليكية التقليدية، والمواكب ، والزيارات . حيث يزور كل عام آلاف النصارى البلدة البرتغالية المسماة فاتيما(فاطمة) . فهناك يقال : إن مريم العذراء ظهرت لثلاثة أطفال كانوا يرعون الأغنام في عام ١٩١٧م.

بدأ العصر الذهبي للفن البرتغالي خلال القرن الخامس عشر الميلادي ، في الوقت الذي ظهرت فيه البرتغال كقوة عالمية وبقي الوضع على ذلك حتى القرن السابع عشر . وتأثر الفن خلال هذه الفترة بالدين وأذواق الملوك وشغف البرتغاليين وحبهم للبحر.

وشيد المعماريون إبان العصر الذهبي الكنائس ونحتوا التماثيل ، كما طور هؤلاء المعماريون والفنانون طرازاً لافتاً للنظر تميز بالاستغراق في التزيين ، وعُرف هذا الطراز المفصل والمحكم باسم مانويلاين ، نسبة إلى الملك مانويل الأول ، الذي حكم في الفترة من ١٤٩٥ إلى ١٥٢١ م وكفل العديد من الفنانين تحت رعايته . والنموذج الشهير للفن المانويلاني هو إطار نافذة كنيسة تومار ، الذي تم تشكيله ليشبه المواد البحرية مثل المرجان (حجر قرنفلي) والطحلب البحري ، وشباك السفن وحبالها . ونال نون غونز القس شهرة في العصر الذهبي، بفضل لوحاته التي رسمها للقديسين والملوك والأمراء . وكان أشهر عمل أدبي في العصر الذهبي هو أس لوزبادس للكاتب لويز دي كامو ، نشرت هذه الملحمة المطولة التي تحكي

---

(١) المرجع السابق، ولمزيد من المعلومات انظر ص ٣٠٣ من المرجع نفسه .

منجزات البرتغال التاريخية وأبطالها عام١٥٧٢م.

نبذة تاريخية :

عاش إنسان ما قبل التاريخ على وجه الاحتمال فيما يعرف الآن بالبرتغال قبل أكثر من مئة ألف عام . ولكن السكان المعروفين في المنطقة كانوا ينتمون إلى مجموعة من الأيبيريين الذين عاشوا في شبه جزيرة أيبيريا البرتغال حالياً وإسبانيا على الأقل منذ خمسة آلاف عام مضت .

احتلت جماعات كثيرة شبه جزيرة أيبيريا في العصور القديمة . فقد أقام الفينيقيون – الذين قدموا من الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط مستوطنات لهم فيها في القرن الحادي عشر قبل الميلاد . وأقام السلت من شمالي أوروبا فيها خلال القرن العاشر قبل الميلاد . ووصل إليها الإغريق في القرن السابع قبل الميلاد ، واستولى القرطاجيون الأشداء الذين قدموا من مدينة قرطاج في الشمال الأفريقي على معظم شبه جزيرة أيبيريا خلال القرن الخامس قبل الميلاد [(١)].

في عام ١٤٦ ق . م. هزمت الإمبراطورية الرومانية الفتية قرطاج في الحروب البونية (٢٦٤–١٤٦ق.م) . وكجزء من تسوية سلمية ، استعادت روما سيطرتها على شبه جزيرة أيبيريا . وتدريجياً احتل الرومان شبه الجزيرة ، ثم احتلوا ما يعرف اليوم بالبرتغال في أيام السيّد المسيح عليه السلام .

عمّر الرومان ما يعرف اليوم بالبرتغال ، وأسسوا فيها المدن وشبكة من الطرق وأصبحت اللغة اللاتينية التي استعملها الرومان أساس اللغتين البرتغالية والإسبانية . واعتمدت الإمبراطورية الرومانية النصرانية ديناً رسمياً لها في أواخر القرن الرابع الميلادي . وبدأت البرتغال تتطور تحت الحكم الروماني لتصبح أرضاً نصرانية ، وأطلق الرومان على الجزء

---

(١) الموسوعة العربية العالمية ص ٣٠٠ ، وانظر أيضا المعلومات نفسها في

GROLIER ACADEMIC ENCYCLOPEDIA (P) VOLUME 15 , PP 448 & 456 .

البرتغالي من شبه جزيرة أيبيريا اسم لوسيتانيا .

القوط الغربيون والمسلمون :

وقد اندفعت قبائل جرمانية عبر الإمبراطورية الرومانية الغربية في القرن الخامس الميلادي، وكانت من عوامل انهيارها في عام ٤٧٦ م، واحتل القوط الغربيون إحدى هذه القبائل وكانوا يدينون بالنصرانية في شبه جزيرة أيبيريا، وبقيت البرتغال أرضاً نصرانية تحت حكمهم .

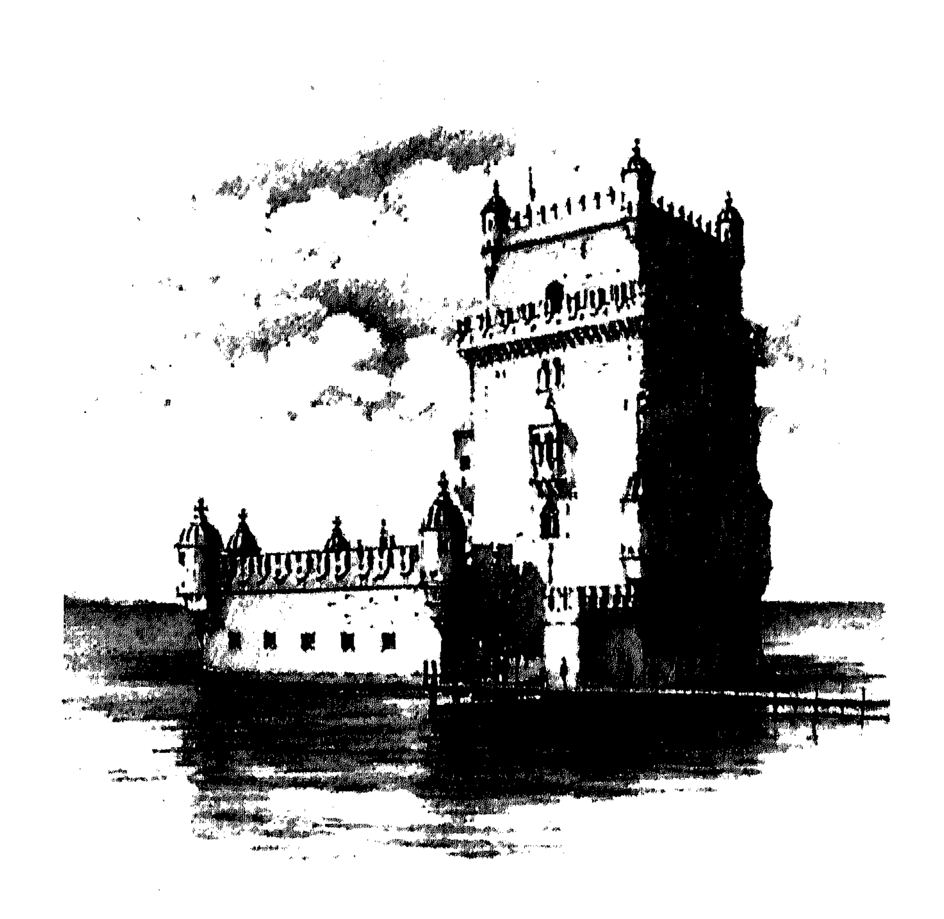
وفي بواكير القرن الثامن الميلادي ، نهاية القرن الأول الهجري فتح مسلمو شمالي أفريقيا معظم ما يعرف اليوم بالبرتغال وأسبانيا . وأثروا في الحضارة البرتغالية من نواح شتى ، فقد أنشأوا المباني على الطراز الإسلامي ، وطوروا التعليم ، وأنظمة الطرق .

تاسيس الدولة البرتغالية :

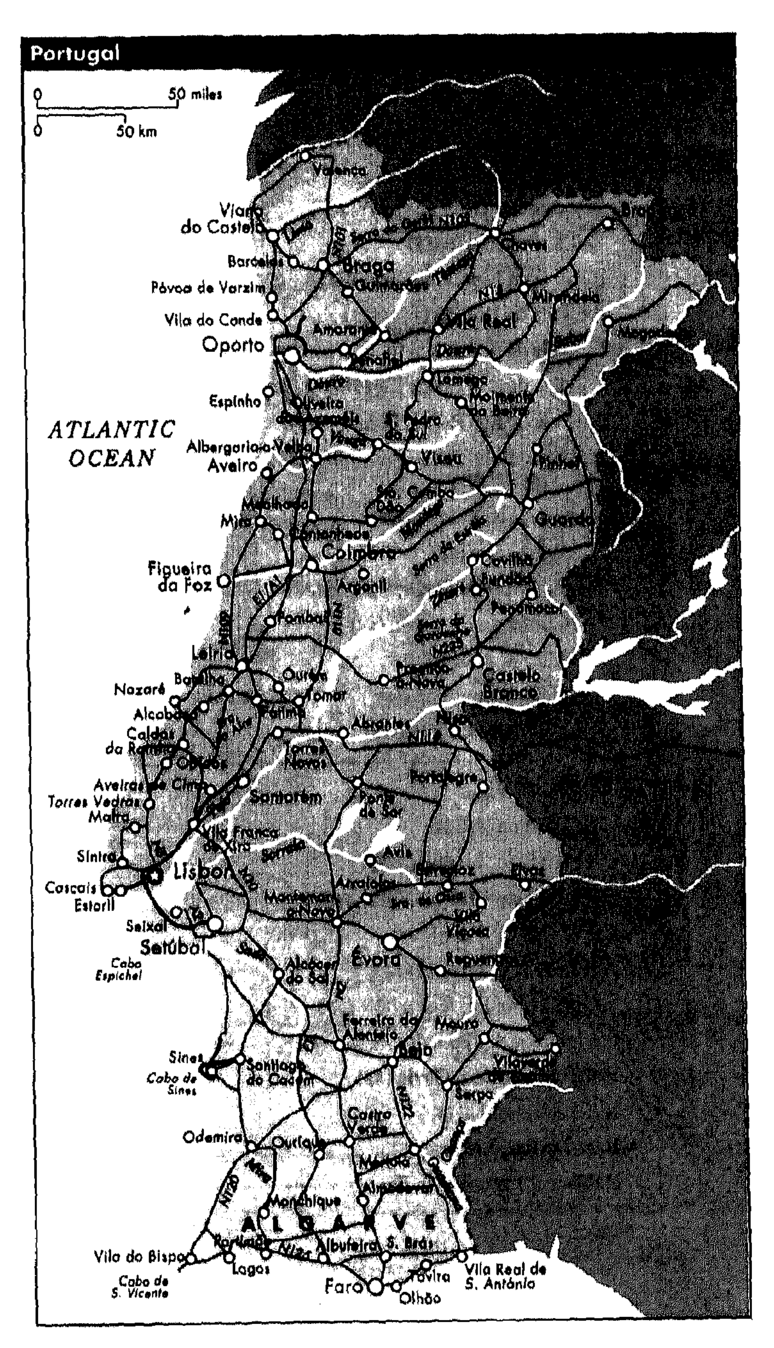
انضم هنري البيرغندي ، أحد النبلاء الفرنسيين إلى نصارى شبه جزيرة أيبيريا في حربهم ضد المسلمين. وكافأ ألفونسو السادس ملك أسبانيا ، هنري بمنحه إقليمي بورتو وكويمبرا فيما يعرف اليوم بشمالي البرتغال . وأطلق ألفونسو على هنري لقب كونت البرتغال . وكانت البرتغال آنذاك جزءاً من إسبانيا .

ولقد حقق ألفونسو هنريك ، ابن هنري ملك برغنديا ، انتصارات عديدة على المسلمين. وفي عام ١١٤٣ م منح لقب ملك البرتغال ، وأسس فيها مملكة مستقلة عن إسبانيا التي بقي فيها المسلمون حتى عام ٩٠٠ هـ، ١٤٩٤ م .

وفي عام ١٣٨٥ م جاءت إلى عرش البرتغال أسرة ملكية جديدة ، هي عائلة أفيز ، وأصبح الملك جون الأول أول ملك أفيزي . هزمت جيوشه القوات الإسبانية وساعدت في تأمين استقلال البرتغال من جارتها القوية في الشرق ، عقد الملك جون تحالفاً مع إنجلترا، لا يزال قائماً ويعد أقدم تحالف سياسي قائم في أوربا .



منظر من البرتغال



خارطة البرتغال

عصر الاكتشافات :

كان التجار وصيادو السمك البرتغاليون قد أبحروا بعيداً عن موطنهم في عمق المحيط الأطلسي قبل القرن الخامس عشر الميلادي [1] . وما إن حل هذا القرن حتى تجمع لدى البرتغاليين قدر كبير من المعلومات عن البحر ، وكانوا قد أتقنوا مهارات الملاحة البحرية والمقدرة على بناء سفن قادرة على الإبحار بعيداً .

برز اسم هنري الملاح ابن الملك جون الأول ، كشخصية قيادية في بروز البرتغال. ولم يذهب بنفسه في رحلة بحرية ، لكن دراساته أسهمت في خبرات البرتغاليين البحرية ، فقد كان يشجع ويدعم كثيراً من الاكتشافات .

وصل البحارة البرتغاليون إلى جزر ماديرا عام ١٤١٩ م والآزور عام ١٤٣١م. وعند وفاة هنري الملاح عام ١٤٦٠ م ، كان البرتغاليون قد اكتشفوا الساحل الأفريقي الغربي وتوغلوا إلى الجنوب حيث وصلوا إلى ما يسمى اليوم سيراليون . في عام ١٤٨٨م أبحر مركب برتغالي يقوده بارتلوميو دياز حول رأس الرجاء الصالح ، في الرأس الجنوبي لأفريقيا . كانت الرحلة أول عمل يقوم به الأوربيون في الدوران حول هذه النقطة . وأصبح مانويل الأول المسمى مانويل المحظوظ ملك البرتغال . وفي عام ١٤٩٥م قرر زيادة قوة بلاده وأهميتها بأن يدعم رحلة بحرية جريئة للدوران حول جنوب أفريقيا حتى آسيا . تسلم فاسكو دي جاما هذه المهمة عام ١٤٩٧ م وقاد أربع سفن حول رأس الرجاء الصالح ، ووصل الهند عام ١٤٩٨ م وأرسل مانويل بعدها بدرو ألفاريز كابرال ليتبع طريق دي جاما ، ولكن كابرال خرج عن المسار . وفي عام ١٥٠٠ م وصل أسطوله إلى الساحل الشرقي لما يسمى اليوم البرازيل . ولقد وصل البرتغاليون أيضاً إلى شواطئ أفريقيا وشبه الجزيرة العربية والجزر الماليزية، وجزر الهند الشرقية، وإلى بلاد الشرق .

---

(١) الموسوعة العربية العالمية ص ٣٠٠ .

الإمبراطورية والثروة :

اندفع المستوطنون والجنود البرتغاليون المكتشفون يؤسسون المستعمرات . وما إن جاء منتصف القرن السادس عشر حتى كان تحت سيطرة البرتغاليين إمبراطورية شاسعة فيما وراء البحار ، شملت مستعمرات ما يعرف اليوم بالأقطار الأفريقية : أنجولا ، والرأس الأخضر ، وغينيا بيساو وموزمبيق وساوتومي ، وبرنسيب . وشملت أيضاً البرازيل وماليزيا وإندونيسيا والصين .

كسبت البرتغال ثروة كبيرة من مصادرها في المستعمرات حيث انتفعت من تجارة البهارات في آسيا .كما حصلت على الذهب من أفريقيا ، واشتركت في تجارة الرق .

وحصلت الإمبراطورية البرتغالية على أراض جديدة. وكذلك أنتج المزارعون في البرازيل وأفريقيا ، وفي الأماكن الأخرى ، الحاصلات التي أضافت قوة إلى اقتصاد البلاد[1] .

سنوات الانحطاط :

ظلت البرتغال متمسكة بإمبراطوريتها حتى القرن العشرين ، وعلى الرغم من ذلك تراجعت كقوة اقتصادية وقوة عالمية في وقت مبكر .

وبمراجعة تاريخ الإمبراطورية منذ القرن السادس عشر يتبين أنه كانت هناك علامات تدلّ على أن البرتغال اتسعت أكبر من حجمها . واكتشفت الدولة الصغيرة أنها تملك سفناً قليلة، ومستوطنين وجنوداً ، وبحارة أقل مما يتيح لها إدارة الإمبراطورية الشاسعة الأطراف وتأمين الحماية لها .

وخلال القرن السابع عشر بدأت الدول الأوربية المنافسة ، بما في ذلك إنجلترا ، وهولندا وفرنسا تسيطر على أجزاء من الإمبراطورية .

شاركت السياسات الداخلية ونتائج محاكم التفتيش في عوامل انحطاط البرتغال .

---

(١) الموسوعة العربية العالمية.

واكتسب ملوكها قوة كبيرة ، وحكموا الناس حكماً قاسياً. وكانت محاكم التفتيش محاولة من قبل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية لإنهاء الإلحاد (الهرطقة) ، وبالإضافة إلى ذلك ألحقت أضراراً جسيمة بالتطور الثقافي والاقتصادي للبلاد [١] .

الفتح الإسباني :

احتلت إسبانيا البرتغال عام ١٥٨٠م ، وحكمت القطر ستين عاماً . وفي عام ١٦٤٠ م قاد جون دوق براجانزا عصياناً أخرج فيه الإسبان واستعاد استقلال البرتغال وأصبح جون أول ملك من عائلة براجانزا ، آخر سلالات ملوك البرتغال . ولقد أخذ جون هذا لقب جون الرابع [٢] .

نهضة محدودة :

دخلت البرتغال فترة انتعاش اقتصادي قرابة سنة ١٦٦٠ م ، إذ أضافت ثروات من مستعمراتها في البرازيل مثل الذهب والماس ، والحاصلات الزراعية إضافة كبيرة إلى اقتصاد القطر . كما ساعدتها المعاهدة التجارية مع إنجلترا في عام ١٧٠٣ م، والمسماة معاهدة ميثيون التي ضمنت استقراراً تجارياً عاد بالنفع على البلدين .

كذلك ساعدت بريطانيا البرتغال في تأكيد وضعها بصفتها دولة مستقلة. حاولت إسبانيا استعادة سيطرتها على البرتغال ، لكن إنجلترا بصفتها عدواً لإسبانيا تعهدت بتقديم الدعم للبرتغال ضد الغزاة .و بين عام ١٧٠٣ م ومنتصف القرن التاسع عشر ، قام الإنجليز مرات عديدة بمحاولات لحماية البرتغال من محاولات غزو وتهديدات إسبانيا أو حليفاتها . وقد احتلت القوات الفرنسية ، تحت إمرة نابليون الأول البرتغال عام ١٨٠٧ م ، لكن إنجلترا حشدت جيشاً بقيادة دوق ولنجتون وتمكنت أخيرا من طرد القوات الفرنسية من البرتغال عام ١٨١١ م . وهذه الفترة القصيرة التي حكم فيها الفرنسيون البرتغال كانت آخر مرة

---

(١) الموسوعة العربية العالمية

(٢) المصدر نفسه، وعجمان في ذاكرة الزمان ص ٣٦ .

تخضع فيها البرتغال لحكم أجنبي [1] .

العصر البرتغالي :

منذ أواخر ١٤٩٥ م والبرتغاليون يطمعون في غزو العالم والسيطرة عليه، ومن المؤرخين مَن يرى أنهم دخلوا المحيط الهندي والخليج سنة ١٥٠٢ ، و١٥٠٣ أو ١٥٠٧ م حتى أخروجهم سنة ١٦٢٢ م من هرمز ومن مالاقة بالهند سنة ١٦٤١ م، وباختلاف السنوات التي سيطرت فيها كل دولة على تلكم البقاع فإن تاريخ تلك العهود اتصف بالدموية وهناك آلاف الصفحات السوداء من سيرة ذلك السرد التاريخي لعصور هؤلاء القوم وما أحدثه غزوهم من نتائج سلبية في إسالة الدماء والدمار والحرق والتخريب في مقدرات الشعوب وإشاعة الفوضى وإنهاك الاقتصاد غير ذلك من السلبيات .

الدوافع الدينية للسيطرة على العالم :

إن النجاح التجاري الذي حققه الملك مانويل الأول خوّله بإضافة لقب (سيد غزو الملاحة وتجارة الهند وأثيوبيا وبلاد العرب وفارس) إلى ألقابه ، وبارك البابا هذا اللقب .

ومن المؤكد أن الهدف الأول كان ذا طابع تجاري . إلا أنه تلون بلون (صليبي) لا يمكن إنكاره لدى فاسكو دي جاما وألفونسو دي البوكرك ، وقادة البرتغال . ويبدو بشهادة جواد دو باروس المؤرخ البرتغالي من القرن الثامن عشر أن نشاطهم في هذه المنطقة من العالم كان من أكثر الأنشطة تهديماً :

« لقد خص الله البرتغال بنعمة أن كتب لهم غزوَ الكفار وخاصة العرب منهم الذين غادروا بلادهم الواقعة في الشرق ووفدوا إلى بلادنا في الغرب » .

وقد كانوا يظنون أن العرب سوف ينزلون الويلات بإسبانيا وتدمير أراضيها وإتلافها ،

---

(١) الموسوعة العربية العالمية ص ٣٠١ (نصاً) ، ولمزيد من المعلومات يرجى مراجعة المصدر حتى الصفحة رقم ٣٠٣ . وانظر أيضاً : صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي الصفحات ١١٣ - ١٢٠ ، وانظر أيضاً :
The world Book encyclopedia (P) Vol. 15 , USA 1995, PP689 & 708.

عقاباً لها على خطاياها ، ثم قضت إرادة الله أن يمارس البرتغاليون حقهم الطبيعي هذا ، بعد انقضاء قرون عديدة وبالطريقة ذاتها (هكذا كانت رؤاهم) ، بحد السيف ليس فقط في الجزيرة العربية الجدباء ، حيث دمروا مدنها وأحرقوا منازلها وسبوا نساءها وأطفالها ، واستولوا على الثروات وملكوا مدنها ، ولكن في بلاد الفرس أيضاً » .

لا تحتاج هذه الأقوال إلى تعليق ، وإذا أضفنا إليها الأرباح التجارية التي بلغت ٣٠٠٠ ٪ من بضائع الشرق فلن يصعب علينا أن نتخيل الحمَّى التي أصيب بها البرتغاليون في الانقضاض على المدن الهندية والأفريقية والعمانية وكذلك هرمز وصحار والبحرين والقطيف والبصرة فيما بعد [١] .

يقول المؤرخ البرتغالي : جواو دو باروس :

(غزا البرتغاليون الفرس ، وهم شعب ذاع صيته نظراً لقدم بلادهم وكثرة أسلحتهم وعراقة حضارتهم ، وقد دفع الفرس ثمن إهانتهم لإسبانيا؛ لأنهم اعتنقوا ديانة أولئك العرب المتخلفين) !!!

أهمية القطيف في العصر البرتغالي :

القطيف إحدى الدويلات في حوض الخليج وقد مرت عليها عهود مختلفة، ففي العصر البرتغالي كانت ذات استقلالية شأنها شأن البحرين والبصرة وهرمز وصحار ومسقط وعدن وقيس والأحساء وقطر وغيرها من الدويلات والإمارات التي تتحكم فيها مشيخات، سواء أكانت عربية أم سناجق أم ألْوِية تركية، وكانت ملاحياً لا تقل أهمية عن باقي موانئ الدويلات في حوض الخليج، فقد تعددت البنادر فيها لكثرة مدنها الساحلية إلى جانب محصولها السنوي من الإنتاج الزراعي وبالذات التمور وغيره من الغلال حتى إن كثيراً من شيوخ وحكام الدول في تلك الفترة كانوا يملكون بساتين النخيل العامرة في مناطق واحة القطيف. وهناك شواهد تاريخية واقتصادية كلها تدل وبوضوح تام على أنَّ القطيف إحدى

(١) عمان (الديمقراطية الإسلامية) ص ٩٣ ، وانظر أيضاً : عجمان في ذاكرة الزمان ، ص ٣٢ و ٣٣ .

الدول التي لا تقل أهمية عن بقية الدويلات والمشيخات التي برزت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين ، هذا، إن لم تكن قد فاقت بعض الدول أو الإمارات في بعض المراحل التاريخية لاتساع رقعتها الزراعية ووفرة محصولها، إلى جانب استخراج اللؤلؤ بكميات تجارية لا تقل أهمية عن أية دولة أخرى. وهذه الأهمية البارزة جعلتها قبلة للغزاة والطامعين في خيراتها فغزوها عبر السنين دون كلل أو ملل من البر والبحر .

هل تأثر القطيفيون بالبرتغاليين ؟

لا أعتقد – جازماً – أنهم تأثروا بهم ، وذلك لأسباب عديدة، فالبرتغاليون غزاة وكفرة في نظر المواطن في ذلك العصر ، فإلى جانب أن البرتغالي غازٍ فهو كافر لا يدين بدين أهل البلاد وإلى جانب حاجز اللغة فالتخاطب معدوم والثقة مهزوزة والتعامل حذر إلى أبعد الحدود، فالغازي لا يريد خيراً لأحد ويحسد الآخرين على النعمة التي في يد غيره مهما كان نوعها ، فلم يلبس القطيفيون ملابس شبيهة بملابس هؤلاء الغزاة ، ولم يبنوا سفناً مثل سفنهم ، ولم يتعلم أحد لغتهم ليتحدث معهم أو يكتب بها ، وبمعنى آخر: أن التأثر بالبرتغاليين كان معدوماً ، وهناك من يرى من اللغويين بأن اللهجة الشعبية الدارجة في منطقة القطيف والخليج عموماً فيها شيء من أسلوب البرتغاليين وحديثهم وفي بعض المفردات من لغتهم مثلاً ، لكنّ هذا ليس شرطاً، وإن كان فهو من باب السخرية فقط وأنهم يضيفون إلى بعض المفردات (أو) أو (ووه) في نهاية الكلمة مثلاً (عبدووه) و(جمعووه) وأن اللغة البرتغالية فيها (أو) في نهاية معظم كلماتها كما في مدنهم مثلاً : (S. ANTO) و (NIO) و (ESPINHO) و (OPORTO) و (AUEIRO) وغيرها من مفرداتهم التي تنتهي بحرف الواو الممدود (OO وو) :

أربعة	QUATRO	محرفة من ربع الإنجليزية QUARTER
خمسة	CINCO	
ثمانية	OITO	
قارب	BABCO	
دجاجة	FRANGO	
كعك	BOLO	
بوظة	GELADO	
السبت	SABADO	محرفة من العربية السبت
الأحد	DOMINGO	

وكذلك الشهور جانيورو ، فيفريرو ، مارسو ، مايو ، جولو ، اوغستو ، سبتمبرو ، اوكتوبرو ، نوفمبرو ، ديزيمبرو ، وهذا موجز فقط ليطلع القارئ على شيء من طريقة الأداء في اللغة البرتغالية .

الغوص كما يصفه البرتغالي بيدرو تيخسيرا :

هذا تقرير عن الغوص في البحرين وهو نسخة طبقَ الأصل من الغوص في الخليج ، إلى جانب أن القطيف جزء من البحرين في معظم حقب التاريخ .

يبدأ الغوص في المنطقة [1] في شهر يونيو وأحياناً في يوليو حتى شهر أغسطس ويتكون أسطول الغوص من مئتي سفينة أو ربما أقل، مئة من البحرين وخمسين من جلفار (رأس الخيمة) وخمسين من نخيلو وتتجه هذه السفن إلى ساحل قطر على بعد عشرة فراسخ جنوب الجزيرة وبعد صيد الأصداف تفتح لاستخراج اللؤلؤ منها وتمتاز لآلئ البحرين بالجودة

---

(١) نقصد بها هنا البحرين والقطيف وقطر وسواحل إيران كذلك. وتكرار كلمة البحرين في هذا التقرير يقصد به القطيف أيضاً لأن البلدين ذوا تاريخ مشترك في معظم حقب التاريخ ، إلى جانب أن مغاصات اللؤلؤ كانت مفتوحة ومشتركة بين سفن جميع الدول في حوض الخليج منذ القدم .

والوزن الثقيل ولو قارنا لؤلؤة بالحجم نفسه من مكان آخر مع لؤلؤة من البحرين نجد أن وزن البحرينية أكبر ويبلغ حجم تجارة اللؤلؤ في البحرين خمسمئة ألف (ركتنا) وذلك غير الكمية الكبيرة المهربة بعيداً عن الحكومة الهرمزية تحاشياً للضرائب ،وتدفع البحرين سنوياً إلى قائد هرمز مبلغ أربعة آلاف (ركتنا) ضرائب من إيرادات اللؤلؤ فيها (وذلك قبل دخول الفرس إلى البحرين) .

وتستخدم أوزان القيراط والمثقال في عملية وزن اللؤلؤ ويعتبر قيراط عباس ثلث القيراط وكل أربعة وعشرين قيراطاً مثقال واحد ويعادل المثقال عشرين أو ثلاثين أو حتى أربعين لؤلؤة صغيرة .

ويغوص الغواص في البحرين بعد ربط الحجر في قدمه وإلى عمق اثني عشر باعاً . وهناك مغاصات أخرى تستخدم في شهر سبتمبر قرب نخيلو والبحرين وجلفار وأخرى قرب مسقط وراس الحد وبعضها تقع في بحر هرمز الضيق [1] ، ولكن لا تمتاز هذه المغاصات بالوفرة ، أما عن المغاصات الشرقية الأخرى المسمّاة (تيلاو)، وسميت هذه المواقع على اسم ميناء في جزيرة (سيلان) في السابق وتعني المصائد باللهجة المحلية والتي يطلق عليها لهجة (الشانجلا) . ويدخل موسم الغوص في سيلان في شهر أبريل وبداية مايو وذلك قرابة شهر أو شهرين في بداية موسم الغوص في البحرين وذلك لأن الصيف يأتي مبكراً إلى سيلان عنه في البحرين ، والبحر يكون هادئاً ويتكون أسطول سيلان من أربعمئة إلى خمسمئة سفينة تحمل كل سفينة من ستين إلى تسعين بحاراً ثلثهم (كروه) (غيص) والباقون (مانديسا اليب) ويكون كل اثنين منهم فريق غوص واحد وتنقسم السفينة إلى عدة أجزاء (بتاقا) وتعني حجرة أو جزءاً من تجويف السفينة حيث يضع كل غواص ما يصطاده مستقلاً عن غيره ويسمون البحار (ثيبو) ولا يقومون بفتحها حتى يؤذن لهم بعد توقف الصيد وتستمر عملية فتح الصدف ستة عشر يوماً وتصطاد كل سفينة يومياً من مئة إلى ألف

---

(١) قمنا بتصحيح بعض المعلومات ؛ لأن التقرير لم يكن سليماً .

محارة ويحاولون ألا تصطادكل سفينة أكثر من ذلك محافظة على أسعار اللؤلؤ أو بعد مضي ستة عشر يوماً من الصيد وإن كان الصيد غير كاف تمدد فترته إلى نصف (بيك) أربعة أيام أو (بيلو كامل) (٨ أيام) و (يكافأ) الغواص يومياً لقيامه بعمله (أي يعطى نقوداً مقابل العمل أو يعطي ما يصطاده الغيص في غطسة واحدة لربان السفينة ويحتفظ بالباقي لنفسه (لذا توضع كل مجموعة على حدة) ويقرر الربان المجموعة التي يختارها لنفسه ، وفي نهاية كل أسبوع له صيد يوم كامل وتقدم كل سفينة صيدَ يومٍ كامل لحاكم المدينة (مدينة مدوره) وكانت في السابق تقدم كمية لزوجة قائد الحامية البرتغالي ولكن أوقفت هذه العادة الآن بأمر من رؤساء الشركة (اليسوعيين) والذين يديرون منذ بداية القرن السابع عشر الأمور التجارية والدينية لسكان الساحل الشمالي الغربي للجزيرة رغم معارضة (الرهبان الفرنسيسكان) ولقد أوقف اليسوعيون ما كان يقوم به القائد البرتغالي لمخالفته النظام . ويغوص الغواص إلى عمق عشر أبواع وتشارك سفينتان برتغاليتان في حماية أسطول الصيد خشية هجوم قراصنة ملبار ويشترك ما يقارب من خمسين إلى ستين الف من التجار والبحارة وصيادي الأسماك والخدم في موسم الغوص ويقيمون في معسكرات متنقلة وتبلغ إيرادات اللؤلؤ مليون ونصف من العملات الذهبية كل عام .

وبعد انتهاء موسم الغوص يعلن عن بدء فتح المحار وتلتقط اللآلئ إن وجدت في المحار وتؤخذ إلى ميناء توتان كوري حيث يقام سوق لبيع اللؤلؤ من شهر يونيو حتى أكتوبر ويتم تسعير اللؤلؤ بطريقة قياس (الجو) وتباع اللآلئ في مبان مثل مبنى الجمارك حيث يشرف عليها دلالون تابعون لحاكم البلاد (النايك) الذي يأخذ ٤ ٪ من سعر البيع ولا يأخذ أي شيء من المشتري ، وللمشتري حق تغيير رأيه بعد يومين دون جزاء .

إلى جانب عملية البيع المنظمة تتم معاملات سرية في اللؤلؤ المهرب تحاشياً من ضرائب الحاكم وتشترى وتباع حسب نظام (الجو) أيضا، وتوجد لآلئ في الصيد ولكنها ليست بالجودة نفسها وتسمى (توبوس) (أغطية) لأشكالها الغريبة.

لقد كتب الكثير عن اللؤلؤ ، وقيل بأن اللؤلؤ يتكون نتيجة نقطة مطر تسقط داخل المحارة حيث لا يعقل أن تطفو هذه المحارة الثقيلة إلى السطح لكي تبتلع نقطة المطر ونعلم أيضاً أنه كلما كانت المحارة في عمق أكبر كانت اللؤلؤة أكثر جودة .

وذكر تيخيسرا أن هناك جزءاً من المحارة لو قطع وصقل يتحول إلى لؤلؤة كما لو كانت غير ملتصقة ، ولذا أؤكد أن اللؤلؤ يتكون من مادة المحارة نفسها بسبب أو آخر ويساعدني في هذه الفرضية أن تركيب اللؤلؤ هو تركيب المحارة الحاوية لها نفسها . ولكن أتعجب من الأطباء الذين يستخدمون اللؤلؤ في الوصفات الطبية [1].

لؤلؤ القطيف في نظر البرتغال :

من الأهداف التي يطمح إليها ملك البرتغال مانويل الأول في تلك الفترة الزمنية هو الحصول على اللؤلؤ الخليجي لما يتمتع به من صفات وشهرة عالمية منذ القدم وكان في البحرين وكيل للملك يجمع اللؤلؤ نظراً لأهميته الاقتصادية وفي التقرير التالي الذي كتبه جون هيوفان لينخوتن[2] في أثناء رحلته إلى الهند الشرقية في ٨ / ٤ / ١٥٨٤ م مايثبت لنا ذلك ،وقد ترجم النص عن البرتغالية إلى الإنجليزية بوساطة آرثر كوك بدنل (فارس إمبراطورية الهند) الذي كان موظفاً في دائرة الحكومة في مدراس سنة ١٨٨٥ م :

تسمى اللآلئ البرتغالية (بيرالوس) [3] والصغار منها تسمى (الجفار) وباللغة اللاتينية (مارجريتا) وبالعربية (اللؤلؤ) وفي الهند تسمى (موتى) وفي ملبار (موتيتو) وتجد اللآلئ الجيدة في بلاد الشرق وأجودها في تلك البلاد الواقعة بين هرمز والبصرة في مضائق خليج فارس وفي البحرين والقطيف وجامبرون [4] وتنقل هذه اللآلئ من هذه البلاد إلى هرمز وهناك وكيل لملك البرتغال في البحرين ، يقيم بها من أجل اللآلئ فقط وهناك حركة

---

(١) تاريخ الخليج والبحر الأحمر ، في أسفار بيدرو تيخسيرا ط ١ ، س ١٩٩٦ م ، ص ١٠٤ / ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٢) من قرية لينخوتن في مقاطعة اوترت حيث ولد فيها سنة ١٥٦٣ في هولندا أيام الاحتلال الإسباني .

(٣) تاريخ البرتغاليين في الخليج العربي ص ٩٨ .

(٤) بندر عباس في العهد الصفوي حتى اليوم .

تجارية قوية وتجار يتعاملون في تجارة اللؤلؤ .كما توجد اللآلئ في سيلان وفي رأس كمرين وبكثرة وكما في البحرين وفي هذه المناطق ضباط برتغاليون ممثلون للملك ، يساعدهم جنود برتغال في عملهم .

ويعتمد سكان هذه المناطق على صيد اللؤلؤ ويدفع بعضهم الثمن إما بالغرق أو بعد أن تهاجمه أسماك (توبارونس) أي أسماك (القرش) .

ومع الوفرة الكبيرة فإن لؤلؤ هذه المناطق لا يضاهي لآلئ هرمز والتي تباع بأثمان أكبر من لآلئ سيلان . وبنسبة أقل من المناطق السابقة ، وتوجد لآلئ في جزيرة (بورنيو) و(عينون) على ساحل (كوشين) ولكن تبقى لآلئ هرمز أجود منها جميعاً.

– كما يقال – في سيلان يغوص الغواص من أجل هذه اللآلئ الصغيرة منها في القاع والكبيرة منها (تعوم إلى السطح) ، ولا يرتدي الغواص أي شيء ويحمل معه سلة مربوطة في جسمه ليضع فيها المحار الذي يجمعه على عمق عشرة إلى عشرين باعاً .

وعندما يخرج من الماء يضع المحار على ظهر السفينة وبعدها يقوم الرجال بوضع هذا المحار في الشمس حتى يجف ليؤدي إلى فتح المحارة ، حتى يتسنى للغاصة جمع اللآلئ الصغيرة.

في نهاية موسم الغوص يعود البحارة وربابنة السفن ومراقب ديوان الملك إلى اليابسة وتوزع اللآلئ إلى مجموعات واحدة منها للملك والثانية لربان السفينة والثالثة (للآباء اليسوعيين) والذين يقيمون هناك، وهم الذين قاموا بالتبشير المسيحي في البلاد ، أما الجزء الرابع فللبحارة .

توزع هذه المجموعات بطريقة يسودها العدل والمساواة ويخرج الناس في موسم الصيف فقط ولا يمر عام دون أن يغرق أحد الغواصين عند مصائد الملك الواقعة عند رأس كومرين وكثيراً ما ينتهي موسم الغوص ببكاء النساء والأطفال الذين فقدوا أزواجاً وآباءً أو أقارب لهم . ومع ذلك فإن العمل نفسه يأخذ مجراه ويخرج الناس للغوص بدافع من البرتغاليين إلى جانب كونه المصدر الأساس للكسب والعيش.

ويغامر الناس بالغوص لأنه رغم المصاعب يحصلون على اللؤلؤ والكثير منه أحياناً ولكن لا يمنع ذلك أنهم أحيانا لا يحصلون على شيء أبداً .

يسمي الهنود المحار الذي يحتوي على أجود لؤلؤة (جريبو) ويستخدمون هذا المحار في صناعة الأكواب والملاعق .

ويقوم تجار اللؤلؤ بتصنيف اللؤلؤ بفصل الأحجام المتشابهة بوساطة (منخل نحاسي) وتباع الأحجام المتساوية بالسعر نفسه في كل حالة وترتفع الأسعار كلما كبرت الأحجام وهكذا حتى ثمانية أحجام ، أما الباقي والذي يعتبر أصغر حجماً من الجميع فإنه يباع بالأوقية وتسمى هذه الأحجام (الجوفر) أو (اليوفار) ويشتريها البرتغاليون ويحملونها معهم إلى البرتغال والبندقية ويقوم الهنود بتلميع اللآلئ باستخدام الأرز المجروش مع الملح فضلاً عن نوع آخر من المحار. وتستخدم هذه الأنواع للزينة أو آنية للشراب، ويطلى بعض منها ويُزيّن .

وتستخدم في الهند في صناعة الأثاث الخاص بالبحارة أو أدوات الزينة أو حتى أجزاء من أم المحار تستخدم في أغراض منزلية كثيرة وبعض منها يصل إلى البرتغال للأغراض نفسها، مع استخدامات نسائية في صناعة الحلي في الهند والتي تلبسها كل النساء دون تفرقة .

وتكثر السلاحف في الهند وتستخدم عظامها في صناعة الأمشاط والأكواب والأواني وتلاقي هذه التجارة رواجاً كبيراً في الهند أكثر من تجارة أم المحار وخاصة بعد طلائها وتلميعها [1] .

تجارة القطيف في العصر البرتغالي :

منذ عهود بعيدة عرفت القطيف التجارة في أعالي البحار ، كما عرفت الطرق التجارية منها إلى أنحاء متفرقة في الجزيرة العربية ، وهناك ثلاثة طرق، إحداها يؤدي إلى نجد والأخرى إلى مملكة كندة أما الثالثة فتتجه شمالاً إلى المدن الرومانية وكانت موانئ المنطقة

(١) تاريخ البرتغاليين في الخليج العربي ، ص ١٠٠ .

دائبة الحركة في الاستيراد والتصدير ، ولعل طرق أعالي البحار كانت أكثر رواجاً وحركة أو أوفرها؛ لما لها من مردود اقتصادي كبير وعرفت المنطقة أسواقاً عبر الحضارات واستمرت حتى العصر الجاهلي وامتدت أيضا تلك الأسواق إلى فترات متباعدة في عصور إسلامية لاحقة . ولم تضعف التجارة في أي عصر من العصور فكانت السفن في حركة دؤوب تمخر عباب مياه المنطقة طوال أيام السنة مملوءة أخنانها بمختلف أنواع البضائع قادمة من موانئ عديدة من مختلف الأقطار .

استيرادات القطيف :

تستورد القطيف التوابل والعقاقير والحجارة الكريمة والزيوت العطرية والفلفل والزنجبيل والقرفة والقرنفل وجوز الطيب والعيود والصندل والبلسم والتمر الهندي والزعفران وشمع العسل والحديد والسكر والأرز وجوز الهند والزجاج والخزف والخشب بمختلف أنواعه والصمغ العربي والبنادق والشمع والتبغ والقطن .

صادراتها :

وتصدر القطيف اللؤلؤ والخيول والسيوف والرماح الخطّية [1] والتمور والسلوق والربيان المجفف والأسماك المجففة والجلود والقمح والشعير .

وهناك إنتاج محلي كبير من الحبوب والألبسة التي تكفي السوق المحلية، ولا تصدر إلى الخارج، فالحبوب مثل الفاصوليا والعدس والأرز والثمار كالرمان والعنب والذرة والتمر ، وكذلك بعض التوابل المحلية وكل هذه المحاصيل مازالت قائمة في القطيف وواحاتها ولكن على نطاق محلي، إلى جانب الألبسة والستور والبرد المعروفة منذ صدر الإسلام [2] .

---

(١) وهما نوعان (الرّديني) و (السمهري) وهما من النوع الصلب . انظر (الخليج العربي في العصور الإسلامية) ص ٢١٧ .

(٢) ذكر كثير من المؤرخين عن الألبسة في الخليج في صدر الإسلام ، انظر تفسير الطبري ج ٧ ص ٢٥ والبيان والتبيين للجاحظ ج ٣ ، ص ١٢١ .

وحتى وقت قريب كان في القطيف حي يدعى حي (الحاكة) وكل أهله يعملون في الحياكة والنسيج وقد اندثرت صناعة الألبسة اليوم في القطيف وقراها .

نماذج من السلع مع سعرها في العصر البرتغالي ، تعود إلى عام ١٥٧٩ م :

ت	السلعة / البضاعة	الكمية / الوزن	السعر
١	البخور	الرطل الواحد	٩٣٠ جلدر هولندي
٢	التمور المجففة (السلوق)	المن الواحد	٤,٢ محمودي
٣	التمور المعلبة (قلال)	المن الواحد	محموديان اثنان وربع
٤	الزبيب	المن الواحد	ثلاثة محموديات
٥	أبنوس	١٧ قطعة	٢٠٥ ليبرات
٦	سكر	١٧ قطعة	٩٣٦ ليبرة
٧	حرير	بالة صغيرة	١٠٢ ليبرة
٨	بخور	بالة صغيرة	١١٨٥ ليبرة
٩	جوز طيب	بالة صغيرة	٢٣٦ ليبرة
١٠	فلفل	بالة صغيرة	٧٧٠٦ ليبرات
١١	العفص	١٣	دوكا

لم تكن هناك عملة محددة في موانئ وأسواق الخليج ، فلقد كانت بلدانه مفتوحة وجميع المحلات والتجار يقبلون على التعامل المصرفي بكل الفئات المتاحة ، وكانت الصفقات تتم بالعملات المتعارف على قيمتها في السوق الخليجية ، وفي الهند أولاً ثم يأتي دور العملة الغربية، أي الوافدة من خارج حوض الخليج ومحيط المحيط الهندي ، وإليك قائمة بالعملات المتداولة وقيمة كل منها في العصر البرتغالي :

ت	العملة	الدولة	القيمة
١	التومان	إيران	التومان يساوي ٤٠ جلدر هولندي
٢	الريال	البرتغال	يعادل مارك فضي
٣	ليبرة		الجمع ليبرات
٤	الجلدر	هولاندا	وحدته ستويفر ويعادل = ٢٠ ستويفر
٥	الدوكة	عملة مدينة البندقية	إيطاليا وتساوي دولارين وربع
٦	المحمودي	البحرين	
٧	ركتا		
٨	الشاهي	إيراني – صفوي	قطعة من العملة الفضية ٦,٠ من
٩	فلورين	هولاندا	الجلدر تساوي ٢٠ ستويفر
١٠	باون		
١١	روبية	الهند (هندوستان)	١٦ آنة
١٢	دوكان		
١٣	عباسي		
١٤	لارين	لار(في إيران)	ثم سكت في سيلان ثم جمبرون ١٥١٢م ثم الاحساء
١٥	باتاكاس		
١٦	الجنيه	إسترليني	يساوي ٨٠ محمودي
١٧	زرافين		
١٨	الريال	إسبانيا	يساوي ٤٨ ستويفر
١٩	ركس دولار	إسبانيا	RIX - DOLLAR
٢٠	أشرفي	البحرين	
٢١	بردوسة	البرتغال	
٢٢	بارادو		
٢٣	باره	تركية	تساوي ٢٠ قرشاً (غروش)
٢٤	طويلة الحسا	الأحساء	مستنسخة من اللاريه (لارين)

العملات المتداولة في العصر البرتغالي :

كانت العملات في أيام احتلال البرتغاليين لدول الخليج ومحيط المحيط الهندي تشير إلى نظام مالي دولي ، ففي الجدول ما يشير إلى ذلك حيث إن العملات المتداولة والمقبولة محلياً لها مدلولاتها الاقتصادية الكبيرة وهذه بعض التفاصيل التي توضح أن تلك العملات كانت متداولة في ذلك العصر .

١ – الأشرفي :

أ – في ١٥١٥ م (في شهر أكتوبر) في أثناء وقوف البوكيرك في هرمز بعث حاكم البحرين برسول ومعه خيول هدية له وبقي المبعوث البحريني في هرمز لمدة شهر وأعطاه البوكيرك عشر قطع من الأشرفي وكميات من الأرز والحرير [(١)].

ب – وبعد توطيد دعائم البرتغاليين في هرمز ووفاة البوكيرك في ديسمبر ١٥١٥ م رفض حاكم البحرين الجديد مقرن (يسميه البرتغاليون مكرم) أن يدفع الخراج كالمعتاد لحاكم هرمز وهكذا خسر الرئيس شرف (الدين) حاكم هرمز أكثر من ٥٠٠٠ أشرفي وهو المبلغ الذي كانت تدفعه البحرين وبمساعدة من الأتراك [(٢)] .

٢ – دوكات (دكات) :

أ – لقد استولينا على السفينة (مريم) العائدة من مكة والتي كان على ظهرها ٣٨٠ راكباً وكان بينهم كثير من النساء والأطفال واستطعنا سلب ١٢,٠٠٠ دوكة Ducat منها نقداً كما سلبنا من جميع من كان على ظهرها وكان ذلك في اليوم الأول من شهر تشرين الأول[(٣)] . أظنه عام ١٥٠٦ م .

---

(١) الوثيقة ع ٨ ، س ٢ ، ربيع الثاني ١٤٠٦ هـ ،يناير ١٩٨٦م.

(٢) المصدر السابق .

(٣) الوثيقة ع٣، س٧ ، ١١، ١٤٠٨هـ/٧/١٩٨٨م . ص١٠٨ .

٣ – الريال :

أ – وفي رحلة من البنغال إلى الملبار في عام ١٥٣٠ م حملت إحدى السفن الملكية ما قيمته ١٢,٠٠٠ ريال من البضائع العائدة لربان السفينة ولم تكن تحمل للحساب الملكي سوى ما قيمته ٤٠٠ ريال فقط [١] .

٤ – ليبرة :

أ – فقد كان المعدل السنوي للواردات البرتغالية من الفلفل في الفترة بين عام ١٥٨٧ و ١٥٩٩ م هو ١٠٧٣١ كونتالاً أي أكثر من مليون ليبرة [٢] .

ب – وخلال ثلاث سنوات ١٥٨٧ – ١٥٩٠ م كان المعدل السنوي ٢٠,٠٠٠ كونتال، وفي التسعينات انخفضت الكمية إلى النصف فكان قرابة مليون ليبرة في حين ارتفع الاستهلاك الأوربي لهذه السلعة ليقترب من خمسة ملايين ليبرة [٣] .

تأثر سفن العرب بالبرتغال :

تشير الأبحاث بأن العرب نافسوا البرتغاليين في صناعة السفن ، ويرى و. هـ. مورلاند W. H. Moreland، أنه منذ عام ١٥٠٧ م بدأ العرب يبنون سفناً على غرار السفن البرتغالية ، والحقيقة أن البوكيرك نفسه قد كتب مرة أن الهنود أخذوا يقلدون البرتغاليين في بناء السفن وأنهم استفادوا من التقنيات البرتغالية ، ولاحظ أحد السائحين في عام ١٦٣٨ م ثماني سفن هندية في آجة، وصفها قائلاً : (إن لم تكن للمرء فكرة مسبقة عنها فإنه لا يستطيع إلا أن يظنها سفناً أوروبية ، ويعتقد بوكسر أن نجاح تجارة آجة وكوجرات مع البحر الأحمر يعود بالدرجة الأولى إلى تفوق سفنها وقوتها) [٤] .

---

(١) الوثيقة ، المصدر السابق ص١١٦ .

(٢) الوثيقة ، المصدر السابق ص ١٢٠ .

(٣) الوثيقة ، المصدر السابق ص ١٢٠ .

(٤) الوثيقة ع ١٣ ، س ٧ ، ١١ ، ١٤٠٨ هـ /٧/١٩٨٨ م ، ص ١٢٣

القلاع والطراز المعماري المحلي :

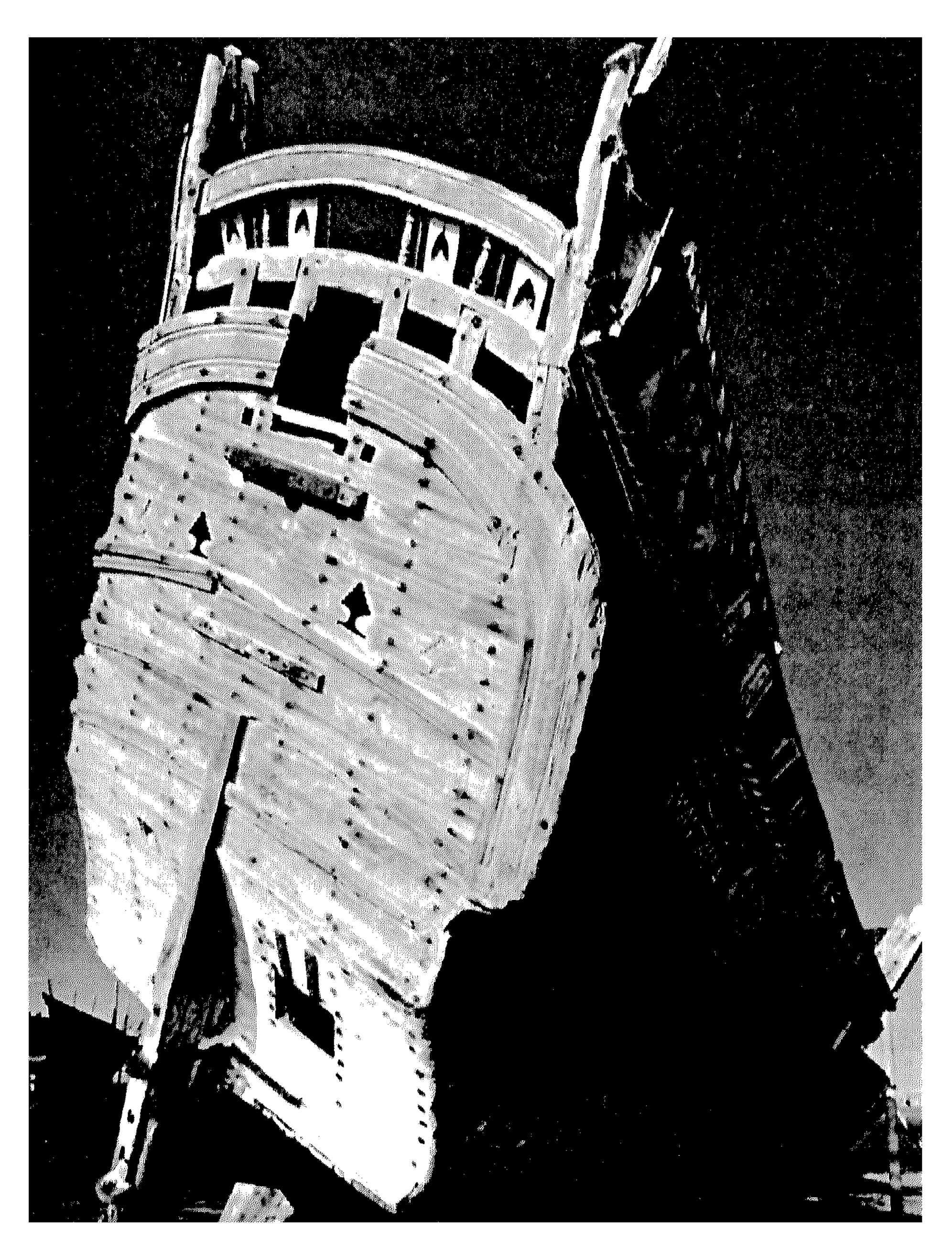
بنيت القلاع في المدن الخليجية كافة بامتداد السواحل البحرية من البصرة في شمال الخليج حتى سواحل عمان ، وامتداداً إلى اليمن وكل هذه القلاع ذات طراز معماري إسلامي واحد ، وقد أنشأها الأهالي بأيديهم للدفاع عن شرفهم ووطنهم ، فالبرتغاليون غزاة قد يستمر احتلالهم منطقة ما يوماً أو بعض يوم ، وهذا يعني أنهم غير مستعدين للبناء بقدر الهدم وأن كل المؤرخين ذكروا أنهم غزاة همهم الكسب المادي والهدم وما أكثر المدن التي دكت وهدمت قلاعها ، إلى جانب أن كل المدن التي مروا بها كانت محصنة وذات قلاع قبل مجيء البرتغاليين إلى جانب أنه لا يوجد طراز معماري واحد على الطريقة البرتغالية في أي من مدن الخليج بتاتاً وما تقدم بك حول هذا الموضوع يدل دلالة واضحة على صحة هذا القول .

الأسلحة المستخدمة في العصر البرتغالي :

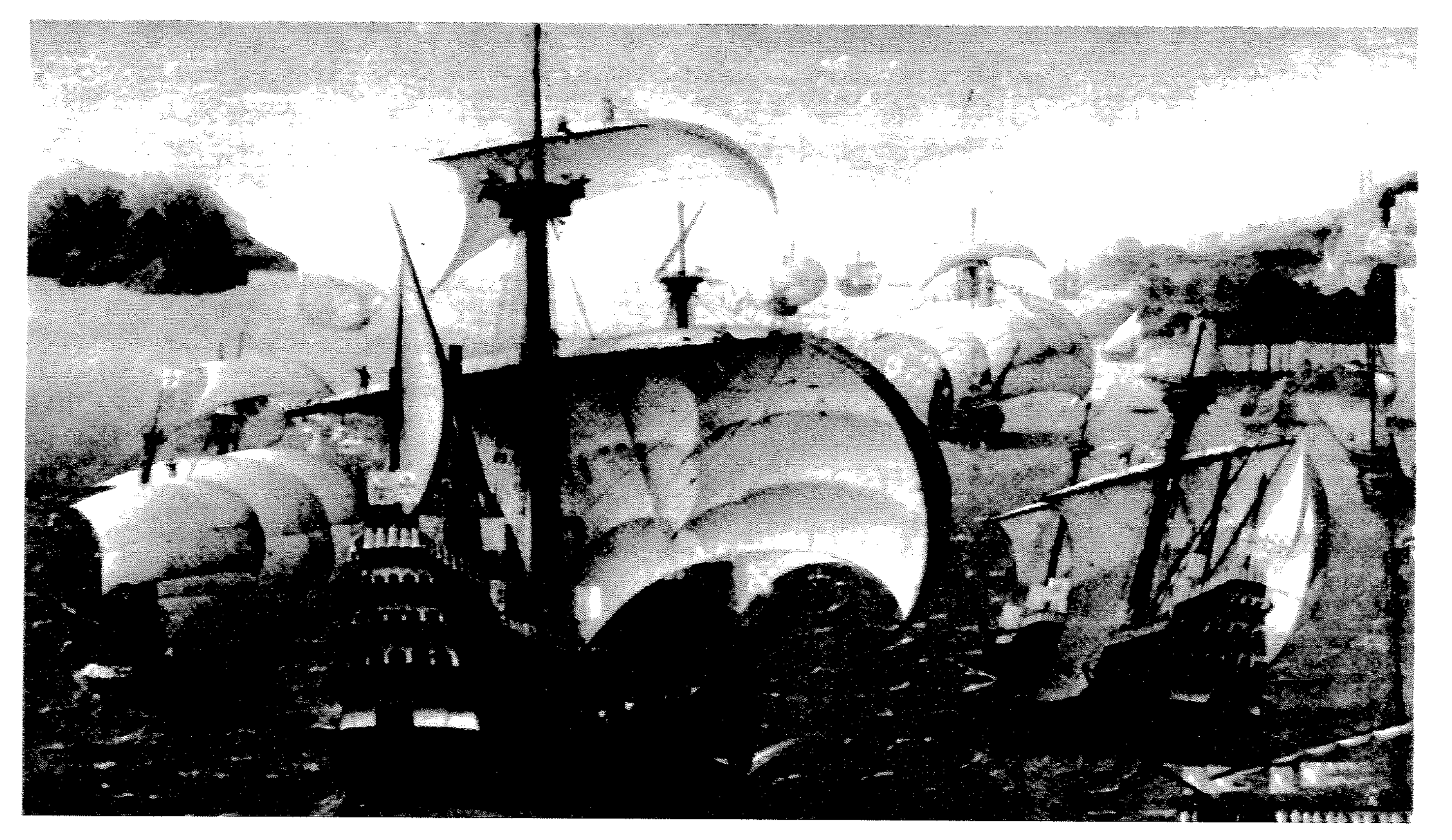
لم يكن لدى البرتغاليين أي مركب بدون مدافع أو بنادق أو بارود، فكانت كلها مزودة بالأسلحة وكانت معظمها من صنع البرتغاليين أنفسهم، خصوصاً المدافع والبنادق والمسدسات .



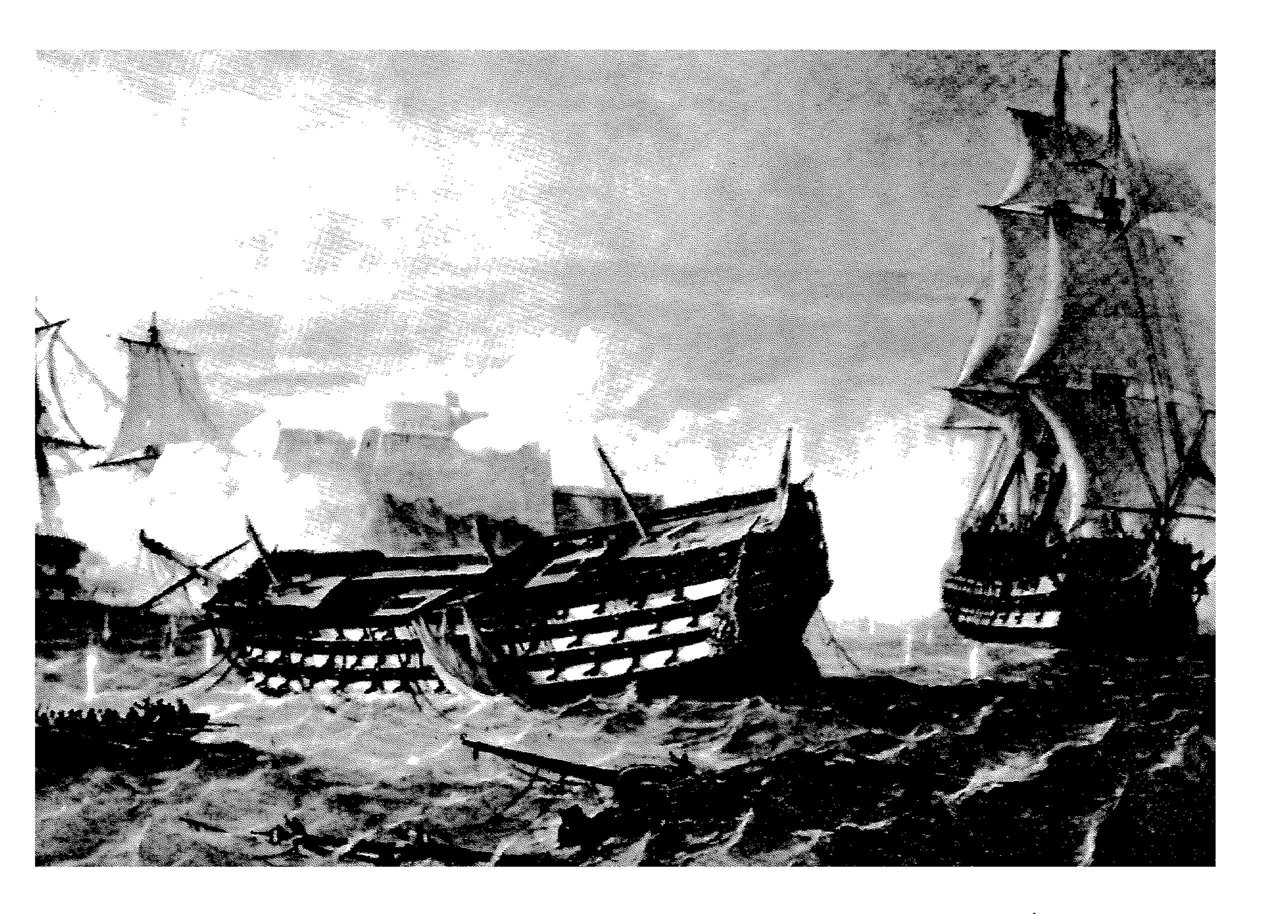
بعض الأسلحة من البنادق والمسدسات التي تعود إلى العصر البرتغالي



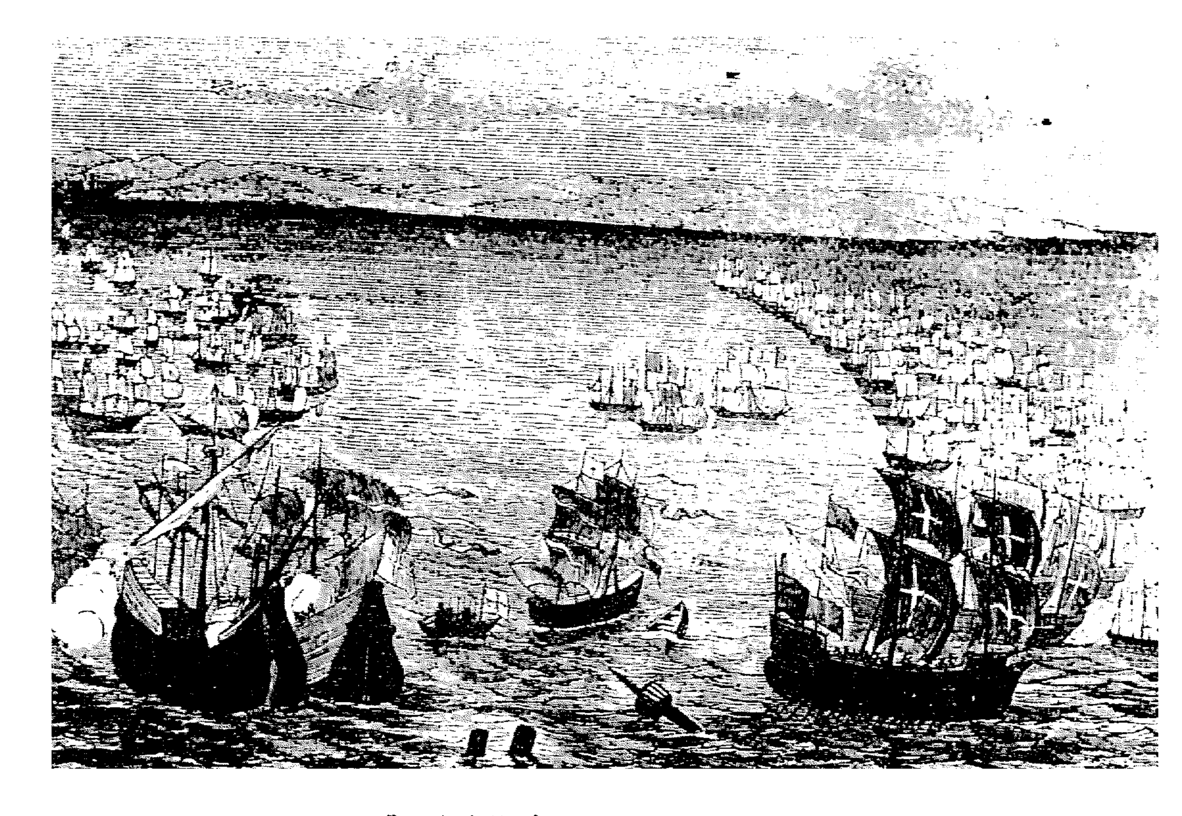
أنموذج من مراكب الخليج، هل تأثر بالبرتغال..؟



نماذج من السفن الحربية والتجارية التي استخدمت في القرن السادس عشر الميلادي ، وقد استخدمها البرتغاليون والأسبان

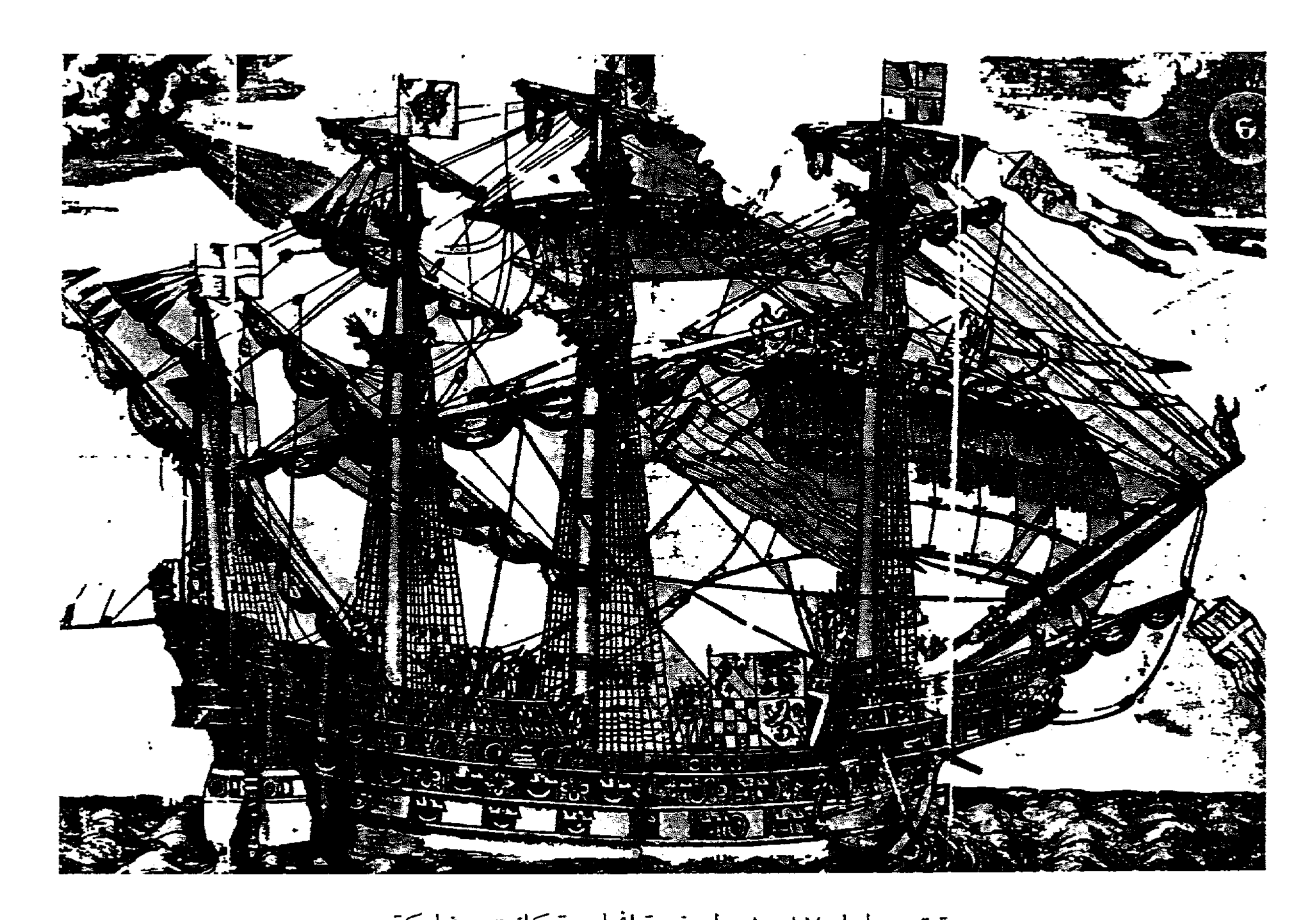


كثير من السفن البرتغالية شهدت مثل هذه الخاتمة في مياه الخليج



الارمادا الإسبانية تواجه السفن الإنجليزية

نموذج للحروب البحرية لذلك العصر وهذا الرسم يعود للفترة البرتغالية سنة ١٥٨٨ م



صورة تعود لعام ١٥٨٧ م لسفينة إنجليزية كانت مشاركة

في حرب الارمادا البحرية.

ونتقل هنا بعضاً من صور الأسلحة برواية المؤرخين لتلك الفترةمن خلال النص التالي الذي كتب سنة ١٥٤١ م :

(انطلق الرجال الأربعمئة الذين تحمسوا لاحتمال استشهادهم باسم المسيحية في التاسع من تموز / يوليو ١٥٤١ م ، وقد حملوا معهم عشرة مدافع دوارة و ١٠٠٠ بندقية وإمدادات وافرة من البارود والطلقات تحملها البغال ، وصحب المقاتلين حدادون ونجارون وصانعو دروع وأحذية ، ونافخو أبواق ، وقارعو طبول وكان هناك أيضاً ١٥٠ عبداً)[١].

أول بندقية (أم فتيلة) :

صنعت في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي واستعملت في الحرب أول مرة سنة ٧١٣ هـ في اليمن ثم سنة ٧١٦ هـ – ١٣١٦ م وبعدها بمدة من الزمن صنعت أم صلبخ، وبعد فترة وجيزة صنعت الرومي. وهذه البنادق الثلاث فقط استعملت بالبارود ، وبعد هذه البنادق الثلاث توالت البنادق على هذه المنطقة ومنها :

المالطي والصميعة والصمعاء وأم ميزر والليكر والوكر والمستحية وأم ركبة والخديوي والورور والشرفا والفولند والخميسي ونصف خميسي والفلسي ونصف فلسي والمشرخ ونصف مشرخ والسكتون ونصف سكتون والدش والمانيا وحشرداء والبرنو ودبل سكتون والكند والسوجريه .. الشووزن نصف وثلث وربع، أي مكسرة أو أم نشح والهطفا وأم عشر وأم خمس .

الأسماء الثانية المكررة وغيرها من الأسماء :

أم شرم العرقية ، مرقب ، الجبري ، أم قدح ، مراكبية ، أم قمعة ، أم ديك ، أم حبة ، أم مسمار ، أم كشف ، السلطانية أم الثامة ، وغيرها من الأسماء .

الأسماء الثالثة المكررة :

أم عسكري ، أم تاج ،أم تاجين ، وأم هليل ، أم مركب ، وأم مركبين ، أم أسد ، أم نمر ،

(١) إمبراطوريات الرياح الموسمية، ص٣٣٩.

أم شجرة ، أم صندوق ، أم سطرين ، أم أذنين، أم صبع، أم حنش ، وغيرها من الأسماء [1].

الدروع والخناجر

والدروع كثيرة الأسماء وأفضلها (الداوودي) أما الخناجر فلها أسماء كثيرة ، وأفضلها (الساحلية) .

أسماء الرماح المحلية :

الشلفة ، المقسر ، الحرية ، الموغل ، وغيرها من الأسماء المحلية .

أما الخوذ والفؤوس والتروس والسكاكين فهي صناعات محلية إلى جانب ما يأتي به التجار من فارس والهند والصين وتركيا ومصر .

السيوف :

إن السيوف التي استخدمت في الفترة البرتغالية بعد عام ١٥٠٠ م أي خلال القرن السادس عشر الميلادي / العاشر الهجري (موضوع فترة هذا البحث) كانت من نوع السيوف التي استخدمها العرب في القرون الخوالي فهي تنقسم إلى نوعين هما : السيف المستقيم والسيف المقوس وقد استعمل السيف المستقيم في العصر الجاهلي وفي صدر الإسلام ويظهر ذلك بوضوح من خلال أشكال السيوف التي وردت على بعض المسكوكات مثل دينار عبد الملك سنة ٧٧ هجرية ودينار الطائع لله سنة ٣٦٥ هجرية وعلى بعض الآنية الخزفية والبرونز [2] إلى جانب ما وصلنا حتى اليوم من سيوف تلك العهود ، ويمكن القول: إن شكل السيف الإسلامي لم يتغير حتى القرن الخامس الهجري والذي استمر حتى خمسة قرون أخرى عند مجيء البرتغاليين ، وقد نشأ السيف المستقيم في آسيا واستعمله

(١) رواية / عبد الله بن خلفان بن عسكور ، رأس الخيمة في ١٣ / ٧ / ١٩٩٩ م وهو من مواليد ١٩٥١ م وأخذ مهنة بيع الأسلحة عن والده (١٩٠٦ – ١٩٩٧ م).

(٢) السيوف والدروع ، ص ٢٠ .

الآشوريون والبابليون وغيرهم واستمر استعماله من قبل المسلمين حتى القرن العاشر الهجري[1] .

ومن أسماء السيف والكتارة :

أبو العقارب ، أبو القوارب ، المرفس ، سيف القدر ، سيف أبو ظهر ، أبو الزبايب، أبو الداوني ، أبو حافر ، أبو العرو ، الحقبيبي ، الخزيمي ، المستجي ، والمسمم ، أم الضروس ، أم الضلوع ، المشار ، أم القرون ، الصقال ، والسلالة والوارد والحدباء والشيجة وأبو الفحول ، أبو الفلاية ، أبو المسايل من ١ إلى ٧ وسيف الجوهر والبرقة ، وأبو فتق ، أبو مقطار ، أبو حربة ، أبو سن ، أم حدين، هذه هي السيوف المحلية المتكررة وغيرها من السيوف . . . مكررة الأسماء [2] .

السيوف العربية :

المهند – أو الهندواني – ذو الفقار ، المشرفي ، السيف اليماني ، القردة اليمانية ، الحسام، الصارم ، الفيصل ، الصمصام [3] ، الحكم، وغيرها من السيوف [4] .

أسماء السكاكين :

البيشق ، الضلع ، القراعة ، المسحل ، وغيرها من الأسماء ، على أنها تصنع محلياً أو تستورد ويضع لها عظم الجمل .

البلطة :

إذا كانت صغيرة تلقب باليز وإذا كانت كبيرة (بالطبر) أما النشاب والكنانة تستعمل

(١) السيوف (السابق) الصفحة نفسها، ويمكن الرجوع إلى هذا الكتاب لدراسة كل ما له علاقة بالسيوف في العصرين المغولي والتيموري وكذلك بداية العصر الصفوي المعاصر للعثماني فترة بحث هذا الكتاب .

(٢) رواية عبد الله بن عسكور .

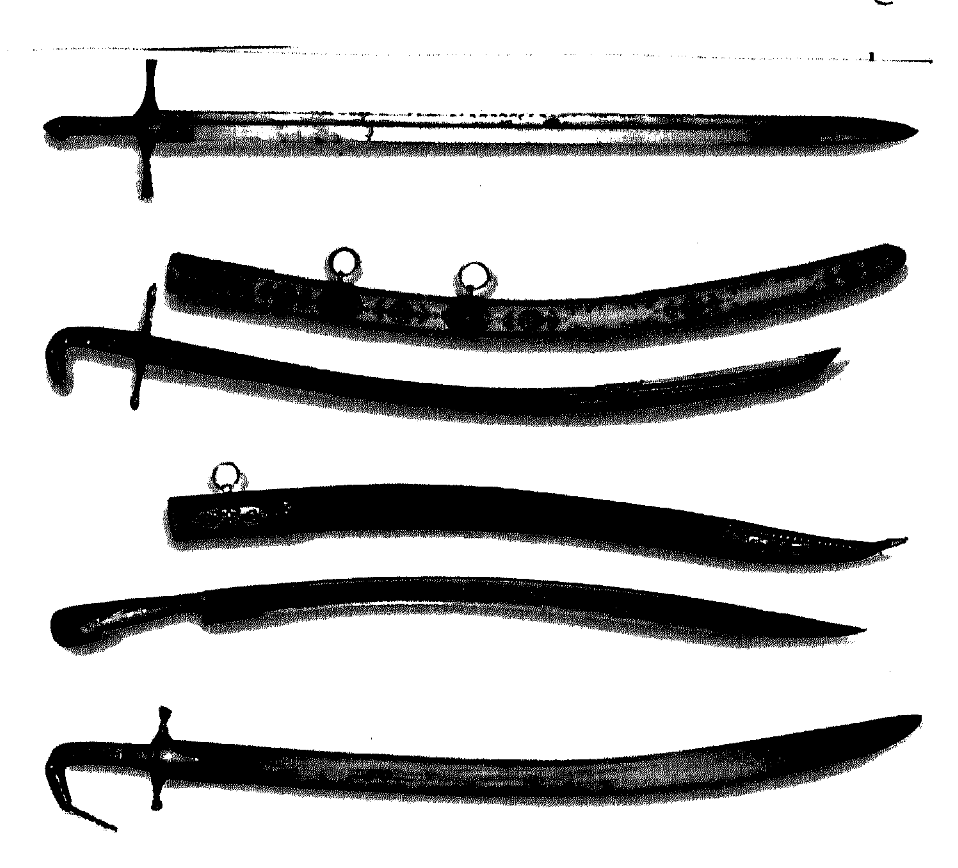
(٣) والصمصامة : سيف لعمرو بن معد يكرب الزبيدي .

(٤) كان الرسول (ﷺ) يملك عدة سيوف ومن أسمائها : الرسوب ، وذو الفقار والقضب والحتف والبتار والمعصوب والقلعي ومأثور الفجار .

من الأشجار وعسق النخيل ، أما الكنانة فهي من الخشب ويلف عليها جلد الماعز .

السهام :

لعبت السهام في معارك العصر البرتغالي دورها ، فكانت الرماح والسهام تصنع محلياً وأعوادها من قصب البامبو الذي كان يزرع محلياً قديماً أو يجلب من الصين في بعض الفترات . على أن السهام والرماح الخطية المنسوبة لمدينة الخط أي القطيف كانت معروفة في صدر الإسلام وكان الحدادون يضيفون الرؤوس الفولاذية ، وقد كانت القطيف تصدر هذه الأنواع من الأسلحة .



بعض السيوف التي تعود إلى العصر البرتغالي

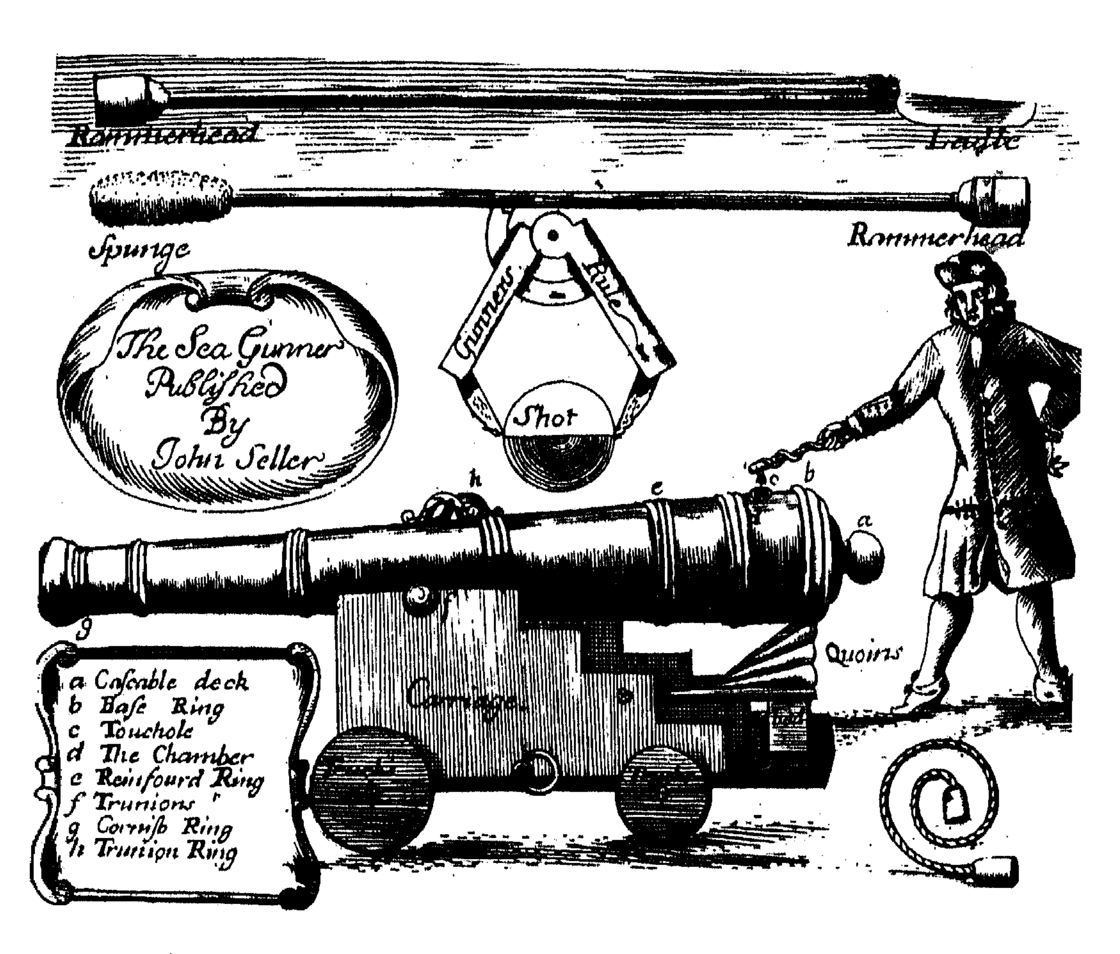
المدافع :

كانت العرب تعرف المنجنيق ، وعندما أحضر المستعمر الأوربي (البرتغاليون) المدافع صغيرها وكبيرها قام العربي واستفاد من هذه الأسلحة الحربية فصنع مثلها صناعته البدائية واستخدمها إلى جانب ما أخذه من البرتغاليين عندما خاض الحروب معهم .

وكان يستعمل له القذائف الحديدية بحرق الفتيلة التي تؤدي نارها إلى حرق البارود فتنطلق (القُلّة) لتسقط أي جدار أمامها أو تخرق السفينة كما تخرق الرصاصة الجسد وكانت هذه المدافع أو ٩٠ ٪ منها تدعى أم فتيلة ومن أسمائها : (المصلبخ) و (الرومي) .



مدفع يعود للعصر البرتغالي



تفاصيل لمدفع متحرك على قاعدة خشبية ذات أربعة دواليب وكان شائع الاستعمال في السفن الحربية والتجارية في العصر البرتغالي .

الأحوال السائدة قبل قدوم البرتغاليين :

كانت منطقة القطيف - كإحدى دويلات بحر القطيف - الذي يعرف اليوم بالخليج العربي أو الخليج الفارسي تعيش عصراً ذهبياً في الملاحة والتجارة خلال الفترة التي سبقت مجيء البرتغاليين إلى بحار الشرق ، بل يمكن أن نطلق مصطلح العصر الذهبي للملاحة العربية الإسلامية في البحار الجنوبية على الفترة التاريخية الممتدة من أواسط القرن الثامن الميلادي حتى أوائل القرن السادس عشر ، أو على وجه التحديد بعد سنة ٧٥٠ ميلادية ، إلى سنة ٩١٣ هـ - ١٥٠٧ م وهو عام وصول البرتغاليين إلى مياه الخليج [١] .

خلال تلك الفترة التي تبلغ زهاء ثمانية قرون كان الخليج العربي واحداً من أهم المعابر التجارية في آسيا ، عن طريقه كانت تمر منتجات الهند والصين وغيرها إلى أسواق فارس والشام والجزيرة العربية ، كما تعبره السلع الواردة من أوروبا وفارس وبلاد العرب إلى الهند والشرق الأقصى ، وقد ازدهرت مناطق كثيرة كالبصرة والبحرين وسيراف وقيس وبوشهر وهرمز وغيرها حيث حققت قدراً كبيراً من الثروة والرخاء [٢] .

وكانت التجارة القادمة من الشرق الأقصى تسلك أحد طريقين : إما طريق الخليج العربي المتجه شمالاً والمتصل بالعراق والشام وإما طريق البحر الأحمر ومصر ، ثم تنتقل إلى أوربا بوساطة التجار الإيطاليين من أهالي جنوة والبندقية وفلورنسا الذين كانوا يحتكرون توزيع تجارة الشرق في مختلف أنحاء أوروبا .

---

(١) يرى فريق آخر انه كان سنة ١٥٠٥ م ومنهم امين سعيد في الخليج العربي في تاريخه سياسي ونهضته الحديثة، ص٢٨ ، وانظر أيضاً : الوثيقة ع ١٢ ، س ٦ ، عم ١ ، ص ٤٨ ، ج ١ - ١٤٠٨ هـ ذ ١ /١٩٨٨ م وهناك من يرى أنه سنة ١٥٠٣ وانظر في ذلك الوثيقة ع ١٥ ، س ٨ ، ١٢ -١٤٠٩ هـ ، ١٥١ ، والحقيقة انهم أرسلوا جاسوساً برتغالياً سنة ١٥٠٣ م هو زار فارثيما الذي كتب تقارير عن المنطقة مهد السبل لها ، كما أرسلوا جاسوساً آخر هو دوراتي باربوسا سنة ١٥١٨ م ، وفعل كما فعل سابقه ، وانظر تفاصيل ذلك لدى السير ويلسن في كتابه ص ١٩٤ .

(٢) صفحات من تاريخ البحرين ، ج٢، ص١٠٤.

ولكن الأوروبيين لم يكونوا سعداء بهذا الوضع ، بل سخطوا على هذه التبعية الاقتصادية التي تحني جباههم للمسلمين في الشرق .فقد كانت الاضطرابات والأزمات السياسية في المشرق الإسلامي تؤثر في تدفق التجارة إليهم تاثيراً شديداً ، مثال ذلك ما أحدثه غزو المغول لفارس والعراق على يد تيمورلنك في عام ١٢٥٨ م من انقطاع في تجارة الخليج العربي ، وما كانت تتعرض له القوافل المحملة بالبضائع التي دفع ثمنها الأيوبيون من ضياع ونهب وسرقات على طول الطريق ، بالإضافة إلى ذلك كان حكام مصر والشام أو المماليك يفرضون ضرائب باهظة على التجارة المارة ببلادهم كما كان تجار جنوة والبندقية يبالغون في أسعار وساطتهم التجارية مقابل حمل بضائع الشرق من موانئ البحر المتوسط إلى الأسواق الأوروبية ، كل ذلك كان يرفع أثمان هذه البضائع ويجعلها باهظة يئن منها المستهلكون الأوروبيون .

ولما كانت طرق التجارة تقع على هذا النحو تحت السيطرة الإسلامية لذلك تاق الأوربيون للبحث عن طريق آخر يصلهم ببلاد الشرق مباشرة ، ولم يكن هناك سبيل إلى شق طريقهم داخل الأراضي الإسلامية إلا بالقوة ، فقد كانت الحروب الصليبية التي شنها الغرب المسيحي على الشرق الإسلامي قد انتهت بالفشل ، وشعر الغربيون بعد محاولات دامية أربت على العشر وامتدت عدة قرون أن من المستحيل عليهم مواجهة هذه الكتلة الإسلامية التي تغلق الطريق في وجه المجتمعات المسيحية للوصول إلى الشرق وخيراته الوفيرة. كان هذا كما يقول توينبي ، هو التحدي الكبير الذي كانت تواجهه أوربا في أواخر عصورها الوسطى ، فماذا كانت استجابة الغرب المسيحي لهذا التحدي؟.

لقد تمثلت هذه الاستجابة في تمكن الشعوب الغربية المسيحية المطلة على المحيط الأطلسي وخاصة البرتغال من اختراع طراز جديد من السفن الشراعية العابرة للمحيطات قادرة على البقاء في البحر عدة شهور دون حاجة للجوء إلى الموانئ للتزود بالمؤن والماء. وكان هذا اختراعاً مدهشاً في فن الملاحة البحرية في أوائل القرن الخامس عشر وبفضله استطاع الغربيون أن يحتكروا مقدرة التفوق الساحق في أعالي البحار طوال ما لا يقل عن ٣٥٠ عاماً

تالية [1] .

وبهذه السفن تمكن البحارة البرتغاليون الذين تمرسوا على الملاحة في أعماق المحيطات من إحراز عدة إنجازات سريعة وباهرة ، فقد اكتشفوا جزر ماديرا [2](١٤٢٠م) والآزور (١٤٣٢م) ووصلوا إلى رأس فردي (١٤٤٥ م) وخط الاستواء (١٤٧١ م) وهبطوا على الجانب الغربي للمحيط الأطلسي ، ثم تمكنوا من اكتشاف رأس الرجاء الصالح في أقصى الطرف الجنوبي للقارة الأفريقية ببعثة بحرية قادها الملاح البرتغالي باتلميوديا ز Barthlemeo Diaz ، ولكنه لم يتمكن من الوصول إلى ساحل أفريقيا الشرقي بسبب العواصف العنيفة فقفل راجعاً ، وكان اكتشاف طريق الرجاء الصالح والطريق إلى الهند ودول آسيا في أربع رحلات عبر السنوات ١٤٩٢ ، ١٤٩٣ ، ١٤٩٦، ١٤٩٨ ، ١٥٠٢ ، ١٥٠٤م [3] ، وتلاه فاسكو دي جاما Vasco De Gama الذي وصل إلى الساحل الشرقي لأفريقيا وارتقاه إلى ماليندة ومن هناك أرشده الملاح العربي أحمد بن ماجد الذي يعرف هبوب الرياح الموسمية عبر المحيط الهندي إلى كلكتا على الشاطئ الغربي للهند (١٤٩٨م)، وتعتبر رحلة فاسكو دي جاما هذه من أشهر الرحلات الكشفية في التاريخ ، فقد ضمنت للبرتغاليين التفوق الملاحي العالمي على المسلمين والأوربيين معاً ، وفتحت الباب نحو مزيد من التوسع البرتغالي فسيطروا على (زنجبار) ١٥٠٣ م، و (سيلان) ١٥٠٧ م، ووهران عام ١٥٠٩ و(سومطرة وغوا) ١٥١٠ م، وطرابلس وآسفي ١٥١٠م ومضايق (ملقة) و(أمبوان) (١٥١١م) ثم اندفعوا شرقاً في المحيط الهادئ حيث رفعوا علمهم في كانتون (١٥١٦ م) عاصمة الصين وشاطئ اليابان (١٥٤٢ – ١٥٤٣)، ووصلوا إلى (ماكاو) ١٥١٧م ، وهكذا راحت هذه الإمبراطورية التجارية تشاطر العرب

---

(١) صفحات من تاريخ البحرين ، ج٢ ص ١٠٥ ، (نصاً مضافاً إليه) .

(٢) مازالت جزراً برتغالية وعاصمتها اليوم فونشال وارخبيل هذه الجزر تبعد ١٠٠٠ كيلو متر عن الأراضي البرتغالية .

(٣) انظر أوروبا ص ١٧٠ ، وانظر أيضاً Portugal : PP.XXV-XX VI، وكذلك : تقسيم الإمبراطورية العمانية ص١٥ .

تجارة التوابل ، ففي آب ١٥٠٣ م كانت السفن البرتغالية تحمل ٢٠٠٠٠٠ كنتال من البهارات القادمة من ساحل مالابار في الهند وراح البرتغاليون يزيدون ويضاعفون إنتاج التوابل ، فمن عشرة آلاف طن سنوياً يقفز إلى ٢٠ ألف طن لم تنقطع عن طرق التموين وقد كان البهار يباع في (أنفرز) عبر وسيط ملك البرتغال .

وهكذا تمكن البرتغاليون في حركة خاطفة استغرقت أقل من قرن واحد من انتزاع السيادة البحرية في المحيط الهندي من أيدي العرب وتطويق المسلمين في البحار الجنوبية، وبالرغم من أن البرتغاليين فقدوا فيما بعد معظم أو كل إمبراطوريتهم البحرية والتجارية في الشرق لحساب الهولنديين والإنجليز والفرنسيين وهم منافسوهم الغربيون ، إلا أن العرب لم يتمكنوا من استعادة سيادتهم على البحار الجنوبية بعد ذلك أبداً .[١]

المراكب العربية في الخليج في أثناء الغزو البرتغالي عام ١٥٠٠ م :

يقول الكابتن تشالز لوكير الذي زار مسقط سنة ١٧٠٦ م ، ما نصه : « تطور هذا الميناء كثيراً على أيدي العرب الذين انتزعوه من القبضة البرتغالية . فكان العمانيون يمتلكون أربعاً وعشرين سفينة تجارية وإحدى سفنهم تحمل ٧٠ مدفعاً ، وليس في أسطولهم سفينة تحمل أقل من ٢٠ مدفعاً ، ومع صعوبة الحصول على البارود فإن العرب أكثر الناس سخاء في كل المناسبات وتجدهم يرفعون راياتهم الحمر بخيلاء على كل صواري سفنهم »

تلك شهادة أحد الأوروبيين عن الملاحة في الخليج ، وهناك شهادة أخرى من أحدهم، هو هاملتون ، فقد قدر الأسطول العماني سنة ١٧١٥ م بـ(سفينة واحدة ذات ٧٤ مدفعاً واثنتين بـ ٦٠ مدفعاً وواحدة ذات ٥٠ مدفعاً وثماني عشرة سفينة أصغر حجماً تحمل ما بين ١٢ – ٣٢ مدفعاً لكل منها ، وبعض سفن الترانكي « هذا النوع من السفن غير متداول الآن » أو السفن ذات المجاديف التي تحمل من ٤ –٨ مدافع لكل منها) .

---

(١) صفحات من تاريخ البحرين ج ٢ ، ص ١٠٥ ، وانظر أيضاً الشعوب الإسلامية ص ١٢٩ وما بعدها .
وانظر كذلك : المسألة الشرقية (دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية ١٢٩٩–١٩٢٣)،ص٣٨

بينما قدّر السالمي قوة الأسطول العماني في ذلك العصر بأربع وعشرين إلى ٢٨ سفينة حربية تحمل أكبرها ٨٠ مدفعاً ضخماً وتدعى (الملك) [١] وهذا يعني أن بناء السفن قد تطوّر عند أبناء الخليج وما عمان إلا صورة لباقي موانئ الخليج.

السفن التركية في العصر البرتغالي :

لم ترث الدولة العثمانية أي نوع من التقاليد البحرية في البحر الأبيض المتوسط أو في أي مكان آخر نزل به العثمانيون ، فالدولة السلجوقية الكبرى والدولة السلجوقية في قونية بسطتا نفوذهما عن طريق الحروب البرية؛حتى إنّ المناطق الساحلية قد فتحوها من ناحية البر. ومع هذا فبعض الدويلات التركية التي تكونت في آسيا الصغرى كانت على سواحل آسيا الصغرى مثل إمارة آدن ولكن الإمارة العثمانية بالذات بحكم موقعها الجغرافي في بادئ الأمر لم يكن لها حاجة إلى قوة بحرية. وفي أثناء حملات العثمانيين في شبه جزيرة البلقان كانوا يعتمدون على مراكب يستأجرونها من اليونان. وكانت هذه الفتوحات في أغلبها على حساب إمبراطورية العرب وكانت أملاكها برية. ولذلك فقد تمكن العثمانيون من إسقاط هذه الدولة دون حاجة إلى قوة بحرية على النحو الذي غزوا به الأفلاق والبغدان والمجر، إنما الدولة التي احتاج العثمانيون في محاربتها إلى بحرية كانت الدولة البيزنطية نفسها على ضعفها البحري والبندقية وجنوة – وكل من هاتين الدولتين الأخيرتين كان لها أسطول بحري قوي يرجع تاريخه إلى الحروب الصليبية التي مكنت لهما التجارة في البحر الأبيض المتوسط الشرقي ، وكانت قوة البندقية وجنوة تنحصر في أسطولهما ، لهذا كله كان من اللازم للسلاطين العثمانيين بناء أسطول بحري في حربهم مع هاتين الجمهوريتين وللاحتفاظ من ناحية أخرى بأملاك الدولة العثمانية التي فتحتها ، أما الدولة البيزنطية فكان أسطولها قد اضمحل شأنه شأن كل أجهزة الدولة . أما جنوة فكانت حليفة بيت باليولوجاس الدائم في نزاعه مع الصليبيين ، بينما وقفت البندقية في صفهم وأدى النزاع بين الجمهوريتين إلى اضمحلال بحرية جنوة ؛ لذا فحين فحين ظهرت البحرية العثمانية في

---

(١) أوروبا ص ١٧٠ و ٢٤٤ .

الليفانت لم يكن منافسها الخطير الأسطول البيزنطي أو الجنوي بل الأسطول البندقي وحده ويمكن القول، إنَّ الأسطول العثماني قد بني خصيصاً لمحاربة البندقية ، وكان أول من أنشأ نواة الأسطول العثماني الحربي السلطان مراد الثاني ليطرد البنادقة من بعض الأملاك الساحلية في شبه جزيرة البلقان ، ولم تتجه أنظار العثمانيين إلى فكرة الأسطول قبل مراد لأن أملاكهم على الرغم من سعتها كانت في الواقع تشمل عدداً قليلاً جداً من المدن الساحلية ، فلما سقطت الدويلات التركية غير العثمانية في عهد بايزيد الأول بأيديهم اتجهت أنظارهم إلى أهمية الأسطول ، ولكن مشروع إنشائه تعطّل بسبب غارة تيمورلنك ، وكان من الطبيعي أن يفكر مراد الثاني الذي أتى بعد هذه الغارة في إنشاء الأسطول [١] .

ومن الممكن تقسيم تاريخ الأسطول العثمانية منذ نشأته حتى منتصف القرن السادس عشر إلى مرحلتين :

المرحلة الأولى .تبدأ أولاً، من سقوط القسطنطينية حتى أواخر القرن الخامس عشر [٢] وكان أبرز خواص هذه الفترة تحويل البحر الأسود إلى بحيرة عثمانية ، وقد حدث هذا أولاً بتدمير ولاية طرابزون ، وهذه الولاية أُسست أولاً على يد أسرة كمنينة بعد طردهم من القسطنطينية على يد الصليبيين وظلت بعد ذلك مستقلة عن أسرة باليولوجاس .

وثانياً : بإخضاع خانات القرم وملحقاتها ، كما تتميز هذه الفترة بأن نشاط الأسطول انحصر في المناطق الساحلية في البلقان والجزر المحيطة بها [٣]

أما **المرحلة الثانية** فتبدأ في عهد السلطان سليم الأول ، والتي بدأت إبان حروبه مع الصفويين في فارس والمماليك في مصر ؛ إذ كان يخشى أن يؤدي انشغاله في هذه الحروب إلى قيام أعدائه في الجبهة الغربية بهجوم دون أن يكون مستعداً لهم بحرياً ، لذلك أصدر

---

(١) الوثيقة ، ع ١٣ ، س ٧ ، ١٢/٨/١٤٠٨ هـ - ٧/١٩٨٨ م ، ص ٤٠ .

(٢) الدولة العثمانية والشرق العربي ، ص ٨١ و ٨٢ (نصاً معدلاً) .

(٣) لمزيد من المعلومات انظر تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ،ص٢٩٤ ,٢٩٥

أوامره المشددة إلى ضباط البحرية بعدم الالتحام مع العدو. وأخذ في الوقت نفسه يجهز لبناء سفن أكبر وأقوى مما عرفه الأسطول العثماني في تاريخه الأول ، وقد بلغ عدد السفن في عهد سليمان زهاء ٣٠٠ سفينة ، لكن الأسطول العثماني فيه من المساوئ، منها :

١ - كان يفتقر إلى تجربة تجارية، تُعَدُّ العمود الفقري، الذي مكن الأساطيل اللاتينية المعادية في البحر وأمدها بقوة فائقة .

٢ - فقدان روح الأمانة في الإدارة وهي آفة قدّر لها أن تستمر جيلاً بعد جيل .

٣ - قلة الخبرة في القباطنة الذين تولوا قيادة الأسطول بعد خير الدين .

وقد تعددت سفن الأتراك في العصر البرتغالي ، فكان بعضها يبنى في تركيا أو في مصر (السويس) أو في البصرة أو غيرها من ولايات الدولة العثمانية ، ونذكر من هذه الأنواع :

١ - القادرغة .

٢ - القاليون .

٣ - الغراب .

٤ - الباستاردة .

٥ - القاليتة .

٦ - البرشة .

القطيفيون ومقاومة الاحتلال البرتغالي :

لقد كانت القطيف في مقدمة المناطق التي وقعت في صد هذا العدوان حيث قاومت الاحتلال البرتغالي [1] .إذ لم يتعود الأهالي على وجود أناس أوربيين يدينون بدين غير الإسلام وهم في نظرهم كفار حتى لو كانت ديانتهم سماوية فهم غزاة وكفرة ، إلى جانب أن البرتغاليين أعطوا انطباعاً سيئاً إذ إن تدمير القلاع وقتل الأبرياء سمة عرفوا بها، وهناك

(١) الدولة العثمانية والشرق العربي ، ص ٨٢ و ٨٣ .

آلاف الشواهد من أفعالهم تدينهم بذلك ، ومما هو معروف بأنه لاشيء كالظلم يثير النفوس، ويبعث الحماسة في الصدور ويجمع كلمة الشعب ويوحد بين عناصره وطوائفه فينهض لقتال عدوه والثأر لكرامته . ولقد كان العدوان البرتغالي وما صحبه من قتل وتخريب للمراكز والأسواق والبيوت الآمنة وتدميرها وإغراق السفن مصحوباً بتحطيم الاقتصاد [١] وغيرها من الأمور ،كل هذا أثار الحماس عند أبناء الخليج الغيارى ومنهم القطيفيون حيث اندفعوا إلى ميادين الجهاد بإرادة قوية وعزيمة حديدية للذود عن حياض الوطن [٢] . يشير جمال زكريا في كتابه إلى هذه النقطة عن بسالة القطيفيين بقوله :

(وبالرغم من الانتصار الذي أحرزه البرتغاليون والهرمزيون في البحرين إلا أنهم لم يتمكنوا من التقدم نحو القطيف ، وذلك لقوة المقاومة العربية والخوف من استدراجهم إلى داخل الجزيرة العربية)[٣] .

قلاع القطيف أيام الاحتلال البرتغالي :

ضمت القطيف مجموعة من المدن والقرى الساحلية حيث كانت قلاعها شامخة بالصمود تصد كل معتد وغاز أثيم وقد اندثرت بعض هذه القرى لكن بعضها بقي وهو معروف اليوم، نذكر منها [٤] :

---

(١) القطيف واحة على ضفاف الخليج ص ٢٢٥ . وانظر أيضا : ساحل الذهب الأسود ، المص١٧٢ ، وأيضا : منطقة الاحساء عبر أطوار التاريخ ص ١٥٤ و ١٥٥ .

(٢) الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة ، ص ٣٠ .

(٣) الخليج العربي، دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوروبي الأول ١٥٠٧– ١٨٤٠ ،ص٧٣و٧٤،وكذلك تاريخ الخليج ص٧٩.

(٤) ذكر محمد سعيد المسلم في كتابه (القطيف واحة على ضفاف الخليج) ص ٢٢٥ أن دن المحصنة بالقلاع من بينها الدمام و هو خطأ حيث إن الدمام لم تكن موجودة أساساً وليس لموضعها ذكر بتاتاً في القرن العاشر الهجري .

م	المدينة	موقع القلاع وصفتها
١	سيهات	قلعة بها أربعة أبراج في كل زاوية برج وبها ثلاث بوابات في كل بوابة برجان، تلف المدينة. تصدعت سنة ١٢٥٨ هـ وأعيد ترميمها في العام نفسه ، إلى جانب برج على الساحل لحماية السفن ، تساقطت جدرانه وأزيل سنة ١٤٠٠ هجرية
٢	عنك	قلعة واحدة بها برج مربع ، هدمت وليس لها أثر اليوم .
٣	القطيف	مدينة محصنة بها ٧ أبراج إلى جانب برج بحري يدعى برج أبو الليف قصفه طراد برتغالي سنة ١٨٧٧ م .
٤	العوامية	خمسة أبراج حول المدينة المحصنة ، ثلاثة أبراج منها مقابلة للجهة الغربية
٥	صفوى	مدينة محصنة لها برجان هما برج العين وبرج البحر
٦	دارين	مدينة محصنة لا نعرف عن أبراجها شيئاً في تلك الفترة الزمنية
٧	تاروت	مدينة محصنة على أطرافها برج واحد إلى جانب تحصينات صغيرة حول السور وللغرب من المدينة حصن منيع به أربعة أبراج ، يعد أرفع مكان في منطقة القطيف عامة، ومنه تتم مراقبة السفن .

ولقد كانت القلاع موجودة منذ القدم في المنطقة وذكرت ذات يوم أنه :

درج بعضهم على تسمية القلاع في المنطقة على أنها قلاع برتغالية فيقال القلعة البرتغالية بعنك وهكذا ولا أدري هل هذا تزوير للتاريخ أم جهل به ؟ والحقيقة أن البرتغاليين جاؤوا إلى المنطقة كغزاة سنة ٩٢٧ هـ وطردهم القطيفيون سنة ٩٧٨ هـ في حرب شعواء ضد الاحتلال[١] ، وقد ذكر ذلك المؤرخ محمد سعيد المسلم [٢]، وكما هو معروف بأن أي غاز لأي منطقة لا يكون مستعداً للبناء بقدر الهدم وهذا يعني أنهم لم يبنوا قلاعاً،

---

(١) من محاضرة تحت عنوان (الجوانب المفقودة في تاريخ مناطق القطيف) ألقيناها في مسجد القوع بأم الحمام بتاريخ ٢٧ رمضان ١٤١٩ هـ .

(٢) القطيف واحة على ضفاف الخليج ، ص ٢٢٥ .

ولا سيَّما أن الفترة التي مكثوها في القطيف كانت ٣١ عاماً، وخلال تلك العقود كانت القطيف تموج بالتوتر ضد الغزاة ، ولكنني لا أستبعد ترميمهم القلاع من جراء القدم أو القصف المدفعي ليستقيموا فيها وقد رأيت في قلعة تاروت ترميماً قديماً على البناء الأساسي ، وإذا كانت هذه القلاع برتغالية فهذا يعني أنه لا يوجد لدى أبناء المنطقة قلاع وحصون للحماية في تلك العهود هذا مناقض للواقع ، فقد كانت المناطق محصنة تماماً ضد أي غزو. وقد ذكرت في كتابي (من تاريخ جزيرة تاروت) [١] أن التاروتيين رمموها في ٦ / ١ / ٩٥١هـ والقلعة موجودة في أواخر القرن الرابع الهجري كما ذكرت في الكتاب نفسه بأن أكبر شيوخ بني عامر وهو أبو عاصم بن سرحان الذي كان حاكماً للقطيف قتل فيها في ربيع سنة ٦٤١ هـ على يد الأتابك أبي بكر السلغري، وهناك أدلة تاريخية تفيد بأن القلاع في منطقة القطيف قد بنيت بسواعد أهالي القطيف أنفسهم وذلك للدفاع والذود عن حياض الوطن العزيز ضد كل معتد .

وهناك كثير من الكتّاب ذكروا أن القلاع في المنطقة معروفة قبل البرتغاليين وأنها قديمة بعيدة الأثر [٢] .

---

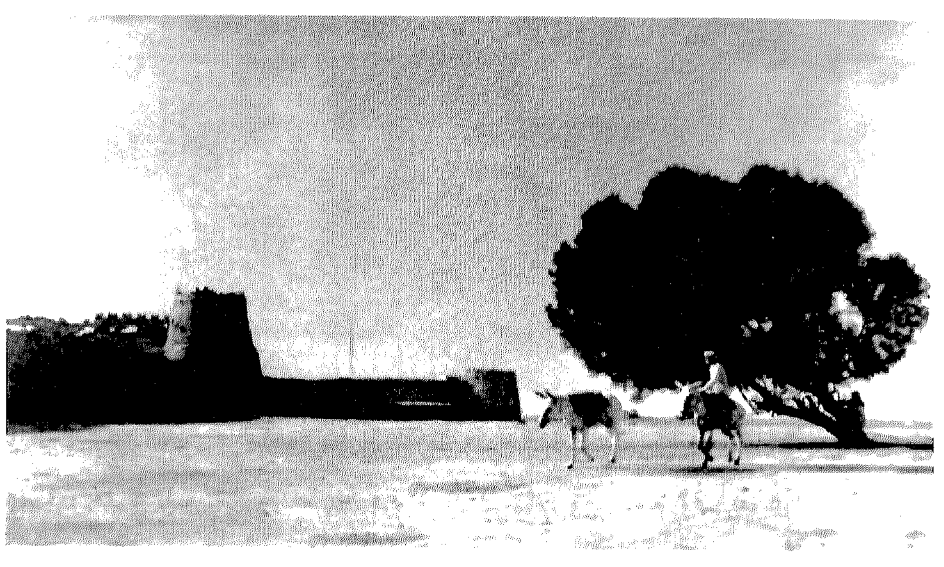
(١) من تاريخ جزيرة تاروت ، ص ١٣٦ وأيضاً ص١٠٨ .

(٢) وانظر في ذلك مجلة الوثيقة ع ١ س ١ – ٩/١٤٠٢ هـ ص ١١٦ وما بعدها. وانظر أيضاً: الوثيقة –ع ٨ ، س ٤ ، يناير ١٩٨٦ م ، ص ص ٢٠١ – ٢٠٧ وخاصة ص ٢٠١ من مقال بعنوان

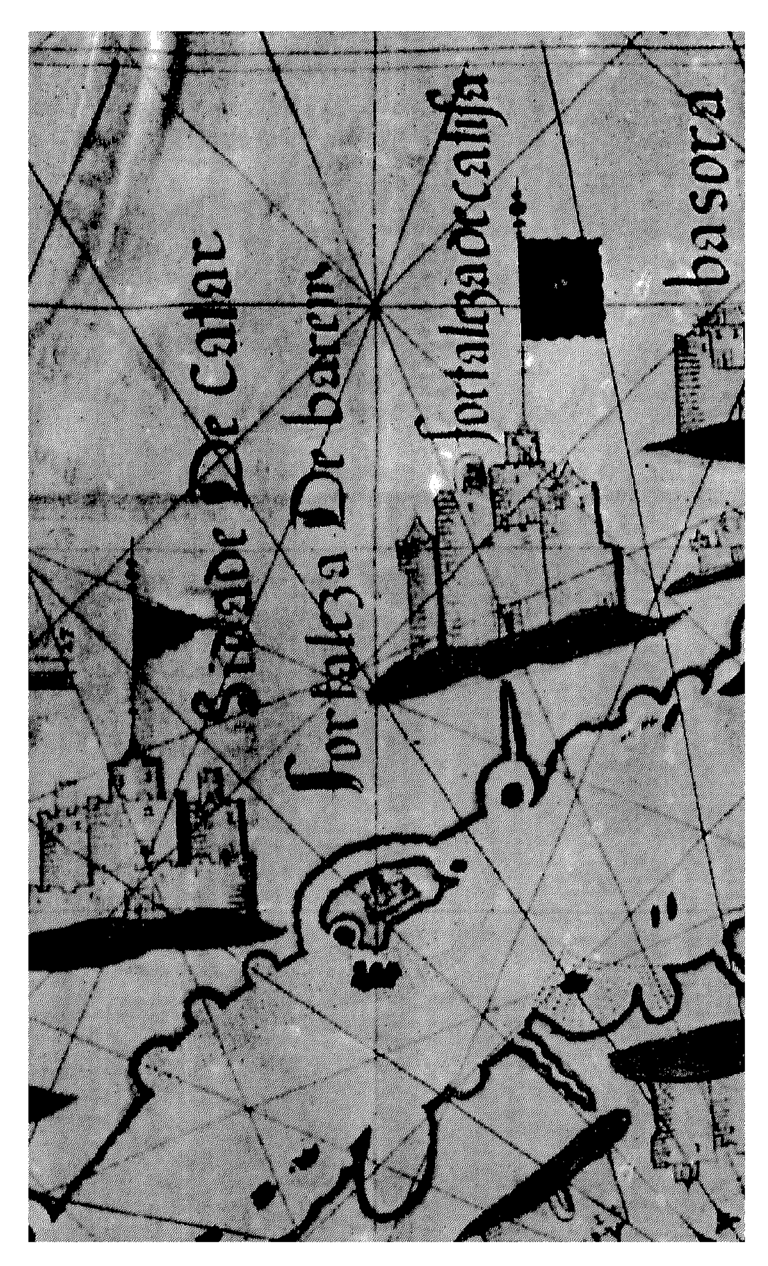
By. N. P. Silv: Remarks on the History of Bahrain During the portuguese period



سور القطيف حيث يصطف رماة البنادق - صورة تعود لعام ١٩٣٧ م



جانب من قلاع جمارك القطيف - صورة تعود لعام ١٩٤٧ م



FORTALEZA DE CATIFA قلعة القطيف كما رسمها لازارو لويس وهي جزء من خريطة الجزيرة العربية وأمامها خليج تاروت وفي منتصفه جزيرة تاروت والنهير الممتد من منتصف خليج تاروت الى القطيف من خيال الرسام، وغير معروف في الواقع وهذا الرسم يعود لعام ١٥٦٣ م، لاحظ راية القطيف ، إنها تختلف عن راية قطر.



برج سيهات البحري الذي يحمي المراكب عند دخولها إلى خور سيهات

صورة تعود للخمسينات الميلادية 1955م



جانب من قلعة القطيف ويرى دروازة البحر بين البرجين   الصورة تعود لعام ١٩٣٧ م



قلعة تاروت كانت هدفاً للمدافع البرتغالية سنة ٩٥١ هـ - ١٥٤٤ م .



الباب الرابع

العثمانيون في المنطقة .

بدء الاحتلال البرتغالي .

الصراع في القطيف .

العثمانيون .

الجبريون .

البرتغاليون .

الصفويون .



حكام القطيف المعاصرون للبرتغاليين :

سلطان علي بك قائد سنجق القطيف : (أجرى مفاوضات مع البرتغاليين وأعاد أسراهم مع غنائم الحرب التي كسبوها وكانوا أكثر من ٧٠ مقاتلاً)[١] .

شهدت القطيف عدة حكام في تلك الفترة الزمنية سواء كانوا محليين أو كانوا معينين من قبل الأتراك أو حكاماً بالتناوب في القطيف ، ونذكر منهم :

١- السلطان مقرن بن أجود بن زامل انتهى حكمه سنة ٩٢٧ هـ - ١٥٢١ م ، وكان حاكماً للبحرين والقطيف والأحساء حيث قتله البرتغاليون في أثناء احتلالهم البحرين .

٢- علي بن أجود لمدة شهر .

٣- ثم ابن أخيه ناصر بن محمد بن أجود حكم ثلاث سنوات (٩٢٨ - ٩٣١ هـ) (١٥٢١ - ١٥٢٥ م) ولناصر أخ آخر هو الشيخ يحيى .

٤- ثم تنازل عن الحكم لقطن بن علي بن هلال بن زامل لقاء مبلغ من المال فمات بعد سنة من الحكم أي في سنة ٩٣٢ هـ .

٥- ابن سابق الذكر لعدة أشهر وقد تنازل لغصيب .

٦- قطن بن قطن تنازل إلى غصيب بن زامل بن هلال (استعان بالسلطان راشد)[٢] إلى سنة ٩٣٣ هـ - ١٥٢٦ م .

٧- السلطان راشد بن مغامس بن صقر بن محمد بن فضل ، سنة ٩٣٣هـ وسمي سلطان الشرق وكان حاكماً للقطيف والأحساء والبصرة (انتزعها من الفرس سنة ٩٣١ هـ) وبعد أن احتل البحرين[٣] عيّن أخاه محمداً والياً على البصرة .

---

(١) مجلة الوثيقة البحرينية ، ص ٣٩ ع ١٧ .

(٢) ساحل الذهب الأسود ، ص ١٧٠ .

(٣) كتاب البحرين ص ٦٥ .

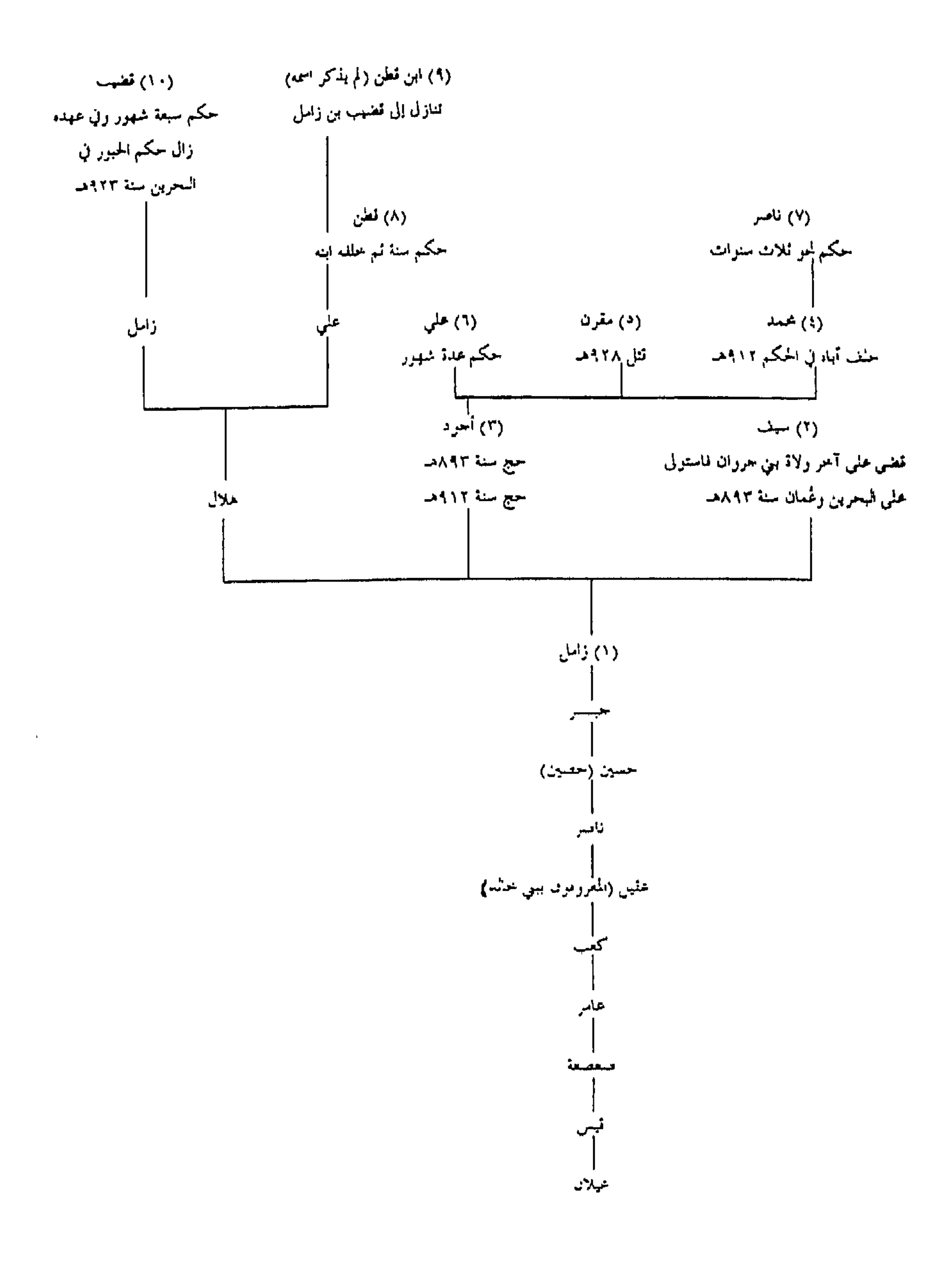
٨- ابن راشد سابق الذكر .

٩- السلطان مانع ملك الأحساء وقد استولى على القطيف سنة ٩٤٦هـ- ١٥٣٩ م وضمها لسلطانه.

١٠- مقرن بن غصيب منيع بن سالم وقد هرب إلى العراق سنة ٩٦٦هـ- ١٥٥٨ م [١]

(١) صفحات من تاريخ الأحساء ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

شجرة حكام الجبور [١]



---

(١) المصدر : أبا حسين ، علي : الجبور عرب البحرين أو عربان الشرق ، الوثيقة ع ٣ س ١ ، ١٩٨٣ .

العثمانيون في المنطقة :

دام حكم العثمانيين في الأحساء والقطيف قرابة مئة وخمسة وعشرين عاماً كانت المنطقة في أثناءها ولاية مستقلة منذ إلحاقها بدائرة نفوذهم سنة تسعمئة وسبع وخمسين هجرية – ١٥٥٠ م إلى أن خرجوا منها سنة ألف واثنتين وثمانين هجرية – ١٦٦٨ م . وقد حفظت لنا المصادر أسماء عدد من الولاة وهم :

١ – محمد باشا فروخ :

هو أول العثمانيين على الأحساء ويدعى أمير الأمراء وهو الذي كان له قصب السبق في فتحها لحسابهم ويرى المؤرخ عبد الرحمن الملا أنه قام فور تسلمه مهام عمله فيها بوضع الأسس والترتيبات الإدارية التي سار عليها الولاة بعده في حكم الأحساء وهي :

أولاً : اختيار مدينة الهفوف مقراً لكرسي حكم الولاية ومحل إقامة الولاة .

ثانياً : تقسيم الولاية إلى أقضية بحيث يكون بكل قضاء حامية عسكرية ومركز تموين وقائم مقام يصرف أموره في ضوء توجيهات الوالي كما هو الحال في قضاء القطيف وقضاء قطر وكان كل من هذين الإقليمين قبل ضمهما إلى ولاية الأحساء لواء يحكمه متصرف مرجعه والي البصرة .

ثالثاً : تقسيم القضاء إلى نواح ، والناحية وحدة إدارية صغيرة يقوم بإدارة شؤونها مدير تكون علاقته مباشرة بالقائم مقام .

رابعاً : ولتيسير الاتصال بين المسؤولين في الولاية والمواطنين فقد أصبح بكل حي وقرية مختار من أهلها ، كما كان لعشائر البدو شيوخهم وأمراؤهم الخاصة بهم بحيث يكون هؤلاء المشايخ والأمراء مسؤولين أمام حكومة الولاية عن كل ما يحصل من رجال عشائرهم من إخلال بالأمن أو خروج عن السلطة ، وقد أشارت وثائق [1] أوقاف الولاة إلى بعض

---

(١) رزنامة علي باشا لمدرسة القبة – شهر شعبان سنة ١٠١٩ هـ نقلاً عن تاريخ هجر ، ج٢ ص ٢٢٢ .

أسماء هؤلاء الأمراء ومنهم على سبيل المثال الأمير كليب بن سلطان آل مسلم.

خامساً : ولحماية البلاد من الأخطار الداخلية والخارجية فقد قام أمير الأمراء محمد باشا بإسكان العشائر العربية التي قدمت معه من الشام والعراق على مشارف البلاد في محاذاة الصحراء ، فأنزل بني خالد الموضع المعروف بالرجراجة جنوب مدينة الهفوف وذلك لصد غارات البدو القادمة من داخل الجزيرة العربية، كما قام بتعزيز دفاعات البلاد أمام الغزاة من ناحية البحر فركز الحاميات النظامية في الموانئ والأسياف ، وقد ظل محمد باشا يمارس مهام عمله في ولاية الأحساء إلى أن وافاه الأجل فدفن بها بجانب مسجده المسمى مسجد الدبس لوقوعه بالقرب من سوق التمر ، وكان قد بناه في حي الكوت من الهفوف سنة تسعمئة واثنتين وستين هجرية الموافق سنة ١٥٥٤ م على وفق ما جاء مدوناً على حجر بالجدار القبلي لذلك المسجد وهو لا يزال قائماً حتى هذا اليوم .

وكان محمد باشا رحمه الله قائداً عثمانياً بارزاً تصدر الجيوش التركية في فتح ديار بكر كما شارك في فتح البصرة وعين والياً عليها سنة تسعمئة وإحدى وخمسين هجرية - ١٥٤٤ م .

٢ - مصطفى باشا فروخ :

يعد مصطفى باشا ثاني الولاة العثمانيين على الأحساء وأورد المؤرخ الملا عنه قوله : وهو فيما يظهر لي أخو محمد باشا وليس ابنه ، وقد قام إبان ولايته على الأحساء سنة تسعمئة وست وستين هجرية - ١٥٥٩ م بمحاولة فاشلة لغزو البحرين فأفضى ذلك إلى إعفائه من مهام عمله سنة تسعمئة وسبع وستين هجرية - ١٥٦٠ م ويذهب أحد الباحثين إلى القول (إن مصطفى باشا لم يتحمل الصدمة فمات) غير أن هناك وثيقة محررة في غرة شهر جمادى الآخر سنة ألف وست وثلاثين هجرية خاصة بأوقاف أحد مساجد علي باشا البريكي أن مصطفى باشا لم يمت في أعقاب عزله عن الولاية بل مكث بعدها قرابة ستة وستين عاماً فقد جاء في تلك الوثيقة شهادة الوالي السالف الذكر بالصيغة التالية (أشهدني

بمضمون هذه الورقة على نفسه صاحب السعادة علي باشا الواقف المذكور، كتبه الأقل خادم نعال أهل الفضل والصلاح مصطفى بن فروخ) ويستشف من هذه الشهادة أن مصطفى السالف الذكر قد اتجه بعد إعفائه من ولاية الأحساء إلى التصوف والزهد ، وأن الحياة قد امتدت به إلى التاريخ المذكور (١) .

٣ – مراد بك :

إن معرفتنا بهذا الوالي لا تتجاوز العلم بتعيينه خلفاً لمصطفى باشا بعد عزله عن ولاية الأحساء وإنه كان قبل ذلك أمير الأمراء بالموصل على وفق ما جاء بالوثائق العثمانية .

٤ – علي باشا بن أحمد لاوند البريكي :

يعتبر أمير الأمراء علي باشا بن أحمد بن لاوند البريكي رأس الأسرة التي حكمت الأحساء من نحو سنة تسعمئة وسبعين هجرية – ١٥٦٢ م إلى سنة ألف واثنتين وثمانين هجرية – ١٦٦٨ م وهو أعظم الولاة العثمانيين في الأحساء طيلة فترة حكمهم الأولى ومن أجلّهم شأناً وأخلدهم ذكراً فلا تزال آثاره في البلاد شاهداً على ما يتحلى به من الصفات الحميدة ومن أبرزها التقى والحرص على عمارة المساجد وتشييد القصور والدور الحكومية وإقامة القلاع والحصون وتأسيس المبرا ت وإنشاء المدارس وتشجيع الدارسين بها والعطف على العلماء وأهل الصلاح وإعلاء شأنهم ، وقد تبوأ سدة الحكم في الأحساء مرتين ، بدأت أولاهما في بداية العقد الثامن من القرن العاشر وانتهت عند نهايته . ويضيف المؤرخ عبد الرحمن الملا : فقد دلت الوثائق العثمانية على أن علي باشا قد أصبح والياً على البصرة ثم بغداد بعد أن أعفي من مهام عمله في الأحساء .وأهم الوثائق المتعلقة بهذا الخصوص رسالة موجهة من السلطان العثماني لخلف علي باشا في ولاية الأحساء وقد جاء فيها (٢) (أمر

---

(١) تاريخ هجر ، ج ٢ ، ص ٢٢٣ .

(٢) أرشيف رئاسة الوزراء باسطنبول – دفتر المهمة رقم ١٩ ص ٣ ترجمة عادل محمد نور غباشي،نقلا عن تاريخ هجر، ج ٢،ص٢٢٤ .

إلى أمير أمراء الأحساء إن أمير أمراء الأحساء سابقاً وأمير أمراء البصرة حالياً علياً أدام الله إقباله كتب إلى جنابنا رسالة ذكر فيها أنه يوجد في مدينة الهفوف بعض المساجد القديمة في حالة سيئة وقد بنى الوالي المذكور مسجداً في المدينة المذكورة وأوقف عليه بعض البساتين وأن الخموس والأعشار التي تؤخذ على هذه البساتين قليلة ويرجو منا أن نعفو عن أخذ هذه الأعشار والخموس ولا ندخل فيها إلا من كان أميناً ، والآن أرجو منك أن تثبت لنا خموس وأعشار هذه البساتين مع مقدارها وماذا يكتب في دفاترها ، ويجب أن تكتب إلى – غرة محرم سنة تسعمئة وثمانين هجرية – ١٥٧٢ م.

كما تشير وثيقة عثمانية أخرى [1] إلى أن الأحساء في سنة ٩٨١ هجرية – ١٥٧٣ م كانت تتهيأ لاستقبال أمير أمراء جديد وأن سواحلها وجزر البحرين توشك أن تصبح فريسة لأطماع البرتغاليين الذين أعدوا العدة لمهاجمتها وأن السلطان العثماني قد أصدر أوامره إلى ولاته في المنطقة بالتزام اليقظة والحذر واتخاذ الأهبة اللازمة لردع البرتغاليين وحماية الأحساء والبحرين من عدوانهم. تقول الوثيقة : (أمر إلى أمير أمراء البصرة أن والي بغداد علي باشا أطال الله عمره وأدام إقباله كتب إلينا رسالة كتب فيها أن الكفار البرتغاليين الحقيرين لعنهم الله قد جاؤوا في اثنتي عشرة سفينة (قادرغه) وسفينتين (قليون) ووصلوا إلى البحرين وبدؤوا يتصنتون على سفن التجار ويضرون السواحل القريبة من البحرين ومن أراضينا المحروسة ويتعدون على بعض قلاعنا فيجب أن تهتم أنت بالأمور وترسل عشر سفن إلى منطقة الأحساء لتحافظ عليها من العدوان وتدفع الشر عن أهلها كما تقوم أنت بالدفاع عن الأحساء ويكون وآلي بغداد في محافظة البصرة ووالي شهر الزول يحفظ بغداد، وقد أرسلت هذا الأمر إلى والي بغداد ووالي شهر الزول وأمرتهم في رسائلي التي أرسلتها إليهما أن يعاونوك عندما يجيء العدوان من الكفار لعنة الله عليهم إلى سواحل مملكتنا، وأمرتهم أن يعاونوك في البر والبحر ويسوقوا الجيوش تحت أمرك كما تكون السفن في البحر تحت

(١) أرشيف رئاسة الوزراء باسطنبول – دفتر المهمة رقم ١٢ ص٢٢٢ رقم الحكم السلطاني ٦٣٨ – ترجمة عادل غباشي نقلاً عن تاريخ هجر، ج٢ ، ص٢٢٤.

أمرك لتدافع بوجه مناسب على ما تراه حسناً عن أراضينا في السواحل وعن جزيرة البحرين، ويجب أن تبقى في الدفاع عن المنطقة إلى أن يجيء أمير أمراء جديد إلى الأحساء، وإذا جاء أمير الأمراء إلى الأحساء لا تهتم باستقباله وتترك موقفك عن الدفاع، ويجب أن تضع عددا من الجنود في القلاع ليحافظوا على المملكة بدقة ولا تنسوا هذا أبداً ولله الحمد.

(١٠ جمادى الأولى سنة تسعمئة وإحدى وثمانين هجرية)

٥ – إلياس بك:

أشارت الوثائق العثمانية إلى وجوده على رأس السلطة في الأحساء سنة ٩٨٢ : ٩٨٣هـ كما تحدثت عن نجاحه في قمع بعض حركات التمرد التي قام بها رجال البادية واستسلام زعيمهم « سعدون » يظهر ذلك جليا في وثيقتين:

-إحداهما في ١٣ صفر ٩٨٢ هـ [(١)] - والأخرى في ١٢ صفر ٩٨٣ هـ [(٢)] وجاء فيها: إلى إلياس حاكم عام الأحساء. لقد كتب لنا سعدون أحد شيوخ البدو بأنه ظل مقيماً في الصحراء ولم يحاول الاقتراب من المناطق المأهولة أو الاتصال بالقلاع. ونظرا لماتتصف به من الوضوح فإن سعدون قد جاءك بجميع أهله وقبائله وسلم لك عن طيب خاطر ثقة منه بعدلكم وشهامتكم، واستجابة لما كتبتم به إلينا عن ولائه وطلبكم تعيينه في المنطقة التي يحكمها أخوه فقد أمرنا بتعيينه في حكم تلك المنطقة، وأن تصرفوا لأخيه ٤٠ أقجة في الأسبوع من الخزينة.

٦ – أحمد بك

ورد اسم هذا الوالي في الوثائق العثمانية على أنه كان أمير أمراء الأحساء سنة تسعمئة وخمس وثمانين هجرية – ١٥٧٧ م وأن القطيف في أيامه كانت تتعرض لإرهاب رجال العشائر وعبثهم الأمر الذي اضطر أكثر التجار وغاصة اللؤلؤ من أهلها للنزوح عنها إلى جزر

---

(١) مهمة دفتري ٣ صفحة ١٣٠ نقلاً عن تاريخ هجر، ج ٢، ص ٢٢٥ .

(٢) تاريخ هجر، ج ٢، ص ٢٢٦ .

البحرين، وقد وجد أمير الأمراء أحمد بك نفسه عاجزاً عن معالجة الموقف فكتب إلى السلطان بما يحدث في القطيف وطلب منه النجدة والمساعدة لإعادة حياة الاستقرار والأمن في البلاد .

فكتب السلطان بدوره لوالي البصرة في ٢٣ رجب سنة تسعمئة وخمس وثمانين هجرية ـ ١٥٧٧ م كتاباً يأمره فيه بالسعي الحثيث لإرسال قوات وسفن إلى الأحساء لحراستها وإعداد ميناء القطيف لاستقبال السفن الكبيرة وإيوائها والمحافظة عليها والعمل على كسر شوكة العابثين بالأمن من رجال البادية في القطيف وإشاعة الطمأنينة في نفوس أهلها وإرسال سفينتين (قادرغة) إلى البحرين لنقل غاصة اللؤلؤ من هناك والعودة بهم إلى وطنهم . كما أمر بإرسال بعض السفن للمحافظة على طرق الملاحة وذلك في إطار اهتمام العثمانيين بأمن الأحساء واستقرارها وتنمية مواردها المالية من الصيد والغوص على اللؤلؤ وإنعاش حركة التجارة الأمر الذي سيعود بجليل الفائدة على الرعية والدولة على السواء .

وقد استمر هذا الوالي يمارس مهام عمله في الأحساء حتى سنة ٩٩٨ هـ ويوضح ذلك خطاب موجه إلى (سعدون) بتاريخ ١٦ رجب ٩٩٨ هـ [١] .

٧ – يوسف بك:

وقد أشارت الوثائق إلى اضطراب الأحوال الأمنية في عهده واستشراء نشاط رجال البادية وتغلبهم على معظم أراضى الأحساء حتى لم يبق تحت يد الوالي العثماني سوى لوائين من ألوية المنطقة .

٨ – عثمان بك:

وقد تسلم مقاليد السلطة في الأحساء بعد يوسف بك مباشرة وأنيطت به مهمة القضاء على تمرد الأعراب وتحرير الأراضي الواقعة تحت سيطرتهم ، ويظهر ذلك جلياً في خطاب موجه إليه في شهر شوال ١٠٠١ هـ جاء فيه (أن أمير أمراء الأحساء السابق بعث برسالة

---

(١) بنو خالد وعلاقتهم بنجد،ص١٤٢ .

مفادها أنه لم تبق من ألوية الأحساء تحت السلطة العثمانية سوى لوائي صفوى والقطيف)[1].

٩ – عبد الباقي بك :

كان هذا الوالي على رأس السلطة في الأحساء سنة ١٠٠٣ هـ وقد توفي بها.

١٠ – أحمد باشا :

وقد أشارت وثيقة عثمانية مؤرخة في سنة ١٠٠٣ هـ إلى وجوده كأحد ولاة الأحساء ولسنا نعرف عما إذا كان هذا الوالي هو أحمد بك أمير أمراء الأحساء سنة ٩٨٥هـ الذي سبق ذكره أم أنه وال جديد لم يسبق له ممارسة السلطة بها.

١١ – الوالي بهرام :

وقد توفي في الأحساء ويرجح المؤرخ الوهبي [2] أنه قتل على أيدي أهلها استئناساً بما ذكره الغرابي [3] في تاريخه عندما أورد ذكر ثورة الأحساء على الوالي العثماني وقتله وإسناد السلطة إلى أحد القادة وإبلاغ السلطة العثمانية في استانبول بما حدث وموافقتها على ذلك.

(كما ذكر الوهبي أيضا أن بعض الوثائق العثمانية أشارت إلى وجود والٍ عثماني في الأحساء يدعى (إبراهيم) في سنة ١٠١٩ هـ) بيد أنه من المؤكد أن ذلك الوالي على فرض صحة تعيينه لم يمارس السلطة في ذلك العام حيث توجد في حوزتنا وثائق صريحة في أن علي باشا كان على رأس السلطة في الأحساء وقد أمر آنذاك بتأسيس (مدرسة القبة) التي بجوار منزله [4]

---

(١) صفوى واحة صغيرة شمال القطيف .

(٢) نقلاً عن تاريخ هجر .

(٣) رزنامة وقفية مدرسة القبة مؤرخة في سنة ١٠١٩ هـ نقلاً عن تاريخ هجر ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ .

(٤) هو جد الأسر المعروفة في الأحساء بآل حكيم ، وآل عثمان ، وآل جلال .

١٢ – الأمير علي باشا في ولايته الثانية :

عاد أمير الأمراء علي باشا ليتولى مهام منصبه في الأحساء وليعيد إلى البلاد الاستقرار والأمن ويتخذ منها قاعدة حربية قوية التحصين تسهم في دحر البرتغاليين وحماية المنطقة من هجماتهم، كما حرص على إنعاش الحياة الفكرية عن طريق إنشاء المدارس التي جعلت من الأحساء مركزاً علمياً يقصده طلاب العلم من أنحاء الخليج.

ومن آثاره الباقية في الأحساء حتى هذا اليوم ما يلي :

١ – جامع القبة الواقع داخل القصر المسمى قصر إبراهيم في كوت الهفوف وتاريخ بنائه سنة ٩٧٤ هـ – ١٥٦٦ م وقد أقام في إمامته والنظارة على أوقافه الشيخ محمد بن أحمد بن سليمان الحكيم و يقوم مقامه بعد وفاته ابنه إبراهيم. ويحتوي الجامع السالف الذكر قاعة للوعظ والإرشاد ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم.

٢ – ومن آثاره الباقية أيضا مدرسة القبة التي فرغ من بنائها بجوار منزله بكوت الهفوف سنة ١٠١٩ هـ–١٦٠٩ م وأوقفها على تدريس مختلف العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية وأجرى لطلبتها والعاملين بها رواتب يومية تصرف من عائدات عقارات أوقفها لهذا الغرض، وجعل على نظارتها وإدارة جميع شؤونها الشيخ محمد بن الملا علي آل واعظ الحريثي.

٣ – وكذلك من آثاره المسجد الواقع قرب جامع الجبري في الكوت المسمى بمسجد شبيب وقد أسس إلى جانبه رباطاً [1] جعله وقفاً لسكن طلبة العلم مع تأمين ما يلزمهم من المأكل والمشرب، وقد عين لإمامة المسجد والإشراف على الرباط والنظارة على العقارات الموقفة للإنفاق عليهما الإمام الفاضل الشيخ محمد بن يونس المالكي المغربي وبعده لذريته، وجعل البيت الذي بناه بقرب الرباط من الشرق للإمام المتولي على المسجد وذلك في جمادى الآخر سنة ألف وست وثلاثين هجرية – ١٦٢٦ م .

---

(١) الرباط هو بناء مخصص لإقامة طلاب العلم الغرباء .

٤ – ومن آثار الوالي علي باشا البريكي أيضاً القصر المعروف بقصر إبراهيم في كوت الهفوف وفي عهده أقيم سور الكوت . وقد امتدت ولايته إلى أوائل العقد الرابع من القرن الحادي عشر الهجري على وجه التقريب، وقد ولد له في الأحساء أربعة أولاد هم محمد، وأبو بكر الشاعر الأديب ويحيى الذي كان ينيبه عنه في إدارة شؤون القطيف وكذلك عمر بك آخر الولاة العثمانيين على الأحساء.[١]

١٣ – محمد باشا :

حين تقدمت السن بعلي باشا البريكي رأى أن يمضي بقية عمره في جوار الحرم المدني فارتحل مع بعض أفراد أسرته إلى هناك وأقام فيها حتى وافاه الأجل سنة ١٠٥١هـ– ١٦٤١ م وقد قام مقامه في ولاية الأحساء ابنه محمد علي باشا، ويورد الشيخ محمد بن عبد القادر كيفية الطريقة التي وصل بها محمد باشا إلى سدة الحكم في الأحساء في قصة هذا نصها :[٢]

(كان على علي باشا مبلغ من النقود يؤديها لخزانة الدولة سنويا ويوفد أحد أولاده بهدية إلى السلطان في كل سنة، فأوفد ابنه محمد بالهدية المعتادة فزور محمد كتاباً على أبيه للسلطان يقول فيه (إني رجل كبير السن ولا أستطيع القيام بمهام منصبي وألتمس من عظمة السلطان أن يعفيني ويجعل ابني محمدا بدلاً مني) فأجابه السلطان بكتاب يتضمن إعفاءه وإقامة ابنه محمداً مقامه، فلما وصل محمد إلى الأحساء جمع أمراء العسكر وقادتهم وأعلمهم بالأمر وأغدق لهم العطاء فوافقوه على رأيه وأخذ عهودهم، ولما تم له ما أراد دفع لوالده الكتاب ولما قرأه بهت وعظم عليه الأمر ورأى ألا يقيم مع ابنه في بلد واحد فطلب منه أن يجهزه وأهل بيته إلى المدينة المنورة على ساكنها سيدنا محمد أفضل الصلاة والسلام ومعه ابنه يحيى وكان والياً على القطيف فتركها وابنه أبو بكر ونزلوا المدينة بموضع

---

(١) تاريخ هجر ، ج ٢ ، ص ٢٢٩ .

(٢) تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء القديم والجديد ، ص ١٢٢ .

يعرف حتى الآن بحوش الباشا) ويورد المؤرخ عبد الرحمن الملا قوله [١] :

ورواية الشيخ محمد هذه يوردها عبد الإله بن علي الوزير في كتابه (طبق الحلوى وصحف المن والسلوى) في تاريخ اليمن في القرن الحادي عشر ويضيف إليها ما ملخصه أن حاكم البصرة في ذلك الوقت حسين آغا لما بلغه خبر انتزاع محمد باشا للسلطة من أبيه عصفت في نفسه شهوة الطمع في الاستيلاء على حكم الأحساء فسير لاحتلالها جيشاً كثيفاً لم يجسر محمد باشا على مقاومته ففر إلى كنف الشريف زيد بالحجاز ومن هناك كتب للسلطان يخبره بما صنع حسين آغا معه . فكتب السلطان بدوره إلى والي البصرة يستنكر عمله هذا ويحذره من مغبة ما أقدم عليه ويأمره برفع يده عن الأحساء وتمكين محمد باشا من العودة إليها، فأسرع والي البصرة بالكتابة إلى محمد باشا يسترضيه ويدعوه لزيارته ووعده برد سلطة الأحساء إليه، فقدم محمد باشا إلى البصرة وقابل حاكمها ومن ثم عاد للأحساء لتسلم مهام عمله فيها .

ومما يلاحظ على هذه الرواية أنها تطلق على محمد باشا اسم عيسى كما تجعل وفاة علي باشا في سنة ١٠٦٠ هـ-١٦٥٠ م أو السنة التي تليها وقد جاء في مخطوطة بعنوان (المجد في بيان أحوال بغداد وبصرة ونجد) [٢] لإبراهيم بن فصيح حول حملة حسين آغا على الأحساء وانتزاع حكمها من يد محمد باشا وذلك في معرض حديثه عن الأحساء في سنة ألف وأربع وسبعين هجرية – ١٦٦٣ م ما نصه : –

(أرسل والي البصرة حسين باشا العساكر مع أمير بني خالد براك إلى مدينة الأحساء وانتزعها بالأمان من محمد باشا وملكها الأمير براك وجعلها دار ملكه وأظهر فيها العصيان وخرجت الأحساء عن مملكة السلطان) ثم ينتقل إلى سنة ١٠٧٥ هـ-١٦٦٤ م ويحدثنا قائلاً : (سار بالعساكر يحيى آغا ومعه شيخ من بني قشعم كنعان، وقشعم كلهم ونزلوا على الأحساء فالتقاهم شيخ بني خالد صاحب الأحساء الذي ملكها في السنة الماضية

(١) الأحساء في القرن الثاني عشر الهجري ص ٦٧و٦٨

(٢) تاريخ هجر ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ .

وعصى السلطان بها فوقع بينهم القتال وهرب براك وقتل غالب عسكره وتسلم الأحساء يحى أغا وعادت الدولة) ومن آثار محمد باشا جامعه الكائن في حي الكوت قرب قصر الإمارة وتاريخ إنشائه بحساب الجمل « بشراك بشراك » تعني سنة ١٠٤٤ هـ - ١٦٣٤ م وقد نصب في إمامته والنظارة على شؤون أوقافه الشيخ أحمد بن الشيخ محمد آل ملا وبعد محمد باشا آلت ولاية الأحساء إلى أخيه عمر بك بن علي باشا [1]

١٤ - ولاية عمر بك :

هو الابن الرابع لعلي باشا بن أحمد بن لاوند البريكي وقد جاء اسمه مدوناً برزنامة مسجد علي باشا المسمى مسجد شبيب كأحد الشهود بالصيغة التالية :

« وقع ذلك قدوة الأمراء الكرام مولانا الأجل عمر بك بن علي باشا » وقد خفي أمره على الشيخ محمد بن عبد القادر فلم يذكره في جملة أولاد علي باشا واكتفى بالقول إن له ثلاثة أولاد .

ومن آثاره في الأحساء مسجد كان قد بناه في الكوت وأقام للإشراف على نظارة أوقافه الشيخ محمد بن عثمان الجلال، جرى ذلك في شهر ربيع الأول سنة ١٠٥٦ هـ - ١٦٤٦ م.

وعمر بك هو آخر الولاة العثمانيين على الأحساء في فترة حكمهم الأولى لها فلقد انتزع منه الحكم براك بن غرير بن عثمان في عهد السلطان العثماني محمد خان الرابع ابن السلطان إبراهيم وذلك في سنة ١٠٨٢ هـ - ١٦٧١ م.

---

(١) كما يرى المؤرخ الملا ، في تاريخ هجر ج ٢ ، ص ٢٣١ .

شجرة الولاة العثمانيين في الأحساء والقطيف

من عام ٩٦٦ هجرية إلى سنة ١٠٨٢ هجرية (١٥٥٩ - ١٦٧١ م)

مصطفى باشا فروخ

٩٦٦ هـ- ١٥٥٩ م

مراد بك

علي باشا بن أحمد لاوند البريكي

٩٧٠ هـ- ١٥٦٢ م

إلياس بك

٩٧٢ هـ- ١٥٧٤ م

أحمد بك

٩٨٥ هـ- ١٥٧٧ م

يوسف بك

عثمان بك

عبد الباقي بك

١٠٠٣ هـ

أحمد باشا

بهرام

الأمير علي باشا (للمرة الثانية)

محمد باشا (ابن سابق الذكر)

عمر بك بن علي باشا

آخر والٍ عثماني في (الفترة الأولى) التي انتهت سنة ١٠٨٢ هـ- ١٦٧١ م

دخول البرتغاليين في الخليج سنة ٩١٢ هـ - ١٥٠٧ م :

بعد ان استولى الفونسو دي البوكيرك على جزيرة سوقطرة سنة ١٥٠٦ ميلادي، كلفه عمانويل الثاني ملك البرتغال وهو المؤسس الحقيقي للإمبراطورية البرتغالية في الشرق ، وقد رحل البوكيرك إلى الهند سنة ٩٠٩ هـ - ١٥٠٣ م، واستولى عام ٩١٣ هـ - ١٥٠٧ م على هرمز ، وفي سنة ٩١٧ هـ - ١٥١١ م أبحر إلى ملقا واستولى عليها وبذلك وضع جنوب شرق آسيا في دائرة النفوذ البرتغالي بإعداد مشروع يهدف إلى إنشاء إمبراطورية برتغالية مسيحية كبيرة في الشرق[1]، وراح البوكيرك يعمل بهمة ونشاط على إخراج المشروع إلى حيز التنفيذ ، وكان عليه أن يعمل في جبهتين : الأولى مقاومة القوى التي تصدت للسيطرة البرتغالية على البحار الجنوبية وهي[2] :

١ - دولة المماليك البحرية التي كانت تحكم مصر والشام والحجاز واليمن.

٢ - تنظيم القوى المحلية الإسلامية في الخليج العربي .

٣ - انهيار تجارة البنادقة باكتشاف رأس الرجاء الصالح .

أما الجبهة الثانية التي عمل فيها البوكيرك فهي التخطيط لإقامة سلسلة من القلاع العسكرية الحصينة مجبرين الأهالي على ذلك أو أنهم يأخذون القلاع الموجودة عنوة ، على طول الطريق إلى الهند في هرمز ومسقط والبحرين وغيرها مع ما يتطلبه ذلك من ضرورة انتزاع اعتراف الحكام المحليين في هذه الجهات بالبرتغال كسلطة مسيطرة ، وتدمير الأساطيل المحلية التي تقف في مواجهة هذا الطموح ، ولذلك نرى الهمجية البرتغالية واضحة في حرق السفن بأعداد كبيرة في كل ميناء[3] إلى جانب المذابح وانتهاك الأعراض ونهب الأموال

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة س ١٩٧٢ م ، ص ١٩٦ ، وأيضاً : الخليج الفارسي لويلسون ص ١٢٠ ، ١٢١ . وتقسيم الإمبراطورية العمانية ، ص ١٦ ، وانظر أيضاً: الخليج العربي، التطور الحديث والمعاصر ص ٤٨ و٥٠ وانظر كذلك : Naval Warfare P. 47

(٢) صفحات من تاريخ البحرين ، ص ١٠٦ ، ج ٢ وانظر الخليج العربي (دراسة الجغرافية السياسية) ص٣٤.

(٣) الخليج العربي في تاريخه السياسي ص ٢٩ . وانظر أيضا : الشعوب الإسلامية ص ١٣١ وما بعدها .

وجدع الأنوف [1] وصلم الآذان وقطع الألسن ! ! !.

وبالنسبة إلى الجبهة الأولى أحرز دي الميدا نجاحاً سريعاً إذ إن السلطان قنصوه الغوري سلطان المماليك في مصر بادر بإرسال حملة عسكرية بقيادة حسين الكردي باش، وصلت إلى ميناء ديو على الساحل الغربي للهند في عام ١٥٠٨ م استجابة لطلب سلطنة كجرات الإسلامية التي استنجدت بالمماليك ، وتصدى الأسطول البرتغالي لأسطول المماليك في معركة بحرية عام ١٥٠٩ م أسفرت عن هزيمة قوات المماليك وحلفائهم البنادقة[2] ووضعت بالتالي نهاية رسمية للتفوق الملاحي الإسلامي في البحار الجنوبية وبدأت حقبة جديدة من السيطرة الاستعمارية الاحتكارية للبرتغال حيث فرضت ذلك بالنار والحديد في كل ميناء من موانئ العالم حين تقرر عام ١٥١٤ م أن تصبح تجارة المستعمرات البرتغالية احتكاراً ملكياً [3] .

وكذلك لم ينجح الأتراك العثمانيون الذين استولوا على العراق ووصلوا إلى رأس الخليج ، والصفويون الذين كانوا يحكمون في إيران ، في التصدي للبرتغاليين بسبب افتقارهم للقوة البحرية الفعالة ، ووجود الانقسام المذهبي والخلافات السياسية بين الفريقين. ولهذا انحاز الصفويون للبرتغاليين وتاريخ هرمز يفصح عن ذلك .

وبعد ذلك شرع البرتغاليون بالعمل في الجبهة الثانية ، فلم يكتفوا بالسيطرة على الطرق الرئيسة للتجارة العالمية ، وإنما عملوا على إحكام سيطرتهم على الطرق البحرية الفرعية الأخرى حتى تصبح جميع منافذ التجارة في أيديهم ، ومن ثم اتجهوا للسيطرة على الخليج

---

(١) الخليج العربي والحضارة المعاصرة ص ٣٩ ، وانظر كذلك : الدولة العثمانية والشرق العربي ص ١٢١ .

(٢) صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر ، ص١٨٣و١٨٩، البحر الأحمر ،ص١٠.د.محمد عبدالعال.

(٣) أوربا ٢ ص ١٧٠ ، وانظر تفاصيل أوفى عن معركة (ديو) سنة ١٥٠٩ م في : الدولة العثمانية والشرق العربي، وانظر كذلك : العصر المملوكي (من تصفية الوجود الصليبي إلى بداية الهجمة الأوروبية الثانية) ص١٥٧–١٦٠.

العربي وهو شريان التجارة الهام إلى نهر الفرات وسواحل الشام ، وكان لابد لهم بالتالي من الاصطدام بالقوى الإسلامية المحلية بالمنطقة ، وهي مهمة أدوها بشراسة منقطعة النظير بسبب سيطرة الروح الصليبية على ضباط وجنود البحرية البرتغالية الذين نشأوا في وقت احتدام الصراع بين المسلمين والمسيحيين في شبه جزيرة أيبيريا (أسبانيا والبرتغال) فأشربوا في قلوبهم الرغبة الجارفة في الانتقام من المسلمين ، وحفل تاريخهم الدموي بصفحات لا تعد ولا تحصى من القتل والسلب والتعذيب الذي لا يُغتفر أبداً [١].

احتلال هرمز سنة ٩١٣ هـ - ١٥٠٧ م :

هوجمت مملكة هرمز بلا مبرر ودون سابق إنذار أو إعلان حرب خلافاً لجميع الأعراف الدولية [٢] ، وكان أول ما استهدفه البوكيرك تحطيم تلك المملكة التي كانت تتمتع بثراء كبير طوال القرون الوسطى ، حيث كانت أقوى وأغنى كيان محلي قائم في المنطقة منذ القرن الحادي عشر الميلادي ، وقد زارها كثير من الرحالة العرب والغربيين وتحدثوا عن قوتها وعظمتها وثرائها وتجارتها وتقدمها المدني ، ومنهم الرحالة العربي ابن بطوطة الذي زارها في رحلته الأولى التي قام بها في الفترة من ١٣٢٥ - ١٣٤٩ م ، والرحالة الأوربي لود فيج وارثمان L. V. Wertheman الذي زار الجزيرة في عام ١٥٠٢ م قبل وصول البرتغاليين مباشرة ، وغيرهم ، وقد أطنبوا في وصف ثراء المدينة ونظامها ونظافتها وما تمتلئ به من التحف ، وكان سكانها قبيل الغزو البرتغالي يزيدون على أربعين ألف نسمة يعيشون في مستوى عال من الرفاهية ، ولكن مع بداية القرن الخامس عشر بدأ الضعف يدب في كيان هرمز بسبب تفاقم الصراع بين أفراد أسرتها المالكة مما شجع القبائل العربية المنتشرة على طول السواحل الشرقية للجزيرة العربية على التخلص من التبعية لهرمز ، ومن أبرزها بنو جبر

---

(١) كل المراجع التي اطلعنا عليها ومنها التي اعتمدنا عليها في إعداد هذا الكتاب باختلاف مواضيعها واختلاف فتراتها تشير إلى الصفحات السوداء لمثل هذه الأعمال البشعة .

(٢) الوثيقة ع ١٥ ، س ٨ ، ١٢/٩/١٤٠٩ هـ ، ص ١١٩ ، وانظر أيضا : مملكة هرمز ، ص ٦١ وما بعدها وهو كتاب يتحدث عن كل أحداثها في العصر البرتغالي، وانظر كذلك : إيران وعلاقتها الخارجية في العصر الصفوي ،ص١١و١٢

الذين انتزعوا السيادة على الأحساء والقطيف من أيدي حكامها السابقين الذين كانوا خاضعين لملوك هرمز ، كما نجحوا في السيطرة على البحرين وبعض أقاليم نجد وامتد نفوذهم إلى بعض المقاطعات والموانئ العمانية حتى أصبح شيخ بني جبر يلقب بسلطان البحرين والقطيف والأحساء ورئيس أهل نجد ، وقد وصل البرتغاليون إلى المنطقة في خضم هذا الصراع الهائل بين ملوك هرمز وشيوخ بني جبر [1] ، وبدأ الصراع الطويل على هرمز المقر الرئيس وجنة عدن للبرتغاليين والميناء الذي يدر ذهباً والبقرة الحلوب التي لم توقف عن الحلب حتى طرد البرتغاليين سنة ١٦٢٢ م وانتهى الحكم البرتغالي لمملكة هرمز في يوم ٢٣ ابريل سنة ١٦٢٢ م بإنزال علمهم الذي ظل يرفرف لأكثر من مئة عام ، على الرغم من استمرار ورود المنتجات البرتغالية إلى ميناء كنج حتى عام ١٧٢١ م [2]

البوكيرك ينوي الاتجاه إلى القطيف سنة ٩١٣ هـ - ١٥٠٧ م :

بعد أن احتل ألفونسو دي البوكيرك جزيرة سقطرة التي تمثل موقعاً نموذجياً بالنسبة إلى أهداف الخطة البرتغالية؛ لوقوعها في مواجهة الساحل الجنوبي لشبه جزيرة العرب وفي منتصف الطريق تماماً بين الخليج العربي والبحر الأحمر ونظراً لعدم جدوى هذه الجزيرة بسبب فقرها من الموارد الطبيعية ، فقد فكر البرتغاليون في الاتجاه نحو عدن بهدف قطع الاتصال بين الهند والدولة المملوكية ، ولاسيّما وأن المماليك كما يقول العقاد : استعدوا لمقاومة البرتغاليين في المحيط الهندي لما لحق بهم من أضرار اقتصادية نتيجة اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح ورغم تمكن البوكيرك من إلحاق الضرر بجزيرة تريم عند مدخل البحر الأحمر إلا أنه لم يتمكن من الوصول إلى عدن [3] فرأى أن يتجه شطر منافذ الخليج للاستيلاء على المدن والموانئ ذات الموارد الاقتصادية المهمة ومنها القطيف وباقي مناطق

---

(١) صفحات من تاريخ البحرين ، ص ١٠٧ ، ج ٢ وانظر أيضاً : عجمان في ذاكرة الزمان ص ٣٤و٣٥و٣٦ .

(٢) تاريخ شرق الجزيرة العربية (نشأة وتطور الكويت والبحرين) ، ص ٤٧ . انظر : الخليج العربي (دراسة الجغرافيا السياسية) ص ٣٤ و ٣٥ ،و السجل الكامل لأعمال الفونسو البوكيرك أيضاً ص ٢٤٧ - ٢٤٩ .

(٣) الوثيقة ع ١٥ ، س ٨ ، ١٢/ ١٤٠٩ هـ ص ١٨٢ .

الخليج [١] بالرغم من أن الفونسو دي البوكيرك لم يحدد هدفاً في الخليج العربي قبل دخوله سوى هرمز فقط حيث لم يأمره الملك أمانويل بذلك وإنما حدد له الاستيلاء على هرمز فقط ، إلا أن الأمور بعد احتلال هرمز اختلفت تماماً والاحتلال توسع كثيراً فالتجارة في الخليج أغرت الغزاة بالتحرك نحو المشيخات والمناطق . كما حدث في مسقط وصحار وصور وقريات حيث أحرقت السفن العمانية ومراكب صيد الأسماك [٢]

البرتغاليون على استعداد لإنزال قواتهم في القطيف سنة ٩١٤ هـ – ١٥٠٧ م

لقد احتل البرتغاليون جزيرة هرمز تلك الجزيرة التي تتحكم في مياه مدخل الخليج – بقيادة البوكيرك وقبل الشروع في اقتحام الخليج العربي سنة ١٥٠٧ م ، خشي من إدارة الشاه إسماعيل الصفوي (١٤٩٩ – ١٥٤٢ م) لأهمية جزيرة هرمز وتطلعه للاستيلاء على مواقع عديدة في الخليج وكلها ذات أهمية استراتيجية وأن هناك علاقة بينه وبين الشاه فأراد البوكيرك أن يكسب ود الشاه فبعث له رسالة ليأمن جانبه وليخيف بهذا التقرب القوى العربية في الخليج عندما تسمع بهذا التقارب وتلك الاستعدادات فكان يقول في رسالته : (إنني أقدر لك احترامك للمسيحيين في بلادك وأعرض عليك الأسطول والجند والأسلحة لاستخدامها ضد قلاع الترك في الهند [٣] وإذا أردت أن تنقض على بلاد العرب أو أن (تهاجم مكة) ! ! ستجدني بجانبك في البحر الأحمر أمام جدة أو في عدن أو في البحرين أو في القطيف أو في البصرة وسيجدني الشاه بجانبه على امتداد الساحل

---

(١) والإشارة هنا إلى استعداده للهجوم على مكة المكرمة ما هي إلا إشارة للمخططات الاستعمارية التي تهدف إليها الحملات البرتغالية وإشارة إلى أهداف الملك عمانويل الأول ملك البرتغال حيث وجه رسالة إلى البابا يوليوس الثاني عام ١٥٠٥ م حيث يقول : (إنه ليس عازماً على المضي في قتل التجارة المملوكية فقط بل إنه سيجاهد في سبيل المسيحية حتى يجعل من مكة هدفاً لمدافعه وجنوده) : (مصر والحروب الصليبية ، ص١٦) تأليف محمد مصطفى زيادة ، وانظر أيضاً : التيارات السياسية في الخليج العربي ص ١٧ ، وندوة رأس الخيمة التاريخية ص ١٥١ .

(٢) عمان في التاريخ ص ٣٧٣ .

(٣) الوثيقة ع ١٧ ، س ٩ ، ١٢ / ١٤١٠ هـ ، الصفحتان ٦١ و ٦٢ وما بعدهما .

الفارسي ، وسأنفذ له كل ما يريد ! !). ومن خلال هذا الخطاب يتضح لنا مدى نية البرتغاليين الدموية والمبيتة مسبقاً تجاه مشيخات وسلطنات الخليج ، وهو ما حدث فعلاً بعد عام ٩١٤ هجرية في كل المناطق التي ذكرت ، حيث زهقت الأرواح وهدمت المساجد وأحرقت الناس في بيوت الله، كما أحرقت السفن في عرض البحر أو في الموانئ وهدمت الدور الآمنة وقائمة طويلة من الأحداث الدموية التي لا تخفى على قارئ أو متمعن في تاريخ الخليج خلال وجود البرتغاليين في تلك الفترة الزمنية ، وأما استعداد البرتغاليين إلى إنزال قواتهم في القطيف فهذا لا يعني أن منطقة القطيف مستثناة من ذلك وهو ما حدث فعلاً بعد أن احتلوا القطيف سنة ٩٢٧ هجرية [1].

(١) النفوذ البرتغالي في الخليج ، ص ١٢٩ ، وانظر كذلك : مملكة هرمز ص ١٠٤ .



فرانشيسكو دي الميدا

خسر ابنه في معركة شيول بالهند (ميناء كجرات) سنة ٩١٣ هـ ـ ١٥٠٨ م في اول هزيمة للبرتغاليين في المحيط الهندي وقرر الانتقام من حسين الكردي الذي اعتبره المسؤول عن هذه الخسارة الفادحة التي حلت بهم .

الصفويون يخططون لغزو القطيف سنة ١٥١٥ م :

لما كان البرتغاليون على استعداد لإنزال قواتهم ليس في القطيف فقط بل في كل منطقة في الخليج فيها مصالح ، إلا أن تقدُّمَ الصفويين بمثل هذا الاقتراح عجل بالغزو ، وكما ذكر كثير من المؤرخين :

إن سفير الشاه إسماعيل الصفوي ذهب سنة ١٥١٥ م ، إلى مملكة هرمز يحمل عدة مطالب أجيب إلى بعضها واقترح ضمن اقتراحات كثيرة أن تقدم البرتغال بعض سفنها لإيران كي تمكنها من غزو البحرين والقطيف[١] وأن يساعد البرتغاليون الشاه في قمع تمرد قام ضده في مكران وأن يتنازل الشاه للبرتغاليين عن جوادور (جوادر) على ساحل بلوخستان .

إن الصراع الدائر بين العثمانيين والبرتغاليين هو السبب وراء طلب الصفويين غزو البحرين والقطيف ، لكن البرتغاليين أقدموا على الغزو باسم ملك هرمز وبمساعدة الهرمزيين أنفسهم وهو مايمكن الاطلاع عليه في الصفحات التالية بكل تفاصيله .

الصفويون يرغبون في السيطرة على مياه القطيف سنة ١٥١٥ م :

عندما اجتمع سفير الشاه إسماعيل مع الفونسو دي البوكيرك في هرمز طرح سفير الشاه أربع مسائل منصوصاً عليها في التعليمات الموجهة للسفير من قبل الشاه إسماعيل وكانت المسألة الثانية هي :

أن القطيف الساحلية الواقعة بين البحرين والقطيف (يجب) أن تكون مخصصة لسفنه العَبَّارة من فارس إلى سواحل شبه الجزيرة العربية [٢] ! . ومن جانب البوكيرك أجاب أن أموراً مهمة كهذه تتطلب دراسة متأنية ومن ثم فإنه سيضعها في الاعتبار ويدرسها ويرسل

---

(١) ندوة رأس الخيمة (الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي) ص ٣١ ، وكذلك ص ٦٠ ، وانظر أيضا : دولة اليعاربة ص ٣٦ .

(٢) السجل الكامل لأعمال الفونسو دي البوكيرك ص ٢١١ .

له بشأنها بالسرعة الممكنة [١]

ويعني البند الثاني هذا أن الصفويين يريدون أن يسيطروا ليس على الممر المائي أو المياه الإقليمية للبحرين والقطيف حسب، وانما السيطرة على المنطقة وإخضاعها للحكم وذلك قبل بلوغ البرتغاليين إليها ، وقد كانت هذه النية عند الإيرانيين ، ولكن طرحها بأسلوب تجاري كان أمراً مغلقاً ، لم يعرف الإيرانيون بأن البرتغاليين يخططون له في السر ، وهو ما تم فعلاً في السنوات التالية .

اجتماع الفونسو البوكيرك في مرضه سنة ١٥١٥ م :

حول هذا الاجتماع يحدثنا الفونسو دي البوكيرك الابن غير الشرعي عن والده الفونسو دي البوكيرك، حيث يمجد والده فيه [٢] فيقول عن هذا الاجتماع :

عقد الفونسو دي البوكيرك اجتماعا بشأن من يخلفه إذا مات نظراً لمرضه، لأن الفونسو دي البوكيرك ظل يواصل العمل ليلاً ونهاراً آملاً، إتمام الحصن البرتغالي في هرمز بسرعة ولأن الحرارة كانت شديدة ، وكونه كبير السن معتلا ، لكل هذا فقد بدأت نوبات شدة المرض تنتابه مرة أخرى بعنف شديد فظل لا يخرج من باب غرفته أحد عشر يوماً ولم يره أحد طوال هذه المدة سوى أصدقائه المقربين ، وبدا أمر احتجابه غريباً للناس فبدأت الإشاعات تسري في المدينة عن موته ، لذا فقد كان مضطراً لإظهار نفسه للناس ليهدئ من روع المسلمين والبرتغاليين ، وراح يسمح لبعض القادة والقباطنة برؤيته رغم مرضه الشديد ، وغدت حالته الصحية تزداد سوءاً يوماً بعد يوم وشعر بوهن شديد حتى أنه أمر – أخيراً – باجتماع كل القادة والقباطنة في بيته وأعلن لهم بحضور السكرتير بيرو دالبوم أنه رجل كبير السن دهمه المرض ويمكن أن يموت في أية لحظة ، لذا فهو يرغب إليهم أن يتكرموا

---

(١) السابق ص ٢١٢ ،وانظرأيضاً :إيران وعلاقتها الخارجية في العصر الصفوي ص١٤ .

(٢) ومعروف عن الفونسو دي البوكيرك بانه القائد البرتغالي الاكثر إجراماً، و لمعرفة التفاصيل عن فضائحه وأعماله الإجرامية ، انظر مملكة هرمز ، ص ص ١٣٣ – ١٤٨ .

بالقَسَم أمامه، يمين الإخلاص والولاء والطاعة إلى الشخص الذي سيوكل اليه سلطاته، قبل ان يموت ، حتى يقضي الملك مانويل في هذا الأمر على وفق ما يشاء ، وقال لهم لابد من ذلك حتى إذا ما شاءت إرادة ربنا ان تنهي مهمته في هذه الحياة ، ويكون قد ترك أمور المملكة منظمة منضبطة وأن يكون الحصن البرتغالي قد تم لصالح خدمة سيده ملك البرتغال [١].

(١) السجل الكامل لاعمال الفونسو دي البوكيرك ج ٤ ص٢٥١







الفونسو دي البوكيرك Afonso De Albuquerque

في شبابه وفي كهولته وهو يشير إلى احتلال العالم،

ومن بينها صورة له في أخريات أيامه في هرمز

وأجاب القادة والقباطنة والدموع الغزيرة تنهمر من عيونهم أنهم يأملون من ربنا أن يهبه الصحة، فكلهم يتمنون له السعادة، فليأمر بما يشاء لما فيه المحافظة على ملك البرتغال في هذه الأنحاء من العالم، وله منهم السمع والطاعة، وسيسعدهم الموافقة على من سيوكل إليه سلطاته. وشكرهم ألفونسو دلبوكيرك لمشاعرهم الطيبة إزاءه وتمنياتهم له بالشفاء، وعبر هو بدوره عن مشاعره بكثير من الكلمات الرقيقة، وراح كل واحد منهم يقسم أمامه يمين الولاء لمن سيسميه باسم ملك البرتغال، ومن ثم أمر السكرتير بيرو دالبوم بتحرير مستند رسمي بذاك وقعوا عليه جميعا.

وبعد هذا راحت حالة ألفونسو دلبوكيرك تتدهور يوما بعد يوم بشكل خطيرفوقف نفسه للمسائل الدينية، وبعد أن اعترف أمام رجل الدين الموكل بتلقي الاعتراف، وحضر قداس العشاء الرباني وغير ذلك من طقوس العقيدة المسيحية استدعى في ١٢ أكتوبر ابن أخيه بيرو دلبوكيرك (وهو ابن جورج دلبوكيرك ابن عمه وقال له إنه رجل ذو شخصية يسعد الرجال بقاءه في حصن هرمز وينظر إليه ملك هرمز دائما بتقدير وطلب منه بقاءه، والأكثر من هذا فإنه – أي بيرو دلبوكيرك– يستحق التكريم لفروسيته ونبالة أصله، لكل هذا فإنه – أي ألفونسو دلبوكيرك – قد عينه باسم ملك البرتغال قائداً لحصن هرمز وأن يكون ذلك لقاء ٤٠٠,٠٠٠ ري Reis ومئتي قنطار من الفلفل كأجر سنوي، وأن عليه (بيرو دلبوكيرك) من الآن، فصاعداً أن يولي إهتمامه لإتمام بناء الحصن لأنه– أي ألفونسو دلبوكيرك – لم يعد لديه رغبة في الاهتمام بأي شيء سوى أن يضرع إلى الله ليسامحه على تقصيره في أداء عمله، أما هو بيرو دلبوكيرك فعليه أن يأمر بوضع المدافع في أماكنها المحددة فالحصن قد ارتفع بنيانه بدرجة تكفي للتمكين من الدفاع عنه والمحافظة عليه، وعليه أن يطلق على هذا الحصن اسم حصن سيدتنا سيدة البشارة بالمسيح وأن يصدر أوامر بجمع كل المؤن الموجودة خارج المخازن في منزل المشرف (وهو المسؤول عن تسلم العوائد، وقال له أيضاً إنه يجب أن يجعل نيكولاو فريرا رئيسا لحرس ملك هرمز وأوصى بشدة بحسن إستقبال الملك، ثم أمر بإحضار ابني الملك سيف الدين (الملك الراحل) ليمثلا أمامه فلما حضرا سلمهما لبيرو

دلبوكيرك وأوصاه بالعناية بهما ويجعلهما عنده ليستخدمهما كأداة ضغط على الملك الحالي (المعنى: يهدده إذا لزم الأمر بتنصيب أحدهما ملكا) ذلك لأنه – أي ملك هرمز الحالي– تركهما يعيشان في هرمز على غير رغبته، لأنه سبق له أن قتل أخاه الملك سيف الدين واغتصب المملكة لكنه – أي ألفونسو دلبوكيرك– خادعه وصانعه إلى هذا الحد لأن هذين الصبيين (إبني الملك السابق سيف الدين) صغيران لا يصلحان للحكم.

وقبل بيرو دلبوكيرك يديه بسبب الحصن الذي أوكله إليه وذكر أنه سيطيعه في كل ما أمره به لأنه اختاره من بين كثير من القادة والقباطنة وذوي الرتب وحاملي ألقاب الفروسية على أنهم يستحقون هذا المنصب أكثر منه، وشكره للمنافع التي ستعود عليه كذلك بتولي هذا المنصب. وحالما انتشر خبر تولية بيرو دلبوكيرك منصب قائد الحصن أحسّ كثيرون بعدم الرضا (فقد كان كل واحد من القادة والقباطنة يظن أن الاختيار سيقع عليه) لكن اعتراضاتهم كانت على غير أساس لأن بيرو دلبوكيرك كان ذا قدرات نادرة، كما أنه أظهر روحا عالية ووقف وقته وجهده لعمله في الفترة التي تولى فيها أمر قيادة حصن هرمز، إذ وقف نفسه منذلك الوقت على إكمال بناء الحصن وتزويده بكل ما يلزمه. وعين ألفونسو دلبوكيرك مانويل دا كوستا ابن أفونسو كبير أطباء الملك دوم مانويل – وكيلا تجاريا، وعين كلاً من مانويل دي سيكويرا خادم دوقة براجانزا وديوجو دندريد خادم الغرفة الملكية موثقين.

بعد هذا لم يعد ألفونسو دلبوكيرك يزعج نفسه بأي أمر من أمور العمل ولم يعد أحد يستشيره في أي أمر من الأمور، وأمر ديوجو فرناندز دي بيجا أن يجهز له السفينة فلور داروزا للإبحار إلى الهند مع كل السفن المعينة للاشتراك في هذه الرحلة. وبعد أن رتب أمر مغادرته على هذا النحو أرسل إلى ملك هرمز– عن طريق بيرو دالبوم واسكندر دي أتيد – يخبره برغبته في مغادرة هرمز لأنه من الضروري تماما بالنسبة إليه أن يذهب إلى الهند لإقرار أمورها، لذا فهو يرجوه أن يعذره لعدم اللقاء قبل الوداع لأن المرض قد زاد عليه زيادة شديدة فلم يتح له فرصة لقائه وتوديعه، لكنه (أي ألفونسو دلبوكيرك) واثق في رحمة الله

أن تمكنه من العودة إلى هرمز قريبا لزيارته، وأنه سيترك بيرو دلبوكيرك ابن أخيه كقائد للحصن وأكد له ضرورة أن يكون في خدمة ملك هرمز وتحت أمره. فأجاب ملك هرمز قائلا لبيرو دلبوكيرك بضرورة أن يعلن لوالده (يقصد ألفونسو دلبوكيرك) أنه حزين جدا لمغادرته ولا يجعله متصبرا سوى الأمل في رؤيته مرة أخرى سريعا.

وعلى هذا كان ألفونسو دلبوكيرك شديد الرغبة للتوجه إلى الهند فاستأذن من بيرو دلبوكيرك والقادة والقباطنة الذين سيبقون معه، وأبحر يوم الخميس ٨ نوفمبر سنة ١٥١٥م قرابة الساعة السادسة حتى لا يلاحظ أحد حالته، وألقى الأسطول مراسيه مرة أخرى على بعد فرسخ واحد من المدينة وظل في انتظار القادمين الكبيرين، وكارافيلا جوآو جوميز والسفينة الشراعية ذات الصاريين سانتياجو التي كان عليها أن تنضم إليه في أثناء إبحاره. وفي صباح السبت وصل حاكم علي بقاربين حربيين (طرادين) من قوارب أهل هرمز محملة بمؤن منعشة أرسلها له ملك هرمز فأمر بإحضارها إليه في غرفته. وبعد أن سلم حاكم علي رسالة من الملك أجاب ألفونسو دلبوكيرك شاكرا – وقال إن حالته تحسنت بعد أن أصبح في عرض البحر، وأنه الآن – وقد غادر هرمز، فإنه يرجو الملك أن يولي اهتمامه لإكمال بناء الحصن الذي هو أفضل شيء له فعن طريقه يمكنه حفظ ملكه، ثم ودع ألفونسو دلبوكيرك حاكم علي وأعطاه ثلاثين أشرفيا كما دفع أربعين أخرى للمسلمين الذين قادوا الطرادين وقدم لهم نبيذا فكانت سعادتهم بالنبيذ أكثر من سعادتهم بالنقود، وما إن رحل حاكم علي ومن معه، حتى أبحر الأسطول البرتغالي وفيه ألفونسو دلبوكيرك إلى الهند مباشرة.[1]

موت الفونسو دي البوكيرك سنة ٩٢١ هـ – ١٥١٥ م :

وعن موت الفونسو دي البوكيرك كتب الابن غير الشرعي المسمى باسمه الفونسو دي البوكيرك قوله : بعد أن استأذن حاكم علي منصرفاً طلب ألفونسو دلبوكيرك من ديوجو فرناندز دي بيجا أن يشرع في الإبحار، وعندما تركوا مضيق هرمز وتقدموا في إبحارهم

---

(١) السجل الكامل لأعمال الفونسو دي البوكيرك ص ٢٥٢ و ٢٥٣ و ٢٥٤ .

حتى قلهات [١] وقع نظرهم صباح ذات يوم على قارب للمسلمين (طراد) كان يبحر سريعا وقد نشر شراعه، ولأن ألفونسو دلبوكيرك كان راغبا في معرفة بعض الأخبار عن الهند فقد طلب من ديوجو فرناندز- قبطان سفينته- أن يرسل السفينة الشراعية سنتياجو ذات الصاريين لتلحق به، وسأل ديوجو فرناندز أفراد الطاقم من أي مكان أتوا فأفادوا أنهم قادمون من ديو فأمر ألفونسو دلبوكيرك بإحضار قبطان هذا القارب ورئيسه ومرشده أمامه، وأمر المترجم اسكندر دي أتيد وجعله يقسم ألا يحجب عنه خبرا يقولونه ولا نبأ عن الهند يدليان به. ولقد اعتذر هؤلاء المسلمون لأنهم لم ينزلوا الشراع فورا بمجرد قدوم السفينة البرتغالية ذات الصاريين متعللين بأنهم لم يكونوا يعرفون بوجوده هو نفسه على متن سفينته، لكن المرض الشديد والآلام المبرحة التي كان يعاني منها ألفونسو البوكيرك كانت تجعل حتى الحديث، بالنسبة إليه أمراً شاقاً، فقد رغب إلى اسكندر دي أتيد أن يسرع بسؤالهم عن أحوال الهند وعن الميناء الذي هم متجهون إليه. فاعترف قبطان القارب (الطراد) أن سيد علي وأحد سفراء الشاه إسماعيل كان في ديو، قد أرسلاه بخطابات إلى سيادته (إلى ألفونسو دلبو كيرك) ويمكنه عن طريق هذه الخطابات معرفة أخبار الهند، فأمر أفونسو دليوكيرك المترجم اسكندر دي اتيد بقراءة الخطابات فورا. أما بالنسبة إلى خطاب سيد علي فقد ورد به أن اثنتي عشرة سفينة قدمت من البرتغال وعلى متن إحداها لوبو سوارز معيناً كحاكم عام للهند، وديوجو مندز كقائد لحصن كوشن، وقادة آخرون للحصون الأخرى على النحو الذي بينه الخطاب، وورد في هذا الخطاب أيضا أن (ملك) عزيز (ملك عزيز) لم يكتب له لأنه كان محبطا كثيرا لأن الملك قد أمره بمغادرة الهند.

أما خطاب سفير الشاه إسماعيل فقد وجد فيه نصيحة لألفونسو دلبو كيرك بالدخول في خدمة الشاه إسماعيل مادام ملك البرتغال لم يقدر جهوده العظيمة في خدمته وأعماله المنطوية على معنى الفروسية، وقال سفير الشاه إنه متأكد أن الشاه إسماعيل سيقدر خدماته وسيعينه كواحد من بين أعظم نبلاء (حكام) بلاده، وطلب سفير الشاه إسماعيل حق المرور

(١) السجل الكامل لأعمال الفونسو دي البوكيرك ج ٤ ص ٢٥٥ ، وانظر ايضا الجزء الاول ، ص ٥٧ .

الآمن لجلب بضائع إلى هرمز ونقلها إلى فارس [1] .

وعندما علم ألفونسو دلبو كيرك بتعيين حاكم للهند ليحل محله وأدرك أن أعداءه قد أصبحوا أثيرين لدى الملك البرتغالي رفع يديه وشكر ربنا وصاح « في ظل أناس سيئين أفسدوا الملك، وفي ظل ملك سيء أفسده الرجال، من الأفضل أن تأخذني يا رب » وما إن قال ذلك حتى أمر بأخذ كل الخطابات التي مع طاقم هذا القارب والموجهة إلى أي أحد في هرمز، فقد كان في هذه الخطابات أنه إذا لم يكن الحصن قد تم تسليمه فعلا لألفونسو دلبوكيرك فيجب الا يسلمه إياه لأنه قد أصبح للهند الآن حاكم جديد سيفعل ما يريدونه (أي ما يريده حكام هرمز)، وحتى لا تلحق هذه الخطابات ضررا بعملية استمرار الحصن، فقد أمر بإحراقها جميعا، وصرف المسلمين (طاقم القارب الآنف ذكره) وانفرد بسكرتيره وكان بالفعل قد أعد وصيته التي عبَّر فيها عن رغبته في أن يتم دفنه في كنيسته التي بناها في جوا والتي سبق له أن استولى على موضعها من المسلمين، إلا أنه طلب من السكرتير إضافة ملحق لهذه الوصية يذكر فيه أن تنقل عظامه – بعد تحلل سائر البدن – إلى البرتغال، كما أوصى بأمور . وبعد أن أنهى ملحق وصيته، كتب خطابا إلى الملك مانويل كالتالي: « سيدي إنني أكتب لجلالتكم هذا الخطاب وأنا أعاني من التقلص اللا إرادي وهو علامة على قرب موتي . يوجد في مملكة البرتغال ابن لي [2] أريد أن تكرمه (تجعله نبيلا) من أجل خاطري فأنا أستحق ذلك لما أديته من خدمات لجلالتكم باعتباري خادماً لكم، لأنني أمرت ابني هذا أن يدعم مباركتي له بطلب هذا الأمر بين يديكم . أما بالنسبة إلى أمور الهند فلن أقول شيئا، فهي سوف تتحدث عن نفسها وعني [3] .

والآن أصبح ألفونسو دلبو كيرك واهناً جداً لا يستطيع أن يقوم من مقامه وراح يطلب من ربنا أن يوصله إلى جوا فإذا وصلها فليقض في أمره بما هو مفيد له، وعندما أصبحت

---

(١) السجل الكامل لأعمال الفونسو دي البوكيرك ، ج ٤ ، ص ٢٥٦ .

(٢) ابنه غير الشرعي الذي تسمى باسمه وكتب تاريخه الذي سماه السجل الكامل لأعمال والده في اربعة اجزاء .

(٣) السجل الكامل لأعمال الفونسو دي البوكيرك ، ج ٤ ص ٢٥٧ .

السفينة على بعد ثلاثة فراسخ أو أربعة من حاجز المياه في جَوّا أمر باستدعاء القس فر. دومينجوز والطبيب أفونسو ولأنه كان من الوهن بحيث لا يستطيع تناول أي طعام فقد طلب أن يسقيه بعض من حضر قليلا من النبيذ الأحمر الذي وصل هذا العام من البرتغال. وعندما سبقت السفينة الصغيرة ذات الشراعين في المقدمة إلى جَوّا، وشرعت سفينة الفونسو دلبو كيرك في إلقاء مراسيها عند حاجز الماء، في ليلة السبت ١٥ ديسمبر، أخبروا ألفونسو دلبو كيرك أنه قد وصل وأن رحلته قد انتهت فرفع يديه إلى السماء وشكر ربنا أن حقق رغبته في الوصول إلى جَوّا وظل طوال الليل مع رئيس الكهنة الذي كان قد وصل فعلا إلى السفينة وبيرو دليوم سكرتير حكومة الهند وكان قد عهد إليهما بتنفيذ وصيته، وعانق ألفونسو دلبو كيرك الصليب وظل يناجيه ورغب إلى رئيس القسس (وهو الذي أدى طقس الاعتراف أمامه) أن يتلو عليه ما كتبه القديس يوحنا عن آلام المسيح وكان ألفونسو دلبو كيرك مولعا بهذا السفر لما فيه من ذكر للخلاص، وطلب منهما أن يلبساه ملابس كتلك التي كان يرتديها القديس ياجو لأنه كان يعتبر هذا القديس قدوة له، وذلك حتى يموت وهو مرتد هذا اللباس وقبل ساعة من طلوع صبح يوم الأحد مات وبذلك ارتاح المسلمون من شره بعد أن كان له سجل كامل من الغدر والخيانة ودماء الأبرياء وترويع الآمنين وهدم بيوت الله وبيوت عباده . وقد أمر الملك البرتغالي الذي كان ألفونسو دي البوكيرك يخدمه بإخلاص- بعودته إلى البرتغال دون أن يكافئه على خدماته، ولمّا كان من بين مستشاري الملك البرتغالي أعداء لألفونسو دلبو كيرك يحسدونه لعظمته وانتصاراته الباهرة التي منّ ربنا بها عليه في هذه البلاد فقد غلبوا الملك على أمره حتى أمر بعودته (أي عودة ألفونسو دلبو كيرك من الهند) واختلقوا لذلك أسبابا لتحقيق هدفهم وعملوا على إرسال لوبو سوارز كحاكم للهند . لكن عندما أدرك الملك ما وقع فيه من خطأ وأنه في حاجة إلى وجود ألفونسو دي البوكيرك في الهند، عدل عن رأيه وكتب له خطاباً بهذا الخصوص ليصحح الأمر [1].

---

(١) السجل الكامل لأعمال الفونسو دي البوكيرك ، ج ٤ ، ص ٢٥٨ ، وانظر أيضاً مملكة هرمز ص ١٠١ وما قبلها وانظر كذلك : إمبراطوريات الرياح الموسمية ص ٣١٢ ، وانظر تفاصيل أدق في المرجع السابق (مملكة هرمز) ص ١٣٣ وما بعدها .

الغزو الأول للبحرين سنة ١٥٢٠ م :

زار البرتغاليون البحرين لأول مرة سنة ٩٢١ هـ ١٥١٥ م فقد حاصر البوكيرك المنامة بناء على أوامر عمه وأخضعها للملك البرتغال سلماً ثم عاد إلى هرمز [٢] في ذلك العام كانت الخطوة الأولى لتنفيذ الغزو على دول شمال الخليج ، فقد أبحر أسطول صغير بقيادة (جومز دي سوتامايور (Gomes De Soutomaior) لغزو البحرين ومعه ٣ سفن برتغالية و ١٢٠ بحاراً و ٤٠ سفينة صغيرة ذات مجاديف لملك هرمز وفيها ١٢٠٠ جندي وبعض الخيول (لاشك في أن كل السفن كانت مزودة بجميع أنواع الأسلحة المستخدمة في ذلك العصر)، ولسوء حظ الغزاة هبت عواصف شديدة فور مغادرة الأسطول وفرقت السفن ومعظمها رجع إلى هرمز ولم تصل البحرين إلا سفينة للقبطان البرتغالي ومركب مجاديف واحد فيه حصانان ، وقد انتظر القبطان ١٣ يوماً لتتصل به السفن الأخرى ، ولكن دون جدوى ، فقرر أن ينزل إلى الشاطئ ومعه الخيول وستة جنود برتغاليين مزودين بالبنادق و ٦٠ جندياً من هرمز وتقدموا داخل البحرين لمسافة ميلين دون مقاومة ثم رجعوا إلى سفنهم مبحرين إلى هرمز [٢] .

إن السهولة التي وجدها سوتامايور وجنوده وعدم المقاومة داخل البحرين كانت من باب الصدف التي لعب فيها العامل الزمني دوره حيث كان السلطان مقرن قد ذهب حاجاً وترك وراءه عمه الشيخ حميد والد زوجته حاكماً على البحرين مؤقتاً أو نائباً له حتى أوبته من مكة المكرمة [٣]وحيث أن معظم سكان البحرين قد سار في ركب السلطان وأن الاستعدادات لم تكن مهيأة، لهذا لم تكن هناك أية مقاومة وكان هبوب العواصف هي الجنود التي حمت البحرين وإلا كان الاحتلال أمراً واقعاً ، وعندما عاد السلطان مقرن أخذ التدابير والاستعدادات لأي غزو .

---

(١) Milles. Page 153 , 154 ، وانظر تفاصيل اخرى ص ١٢٩ من النفوذ البرتغالي في الخليج ، وانظر ايضا رواية مختلفة في : مملكة هرمز ص ١٠٤ .

(٢) الوثيقة : ع ٨ ، س ٤ ، ٤/١٤٠٦ هـ ، ١/١٩٨٦ م ، ص ١٢٦ .

(٣) بدائع الزهور ، ج ٥ ، ص ٤٣١



الباب الخامس

الغزو والاحتلال البرتغالي

الصراع المحتدم

البرتغاليون

العثمانيون

القطيفيون

الجبريون

الصفويون

الفضليون

الهرمزيون

العمانيون


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

احتلال البحرين سنة ٩٢٧ هـ - ١٥٢١ م :

أصدر الملك البرتغالي عمانويل الأول (الذي توفي سنة ١٥٢٠ م) [1] أوامره سنة ١٥١٣ م بغزو البحرين ولكن لم تكن لدى البوكيرك قوات كافية ، وهناك رسالة مؤرخة في ٢٠/١٠/١٥١٤ م فيها توصيات بكيفية احتلال البحرين [2] ، وبعد مضي ست سنوات على وجود البرتغال في مناطق كثيرة في الخليج، خصوصاً هرمز سنة ٩٢١ هـ ١٥١٥ م ، كانت هناك رسالة أيضا كتبت في ٢٢/٩/١٥١٥ م ، أي في العام ذاته، بعث بها الملك البرتغالي من هرمز يشرح فيها الأسباب التي كانت وراء إعطائه الأولوية لهرمز وأمور أخرى وفي الرسالة يرفض إعطاءه تفاصيل عن منطقة القطيف !! وهذا يعني أن أحوال القطيف كانت في غاية السرية بالنسبة إلى البرتغال وذلك حفاظاً على مصالحهم. والذي يبدو أنهم يرسلون جواسيس من اليهود الذين يتقنون العربية لمصالحهم . فلقد بات الأمر ممكناً لهم من السيطرة على باقي المناطق في الخليج ، ففي عام ٩٢٧ هـ مايو ١٥٢١ م احتل البرتغال البحرين وفي العام نفسه أيضا توجهوا إلى القطيف لاحتلالها ، وكان الحاكم مقرن بن أجود بن زامل بن حسين الجبري وقد انتهى حكمه بمقتله في سنة ٩٢٨هـ نفسها حيث انتهى عهد بني جبر بعد ثلاث سنوات، ثم جاء عهد آل فضل ، وحكم راشد بن مغامس وسمي سلطان الشرق وكان حاكماً للقطيف والأحساء كما يذكر المؤرخون وبعضهم يقول: إنه حكم سنة ٩٣١ هـ ، وإذا صدقت هذه الرواية فهذا يعني أن هناك حاكماً للمنطقة بين سنتي ٩٢٨ و ٩٣١ هـ لعله ناصر بن محمد بن أجود (٩٢٨-٩٣١هـ) ، الذي تسميه المصادر العربية سلطان البحرين والقطيف أو سلطان البحرين والأحساء والقطيف [3] ، وقد ذكرت البحرين هنا لأنهم (= البرتغاليين) احتلوها أولا ومن ثم توجهوا إلى القطيف، ثم إن

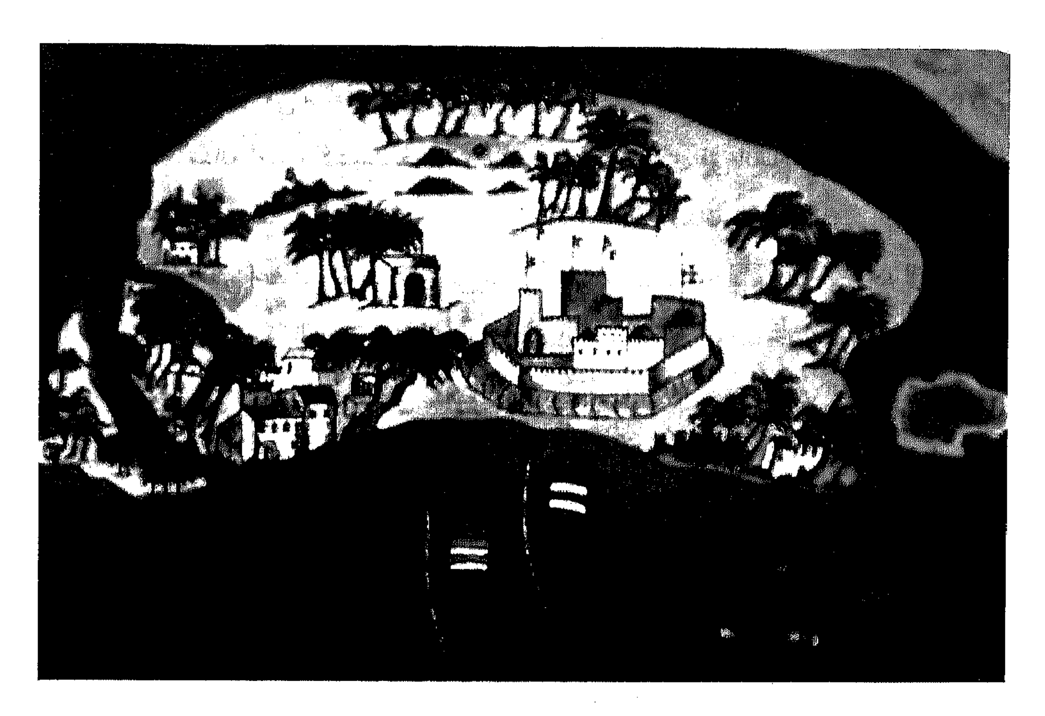
---

(١) في هذا العام توفي أيضاً الأمير مرجان الطاهري حاكم عدن و هجمت السفن البرتغالية أيضاً على ميناء جدة .

(٢) تحفة المستفيد ، ص ١٢ ، ومقرن كان خلفاً لوالده أجود ، وأجود هذا خلف لأخيه سيف ابن زامل .

(٣) وقد كتب البرتغاليون تقارير جيدة عن مملكته وسمعته الممتازة وازدهار مملكته.

القطيف والبحرين بينهما تاريخ مشترك عبر حقب التاريخ إلى جانب أنهما يمثلان توأمين تاريخيين لا ينفصلان عن بعضهما في الحضارات والأحداث والحكومات التي تعاقبت على المنطقة [١].



خريطة برتغالية للبحرين في القرن السادس الميلادي وتظهر
فيها قلعة البحرين التي حدثت قربها معركة عام ١٥٢١ م

---

(١) ولمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع يرجى مراجعة (مجلة الوثيقة - العدد ١ ، س ١، رمضان ١٤٠٢ - يوليو ١٩٨٢ ص ١١٦ -١٥٠ تحت عنوان (صفحات من تاريخ النفوذ البرتغالي في البحرين) وانظر أيضاً الوثيقة في عددها ٤ ، س ٢ ، يناير ١٩٨٤ ، ص ٧٤ - ١٤٠ ، وانظر أيضاً : منطقة الأحساء عبر أطوار التاريخ ، ص ١٥٢ و ١٥٣ ، وانظر كذلك : تاريخ هجر ،ج٢وعن الاستيلاء على البحرين انظر : إيران وعلاقتها الخارجية في العصر الصفوي، ص٣٨و٣٩و كذلك الصفحات الأخرى :١٤و١٥وما بعدهما،وأيضاً ص٩٧و١٠٧ من الكتاب نفسه وانظر أيضاً كتاب : الشاه عباس الكبير ص٢٢٩و٢٣٠و٢٣١.

وقد كان هدف البرتغاليين بالدرجة الأولى طرد مقرن ملك الأحساء من البحرين والقطيف ، وفي الوقت نفسه كسر شوكته التي أصبحت تهدد وجودهم في الخليج[١] فشن الحملات التي قادها سلغور بن نور الدين تورانشاه ملك هرمز بمساعدة وزيره ريس نور الدين وابن سلغور توران شاه سنة ١٥٧٩ م . وكان البرتغاليون يرغبون في غزو البحرين والقطيف ولكن ليس بمفردهم وحتى يحصلوا على تأييد ونفوذ فإنهم عقدوا اتفاقاً مع الصفويين عام ١٥١٥ م أي قبل سنة من وفاة البوكيرك حيث استقبل سفيراً موفداً من قبل الشاه إسماعيل الصفوي من طهران فكان في جملة الاقتراحات التي طرحها للمفاوضات أولها [٢] : أن تقدم البرتغال بعض سفنها لإيران كي تتمكن الأخيرة من غزو البحرين والقطيف . وكان هذا اقتراحاً من الحاكم البرتغالي لهرمز رييجو لوبيز سيكوييرا .

وأن الغزو الصليبي البرتغالي قد تأجل قبل سنة ٩٢٧ هـ إذ إن الهدف كان مرسوماً ومخططاً له قبل هذا التاريخ لأسباب عديدة [٣] . وكان بيرو وابن أخ البوكيرك أول من يصل البحرين في زيارة سلمية لم يرافقها أي قتال من أي نوع ولم تترك أي حامية ، وأغلب الظن أنه ربما اقترب بسفنه مستكشفاً ليستشف الوضع عن قرب [٤] .

ولقد تمكن البرتغال فيما بعد من الهجوم على البحرين بقوة ٤٠٠ جندي برتغالي في سبع سفن كبيرة . و ٣٠٠٠ من العرب في مراكب صغيرة عددها ٢٠٠٠ مركب .

وتحرك هذا الحشد الضخم من هرمز في ١٥ / ٦ / ١٥٢١ م [٥] بقيادة أنطونيو كوريه قائد

---

(١) الوثيقة ع ٤ ص ١٢٣ ، وانظر أيضا : مملكة هرمز ص ١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٦ و ١٠٧ .

(٢) الوثيقة ع ١٢ ، ص ٤٩ ، س ٦ ج ١ ، ١٤٠٨ هـ ١ /١٩٨٨ م ، الخليج العربي التطور الحديث والمعاصر ص٥١

(٣) انظر الوثيقة ع ٤ س ٢ ، ١ /١٩٨٤ م ، ص ٩٢ وما بعدها وانظر أيضا الغزو البرتغالي للجنوب والخليج ص١٨١ .

(٤) الوثيقة ، ع ٤ (مرجع سابق) ص ٩٣ عين البوكيرك أخاه قائداً لمرفأ هرمز في ٢٠ / ١٠ / ١٥١٥ م ، وانظر أيضاً : العرب والبرتغال في التاريخ ص ٣٨٧ ، Bahrian P.37 ، وصراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي ص ١٣٣ .

(٥) وهناك رواية تقول بأن التاريخ الصحيح هو ٢٧ / ٦ / ١٥٢١ م ، وانظر مملكة هرمز ص ١٠٥ .

الحملة ، وشرف الدين قائد الجنود العرب من هرمز . بينما كان الهجوم البرتغالي الثاني على البحرين في سنة ٩٣٥ هـ نوفمبر ١٥٢٩ م بـ ٤٥٥ محارباً و ١٣ مركباً مختلفة الأحجام [١].

ولصاحب كتاب (صفحات من تاريخ البحرين) هذا التقرير بالرغم من أن فيه بعض الاختلافات يقول عن الاحتلال البرتغالي للبحرين :

خلف البوكيرك بعد وفاته لوبو سواريز في منصب نائب الملك في الهند ، وقد عمد سواريز إلى انتهاج سياسة جديدة تضمن للبرتغاليين حصد ثمار فتوحاتهم في الخليج ، فبدلاً من سياسة البوكيرك التي كانت تقوم على القوة والبطش اتبع سواريز سياسة سلمية تهدف إلى السيطرة على كل الحركة التجارية في الخليج والتحكم في صادرات وواردات المنطقة ، وأقدم سواريز على تعيين موظفين برتغاليين للسيطرة على الشؤون الجمركية في مختلف أنحاء الخليج ، وكأنه قد أصبح بالكامل بحيرة برتغالية ، في هرمز والبحرين والقطيف وصحار والقريات بعمان ، وكان لذلك وقع الصاعقة على عرب المنطقة وبدؤوا التحرشات ضد الحاميات البرتغالية المتناثرة في الخليج وهي بطبيعتها حاميات صغيرة ليست نداً لعرب المنطقة ، ومن هنا بات ضرورياً بالنسبة إلى سواريز تغيير سياسة سلفه في القيام بحملات عسكرية مدمرة .

وسنحت الفرصة المناسبة عندما تعذر على شيخ هرمز دفع الجزية السنوية للبرتغاليين حسب اتفاقيته الأولى مع البوكيرك عام ١٥١٥ م ، وبسؤاله عن أسباب تقاعسه تذرع باستقلال الشيخ مقرن بن زامل الجبري بأقاليم الأحساء وجزر البحرين ومنطقة القطيف ورفضه إرسال عوائد البحرين إليه ، وكان الشيخ مقرن قد انتهز فرصة خضوع هرمز للسيطرة البرتغالية وأعلن استقلاله عنها وامتنع عن أداء العوائد [٢] .

ومن ثم توحدت مصلحة البرتغاليين وتوران شاه ملك هرمز في توجيه ضربة عسكرية

---

(١) وعن هذا الهجوم انظر الوثيقة ص ٢٨ أو ما بعدها من العدد ٤ س ٢ ، ١ / ١٩٨٤ م Bahrain P .38 & 39

(٢) صفحات من تاريخ البحرين ج٢، ص١١٢ (نصاً) ، وانظر أيضاً : صراع القوى في المحيط ص ١٣٣ .

للبحرين تستعيد بها هرمز ممتلكاتها هناك ويحصل البرتغاليون على موطىء قدم لهم في منتصف الخليج ، واقترح الحاكم البرتغالي في هرمز ويدعى دييجو سيكوبيرا القيام بحملة بحرية مشتركة لإخضاع البحرين . وتم تجهيز الحملة وعقد لواؤها لأنطونيو كوريا ابن أخ الحاكم وكانت تضم ٤٠٠ جندي برتغالي تحملهم سبع سفن كبيرة مزودة بالمدافع الحديثة البعيدة المدى ، بالإضافة إلى نحو ٣ آلاف مقاتل من عرب هرمز وحلفاء الفرس يحملهم زهاء ٢٠٠ مركب وسفينة صغيرة ، ووصلت القوة إلى البحرين في ٢٧ يوليو ١٥٢١ م واستطاع جزء منها النزول على مقربة من المنامة في الجزيرة الرئيسة بينما حاصرت السفن البرتغالية قلعة البحرين القديمة من جهة الشمال [١] .

وقعت هذه الأحداث في أثناء تغيب السلطان مقرن بن زامل في مكة لأداء فريضة الحج فتولى إدارة المقاومة قريبه ونائبه الشيخ حميد إلى أن عاد السلطان مقرن فتولى القيادة بنفسه ، والواقع أن ظاهر الأحوال كان ينبئ بنصر مؤزر للمدافعين عن الجزيرة ، فمن ناحية أدت الحرارة الشديدة وسوء الأحوال الجوية في عز الصيف إلى إنهاك الجنود البرتغاليين وفقدان بعضهم في الطريق بحيث لم يصل منهم سالماً إلى البحرين سوى ٢٥٠ جندياً وكذلك انفض معظم جنود هرمز عن قائدهم الشيخ شرف الدين ، ومن ناحية أخرى كان المدافعون عن البحرين بقيادة الشيخ مقرن الجبوري قد أحكموا استعداداتهم ، فبنوا سدوداً كبيرة وحفروا خنادق عظيمة واحتشد للدفاع عن الجزيرة ٣٠٠ فارس عربي وزهاء ٤٠٠ من رماة النبال بالإضافة إلى عدد كبير من المشاة والمتطوعين قدروا بنحو ١١ ألفاً . واضطر البرتغاليون إلى الخوض في المياه الضحلة بالقرب من الشاطئ لمهاجمة التحصينات العربية بينما وقف الشيخ مقرن وجماعته يدافعون عنها ببسالة . ولكن الجانبين اضطرا إلى وقف القتال في الظهيرة عندما اشتدت هيجاء الشمس ولم يعد بمقدور أحد الصمود تحت سياطها الحارقة ثم عاود البرتغاليون الهجوم في المساء ، فأصيب الشيخ مقرن بمقذوف ناري

---

(١) المرجع السابق ص ١١٣ (نصاً معدلاً) ، وانظر أيضاً الغزو البرتغالي للجنوب والخليج العربي ص ١٩٨ .

في فخذه (وهذا مجرد رأي فقط) وكان له أثره المدمر في صفوف قواته ، إذ اضطربت صفوفهم ووقع اليأس في قلوبهم فأخذوا يستسلمون لقوات البرتغاليين وقتل منهم جمع غفير، وما إن حل الليل حتى كان البرتغاليون قد حققوا نصراً كاملاً وبدأ منذ ذلك اليوم ٢٧ يوليو ١٥٢١ م احتلال البرتغال للبحرين .

وتوفي الشيخ مقرن بن زامل بعد ذلك بأيام متأثراً بجراحه ، وبينما كانوا ينقلون جثمانه في سفينة لدفنه في الأحساء علم بذلك (شرف الدين) فاعترض السفينة التي تنقل الجثمان وحَزَّ رأس القتيل وحمله معه إلى هرمز لينال بذلك شرفاً لدى سادته البرتغاليين الذين أنعموا عليه بالفعل بلقب (بحريم) [١] ، أما انطونيو كوريا قائد الحملة فقد أسمته المصادر البرتغالية (بطل البحرين) .

وبذلك يعتبر الشيخ مقرن بن زامل أول حاكم في المشرق الإسلامي يستشهد في معركة ضد المستعمرين البرتغاليين ، وقد أشار المؤرخ المصري العربي ابن إياس إلى مصرع الشيخ مقرن في سرده لأحداث عام ٩٢٨ هـ (١٥٢١ م) في كتابه (بدائع الزهور في وقائع الدهور) إذ كتب يقول :

وأشيع قتل الأمير مقرن أمير عرب بني جبر متملك جزيرة البحرين . . وكان أميراً جليل القدر ، معظماً مبجلاً ، في سعة من المال ، مالكيّ المذهب ، سيد عربان المشرق على الإطلاق ، وكان قد أتى إلى مكة وحج في العام الماضي ، وكان يجلب إلى مكة اللؤلؤ والمعادن الفاخرة من المسك والعنبر والعود والقماري والحرير الملون وغير ذلك من أنواع التحف ، وقيل إنه لما دخل مكة والمدينة تصدق على أهلها بنحو خمسين ألف دينار، فلما حج ورجع إلى بلاده لاقته الفرنج في الطريق وتحاربت معه فانكسر الأمير مقرن وقبضوا عليه باليد وأسروه فسألهم أن يشتري نفسه منهم بألف ألف دينار فأبى الفرنج ذلك وقتلوه بين أيديهم ولم يغن عنه ماله شيئاً ، وملكوا قلعته التي كانت هناك ، واستولوا على أموال

---

(١) بحريم هي تحريف لكلمة بحرين ، والمقصود منها من أبطال البحرين .

الأمير مقرن وبلاده ، وكان ذلك من أشد الحوادث في الإسلام وأعظمها ، وقد تزايد شر الفرنج على شواطئ البحر وسواحل المحيط الهندي [1] .

ومن الغريب أن ينحي المؤرخ العربي ابن إياس على الأمير مقرن باللائمة بدعوى تخاذله وعرضه أن يفتدي نفسه من آسريه بهذه الفدية الكبيرة في حين أن المصادر البرتغالية تشيد بشجاعته وتذكر أنه مات متأثراً بجراحه التي أصيب بها في المعركة وأن قائد عرب هرمز هو الذي أمر بانتزاع رأسه بعد وفاته ، ومن الأولى أن تكون شهادة البرتغاليين هي الأصدق ، فالفضل ما شهدت به الأعداء علاوة على أنهم كانوا الأقرب إلى ميدان المعركة ومع ذلك إذا صحت رواية ابن إياس فمن المحتمل أن تكون قد دارت مفاوضات [2] !! بين السلطان مقرن بن زامل والبرتغاليين قبيل المعركة التي أبدى فيها استعداده بأن يدفع ما في ذمته لملك هرمز من ديون العوائد المنقطعة والتي كانت سبباً في قيام الحملة ، غير أن هذه المفاوضات قد فشلت لسبب، ما ربما يكون إضمار البرتغاليين احتلال البحرين لأسباب استراتيجية ، وهو الهدف الحقيقي من الحملة البرتغالية الهرمزية المشتركة ، وعلى أثر ذلك اشتدت المعارك التي أصيب فيها الأمير العربي .

وعندما تم للبرتغاليين احتلال البحرين قاموا بتعيين عميل هرمزي حاكماً للجزيرة يستند إلى حامية برتغالية كما شرعوا في ترميم قلعة البحرين الإسلامية القديمة وتحويلها إلى قلعة حديثة لا تزال أطلالها قائمة للآن ، ولكنهم لم يتقدموا بعد ذلك إلى القطيف خوفاً من أن يزج بهم في صحاريها خاصة مع اقتراب العثمانيين من المنطقة . [3] وفي سنة ١٦٠٢ م

---

(١) صفحات من تاريخ البحرين ص ١١٣ ، ج٢ ، وانظر أيضا : الشعوب الإسلامية ، ص ١٣٤ وما بعدها ، وأيضا : الخليج الفارسي لويلسون ص ١٢٠ ، وانظر أيضاً : صفحات من تاريخ الأحساء ، ص ٢٣٦ .

(٢) ليس من المعقول أن يقبض عليه ويأسر ويسألهم أن يشتري نفسه بمليون دينار ، وقد استولوا على أمواله ومملكته !

(٣) صفحات من تاريخ البحرين ص ١١٤ ، ج ٢ .

أعلنت البحرين انفصالها عن هرمز وطرد البرتغاليين [١] .

ومع هذا الاستقلال لم تنج البحرين من البرتغاليين ، حيث عادوا مرة أخرى سنة ١٦٤٥ م وأرسلوا أسطولاً من الهند لتدمير هرمز والبحرين ، ولكن هذه الحملة باءت بالفشل حيث استطاع العمانيون تدميرها قبل أن تتمكن من دخول مياه الخليج العربي [٢] .

والواضح تاريخياً ان العمانيين هم من طرد البرتغاليين من الخليج شر طردة وإلى غير رجعة، أما عن هزيمتهم في البحرين فقد تم ذلك سنة ١٦٠١ م حيث حدث أول صدام عسكري بين فارس والبرتغاليين عندما تمكن الشاه من فتح البحرين وطرد البرتغاليين منها [٣]

جيش الجبور يلوذ بالقطيف سنة ١٥٢١ م :

فيما تقدم يتبيَّن أنَّ الجيش البرتغالي هجم على البحرين شر هجمة ، في يوم ٢٧ يوليو ١٥٢١ م [٤] ، والملاحظ أنه بعد مقتل السلطان مقرن إثر إصابته في فخذه من أثر قذيفة مدفعية من سفن الأسطول البرتغالي ، حيث واصل صولات الحرب عمه أو خاله الشيخ حميد، ولما رأى الانهيارات المعنوية للجنود قرر أن يسحب قوات الجبور المتبقية مؤقتاً إلى القطيف – كملاذ آمن – ريثما تستعد من هناك لطرد البرتغاليين بعد إعادة تنظيم صفوفها من جديد [٥].

وقد حرص الشيخ حميد أن ينقل معه جثمان خاله أو عمه السلطان مقرن الجبري ليدفنه في القطيف في أثناء انسحابه مع بقية أسرة الجبور ، ولكن ما إن توسطت سفن الجبور المنسحبة صوب القطيف حتى لحقت بها قوات الهرامزة كما تقول المصادر البرتغالية ، بقيادة

---

(١) جزر البحرين (دليل مصور لتراثها) ص ٣٣٥ ، وانظر أيضاً : تاريخ شرقي الجزيرة العربية، ص ٤٧ .

(٢) جزر البحرين (دليل مصور لتراثها) ، ص ٦٤ .

(٣) العرب والبرتغال في التاريخ ، ص ٤٨٩ .

(٤) تفاصيل أوفى في (الغزو البرتغالي للجنوب والخليج العربي) ص ١٩٧ .

(٥) السابق ص ٢٠٠ و ٢٠١ وانظر تاريخ الخليج العربي ، ص ٧٩ .

الوزير شرف الدين الذي قرر أن يأخذ جثمان السلطان مقرن وتم له ما أراد بعد ملاحقة سفن الجبور وقام بقطع رأس السلطان مقرن الذي أقَضّ مضجع البرتغاليين والهرامزة طوال السنوات السابقة وأمر بحشوه بالقطن، وحمل الرأس معه إلى هرمز [١] ،وأن الذي حمله البرتغالي بالتزاريسوا،وعرض في الميدان على الناس وبعدها دفن هناك.

دفن السلطان مقرن في القطيف سنة ١٥٢١ م :

هناك روايات كثيرة حول موضوع احتلال جزر البحرين وحول مقتل السلطان مقرن وما تبعه من أحداث [٢] وإذا كان يعد مقتل السلطان مقرن :

(من أشد الحوادث في الإسلام وأعظمها) كما يصفه المؤرخ بن إياس المعاصر لتلك الفترة، ويبدو لي أن جثمان السلطان مقرن قد دفن في القطيف لعدة أسباب أهمها : أن المراكب المقلّة للجنود والقتلى والجرحى وكذلك المراكب التي فيها أسرة السلطان وأفراد عشيرته وحاشيته كلها كانت متوجهة للقطيف وهي أقرب نقطة للبحرين إلى جانب أن القطيف كانت مشيخة أو مقاطعة في سلطنته .

إن كل ما تقدم لابد من أنه حدث في الأسبوع الأول من أغسطس ١٥٢١م ، بدليل أنه بعد أسبوع واحد، أي في منتصف أغسطس آب[٣] رجعت القوات إلى هرمز بعد أن ثبتت دعائمها الاستعمارية في البحرين وبالذات في قصر السلطان مقرن وفي ميناء البحرين وقلاعها.

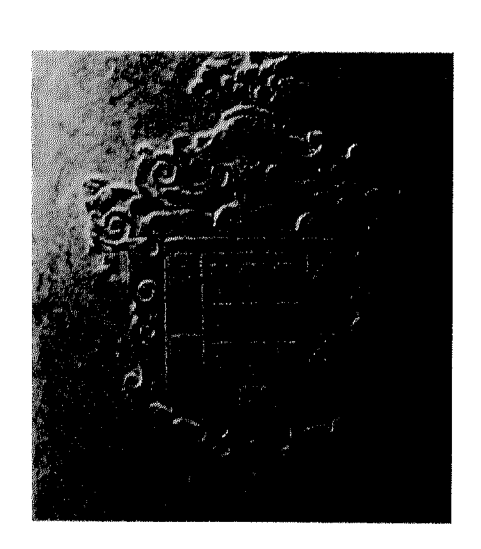
وبما أن البرتغاليين سيطروا على البحرين فقد بقيت القطيف في منأى مؤقتاً تحت حكم علي بن أجود عم السلطان مقرن حيث كان له نفوذ على الأحساء ونواحيها فقط ، وهي

---

(١) تاريخ هجر ، ج ٢ ، ص ١٩٢ و ١٩٣ وفي ص ١٩٤ توجد قصيدة رثاء للشاعر جعيثن اليازيدي وكان معاصراً للأمير مقرن ، وانظر:الأسطورة والتاريخ الموازي،ص٢٩ .

(٢) انظر : الغزو البرتغالي للجنوب والخليج العربي ، ص ٢٠١ و ٢٠٦ .

(٣) السابق ص ٢٠٢ ، وفي الكتاب تحليل تاريخي / عسكري ممتاز خصوصاً الاحتلال البرتغالي الجائر للبحرين سنة ١٥٢١ م .

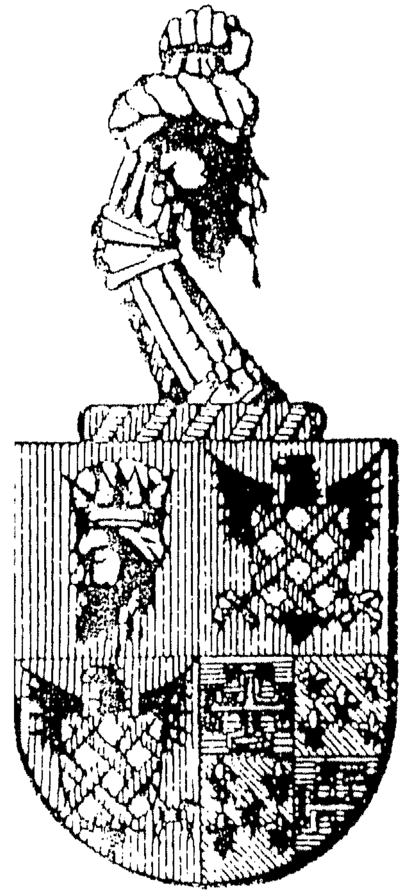




نماذج من الدروع وعليها الرسوم البرتغالية



كتابة برتغالية على أحد المدافع



صـورة لرأس البطل
مـقـرن الجـبـري على
درع القـائد البـرتغـالي
أنطونيو كوريا

المناطق التي انحسر إليها نفوذ الجبور بعد الهزيمة ، وقد حكم علي بن أجود لأشهر فقط ثم أخذها منه ابن أخيه ناصر ابن محمد بن أجود فحكم زهاء ثلاث سنوات تميزت بالضعف والفوضى كما يبدو ، لدرجة أنه اضطر لبيع الإمارة !! إلى قطن بن علي بن هلال بن زامل مقابل مبلغ من المال .

وبتولي (قطن بن هلال) لإمارة الجبور تكون السلطة قد خرجت من بيت السلطان أجود بن زامل لتنتقل إلى بيت أخيه (هلال بن زامل) [1] ، وهم الذين تركز نفوذهم في عمان الشمالي . وبعد فترة حكم لم تتجاوز سبعة أشهر ، اضطر قطن للتنازل عنها لعمه غصيب أو (قضيب بن زامل بن هلال بن زامل الجبري) [2] وكانت تلك الفترة متصفة بالفوضى السياسية والاقتصادية التي أخذت تتخبط فيها إمارة الجبور بعد استشهاد مقرن مباشرة، وبعد انتقال السلطة إلى بيت (الهلاليين) ، دفعت على ما يبدو ببعض الزعماء في الأحساء والقطيف من بيت السلطان أجود بن زامل إلى البحث عن زعيم قوي ينتشل البلاد من حالة الفوضى والتدهور، فاتجهت أنظارهم غالباً إلى الشمال ناحية (البصرة) حيث كان الشيخ راشد بن مغامس بن صقر من آل فضل زعيم عشائر المنتفق القوية [3] . وكان قد نجح في انتزاع البصرة وكون فيها إمارة مستقلة تتمتع بقوة بعيداً عن الصفويين . و المؤرخ محمد السلمان يقول [4] : ورأى الشيخ راشد أن الظروف مواتية جداً آنذاك لتحقيق طموحه في توسيع إمارته وضم بلاد البحرين ، خصوصاً بعد أن طلب منه بعض الجبور فعلاً مساعدتهم في ضبط الأمن والنظام في إمارتهم ، وهذا ما سبب انتهاء إمارة الجبور في شرق شبه الجزيرة العربية ، حيث يذكر لنا ذلك صاحب (تحفة المستفيد) حين يقول (كانت ولاية ابن

---

(١) يطلق عليهم العمانيون في بعض الأحيان اسم (بني هلال) ، وتغلب عليهم حالة البداوة وعدم الاستقرار .

(٢) تحفة المستفيد ، ج ١ ، ص ١٢١ .

(٣) لابد أن الشيخ راشد زعيم المنتفق كان يراقب ما يحدث في بلاد البحرين نظراً لعلاقة ذلك بأمن إمارته وبمصالحها الاقتصادية ، ولاسيما أمن قافلة الحج الكبيرة التي كانت تنطلق من البصرة مارة بأطراف بادية البحرين.

(٤) الغزو البرتغالي للجنوب والخليج العربي ص ٢٠٨ .

مغامس على الشرق عام واحد وثلاثين وتسعمئة للهجرة ، فاستقل بالبصرة إلى أن استعان به بنو جبر لضعف حالهم ، فقوي عليهم وأخذ منهم الحسا والقطيف وأعمالها ، وذلك لما استولى الأعداء الإفرنج المخذولون على بلادهم وقتلوا سلطانهم الشيخ مقرن بن زامل بن حسين بن ناصر الجبري في سنة سبع وعشرين وتسعمئة [1] . ويصادف عام ٩٣١ هـ بين عامي ١٥٢٤ – ١٥٢٥م. وبذلك نستطيع اعتماد هذا التاريخ كزمن محدد لزوال إمارة الجبور من البحرين والقطيف كسلطة سياسية، وحلول إمارة (آل فضل) محلها ، حيث صار الشيخ راشد يلقب بعد ذلك بلقب (سلطان البصرة والحساء والقطيف) وظل كذلك لمدة عشرين عاماً . وبما أن النفوذ العثماني قد بدأ ينتشر تدريجياً في شبه الجزيرة العربية منذ عهد السلطان العثماني (سليمان القانوني) بعد عام ١٥٣٤ م عندما ضم بغداد وطرد الصفويين نهائياً منها ، فقد اضطر ابن مغامس أن يسلم الأحساء إلى الأتراك العثمانيين في حدود عام (٩٥٧ / ١٥٥١م) حيث ولى عليها الأتراك (محمد باشا) الملقب بـ(فروخ) ثم (علي بن أحمد بن لاوند البريكي) [2] وبذلك دخل العثمانيون بشكل مباشر في الصراع الدائر في شبه الجزيرة والخليج وخصوصاً ضد البرتغاليين منذ ذلك التاريخ .

أما تاريخ الجبور في قسمه الآخر ونعني به الكتلة الثانية من ذرية هلال بن زامل في عمان الداخل ، فبعد انهيار كتلة الجبور في الأحساء نهائياً وتفرق كلمتها، غاصت الكتلة الثانية أيضاً في صراعات الوحل العماني وقبائله وتحالفاته المتباينة المتقلبة بين حين وآخر ، بين القبائل النبهانية والهناوية والإمامة الأباضية ، ولذا فعندما قام رجل عمان القوي ناصر بن مرشد اليعربي الذي بويع إماماً في ١٦٢٤ / ١٦٢٥ م ، بمسؤولية توحيد عمان والقضاء على مصادر الاضطراب ، كان لابد له من أن يصطدم بالجبور ، وقد بدأ يشن حرباً طويلة وقاسية ضدهم بعد تثبيت نفوذه في الداخل العماني ولم تكن تلك الحرب ضد معاقل الجبور من الأمور الهينة ، نظراً لشدة بأسهم وكثرة أتباعهم من بدو وحضر [3]، ويشير المؤرخ محمد

---

(١) انظر : تحفة المستفيد ج ١ ، ص ١٢١ .

(٢) الجبور عرب البحرين أو عربان الشرق ، ص ٩٨ .

(٣) نفوذ الجبور في شرق الجزيرة بعد زوال سلطتهم السياسية ، ص ص ٢١٤– ٢١٧ .

السلمان [1] إلى :

أن الجبور قد اضمحل أمرهم كقوة سياسية في المنطقة وصار شأنهم شأن بقية القبائل العمانية الكثيرة التي لا تأثير لها في الحياة السياسية ، وبذلك انطوت صفحة قبائل جبور بني عامر ، الذين كانوا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر أكبر قوة سياسية على امتداد شرق الجزيرة العربية .

احتلال القطيف سنة ٩٢٧ هـ - ١٥٢١ م (الاحتلال الأول) :

بعد أن احتل الغزاة البرتغاليون البحرين توجهوا في منتصف اغسطس ١٥٢١ م إلى هرمز فاعدوا لغزو واحتلال القطيف واستجمعوا قواهم ، وكان هذا الغزو مخططاً له منذ سنة ١٥١٥ م إذ قام سفير الشاه إسماعيل الصفوي بالتقدم حاملاً عدة مطالب ، وقد أجيب إلى بعضها ومن ضمن اقتراحاته الكثيرة أن تقدم البرتغال بعض سفنها لإيران كي تمكنها من غزو البحرين والقطيف إلى جانب أن يقوم البرتغاليون بقمع التمرد الواقع ضده في مكران بأن يحتلوا جوادر [2] وغيرها من المقترحات وما يهمنا هنا أن اقتراح الغزو كان أساساً من إيران [3] ، وكانت فرصة البرتغاليين للتنفيذ وهو ما تم فعلاً بعد ست سنوات من التخطيط للغزو ومن ثم الاحتلال ، إذ اقترحت إيران سنة ١٥١٥ م مسألة الغزو بينما كان البرتغاليون على استعداد منذ سنة ١٥٠٧ م .

وفي هذا العام (=١٥٢١ م) قتل البرتغاليون السلطان مقرن بن زامل ، وكان حدثاً عظيماً بالنسبة إلى المنطقة وإلى البرتغاليين أنفسهم . والسلطان مقرن كان قد تولى الحكم بعد وفاة عمه محمد ، وقد وصفه ابن إياس في (بدائع الزهور) : أنه لما دخل مكة المكرمة كرّ راجعاً إلى بلاده لاقته الإفرنج (البرتغاليون) فقاتلهم ، إلا أنهم انتصروا عليه وأسروه وحاول افتداء نفسه بألف ألف دينار (مليون دينار) فأبوا وقتلوه سنة ٩٢٨ هـ

---

(١) الغزو البرتغالي للجنوب والخليج العربي ، ص ٢٠٩ .

(٢) دليل الخليج ، ق ت ، ص ١٤ ، وانظر : عجمان في ذاكرة الزمان ، ص ٢٨ و ٢٩ .

(٣) الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة ، ص ٣٠ ، تاريخ الخليج العربي ، ص ٧٧ و ٧٩ .

واستولوا على بلاده ، فخلفه علي بن أجود ، إلا أنه لم يستقم في الولاية أكثر من شهر واحد [١] .

ثورة الجمارك في القطيف في ذي الحجة ٩٢٧ هـ نوفمبر ١٥٢١ م :

لقد كان البرتغاليون أيام البوكيرك (توفي في ١٥ / ١٢ / ١٥١٥ م)[٢] قد اقتصروا على تركيز نفوذهم في كل مكان في الخليج وقد كانوا غير مكترثين بالتعرض للعلاقات الداخلية لكل منطقة ، ولكنهم فيما بعد أرادوا أن يهيمنوا على سائر السياسات التجارية في كل مدينة وبندر في الخليج وأرادوا أن تكون لهم الكلمة الحاسمة في احتكار التجارة وطرقها فلهم الصادرات والواردات وأرادوا أن يضعوا أيديهم على سائر الشؤون الجمركية .

وفي نوفمبر ١٥٢١ م أعلن لوبو سواريز نائب الملك البرتغالي الذي خلف البوكيرك في جوا Goa والذي كانت الشؤون الاقتصادية المحصنة في موضع اهتمامه الأول أنه قد عين موظفين برتغاليين لضبط سائر الشؤون الجمركية في القطيف بما في ذلك البحرين وهرمز [٣] وصحار والقريات وقد كان وقع هذا الخبر كالصاعقة على أبناء القطيف وسائر العرب فهب أبناء المنطقة في ثورة عارمة على تلك التعديات واحتكار الاقتصاد لهم ، وهذه الثورة عرفت بثورة الجمارك في القطيف وباقي مناطق الخليج والتي كانت بوادر انفجارها في قلهات التابعة لمملكة هرمز في عام ١٥١٩ م ومنذبداية عام ١٥٢١ م واجه البرتغاليون حركات تمرد متفرقة ، ثم اندلعت بعدها الثورة العامة [٤] ، وقد حدثت هذه الثورة في

---

(١) نقلاً عن : صفحات من تاريخ الأحساء ، ص ٢٣٦ ، وانظر أيضاً منطقة الأحساء عبر أطوار التاريخ ص ١٥٢ وما بعدها . كذلك انظر : النفوذ البرتغالي في الخليج العربي ، ص ١٢٨ حتى ١٣٤ ، وانظر أيضا : الغزو البرتغالي للجنوب والخليج العربي ص ١٩٠ .

(٢) الوثيقة ع ٤ ، س ٢ ، ر خ ١٤٠٤ – ١ / ١٩٨٤ ص ٩٦ وصراع القوى في المحيط الهندي، ص ١٣٩ .

(٣) استولى البرتغاليون على جزيرة هرمز في عام ١٥٠٧ حتى عام ١٦٢٢ م كما مر بنا في احتلالها .

(٤) عمان (الديمقراطية الإسلامية) ، ص ٩٦ و ٩٧ ، بينما في : مملكة هرمز ص ١٠٧ ذكر التاريخ ٢١ / ١١ / ١٥٢٢ وانظر أيضا : العرب والبرتغال في التاريخ ، ص ٣٢٩ وأيضا : الصراع البرتغالي العثماني في القرن ١٦ ، ص ١٨٩ ، والغزو البرتغالي للجنوب والخليج العربي ص ٢٤٢ .

فجر يوم ٣٠ نوفمبر ١٥٢١ م ، حيث واجه البرتغاليون صعاباً في الهند وأصبحوا مضطرين لسحب جزء من قواتهم العسكرية في الخليج لمواجهة مشاكلهم هناك . بادر توران شاه بإصدار أوامره لإعلان الثورة ضد البرتغاليين يعاونه وزيره شرف الدين ومن الأمور التي تثير الاهتمام أن يتوصل عرب الخليج في تلك الفترة والتي كانوا فيها فرقاً متشتتة أن يتوصلوا إلى خطة محكمة لتوقيت الصراع والمواجهة فكان هجوماً كاسحاً تعرض له البرتغاليون في الحصون التي احتلوها في ليلة واحدة ودفعة واحدة حيث تعرضت الحاميات في هرمز والبحرين ومسقط وقريات وصحار وغيرها من أقطار الخليج بما فيها القطيف ، وكانت هجمات ليلية مفاجئة من البر والبحر وقتل خلال تلك الأحداث عدد كبير من البرتغاليين[1] على أن جميع المصادر لم تحدد الخسائر عند العرب بما فيهم أهل القطيف .

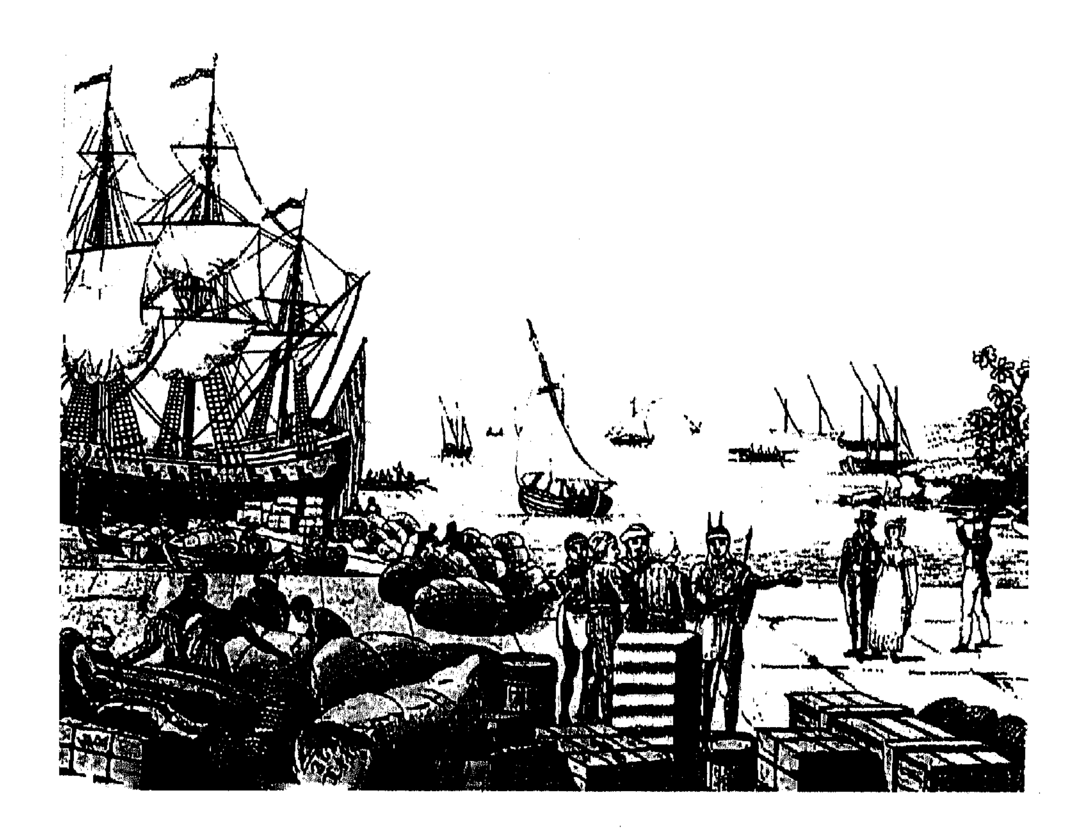
ويمكن قراءة تحليل لثورة عام ١٥٢١ م [2] في الخليج ضد البرتغاليين ، ومن أسبابها إلى نشوبها ونتائجها في هرمز والبحرين وصحار وقلهات ومسقط في كتاب الغزو البرتغالي للجنوب والخليج العربي [3] .

---

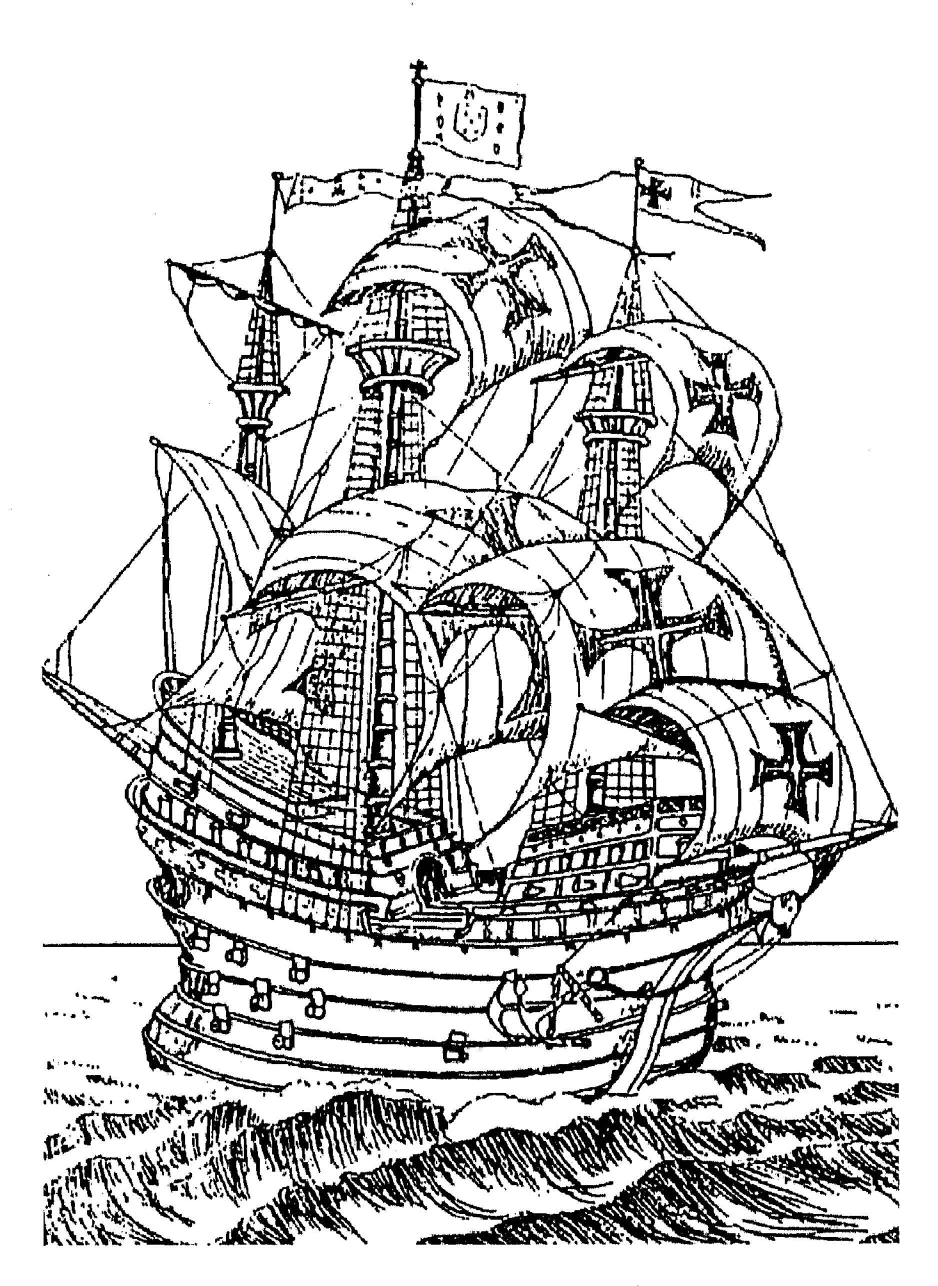
(١) الوثيقة ، ع ١٢ ، س ٦ ، ج ١ ، ١٤٠٨ هـ ذ ١ /١٩٨٨ م ، ص ٥١ – ٥٢ .

(٢) عمان (الديمقراطية الإسلامية) ص ٩٦ ، وانظر أيضا (ندوة رأس الخيمة التاريخية) ص ٦٩ .

(٣) انظر الصفحات ٢٤٢ الى ٢٤٧ وما بعدها ، وانظر أيضا : تاريخ هجر ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ ، وانظر كذلك دولة اليعاربة ص ٣٦ .



سفينة برتغالية تحمل البضائع من ميناء القطيف ، والرجل الواقف إلى جوار زوجته هو ألفونسو دي بوكيرك (الابن غير الشرعي) لألفونسو دي البوكيرك وزوجته هي دونا ماريا دو نورونها ابنة اللورد د. أنطونيو الأول كونت للينهارس وأمها الكونتيسة دونا جوانا دي سيلفا ، أما السفينة فهي من نوع الغليون ضمن أسطول سافوي Saviy حيث يقودها ألفونسو كقبطان .



منظر لإحدى السفن البرتغالية التي ظهرت في البحر الأحمر والخليج

أحداث سنة ٩٢٩ هـ - ١٥٢٢ م :

لقد بات واضحاً لجميع البرتغاليين ما يواجهونه من كره من عامة المسلمين من عرب وهنود وفرس وغيرهم، وأن العلاقات بينهم وبين القوى المحلية في الخليج والمحيط الهندي تتصف بالعداء الشديد ، ففي (تشرين الثاني) نوفمبر ١٥٢٢ م ضاق شيخ هرمز ذرعاً بالوضع المزري الذي وصلت إليه الحال في الخليج وخاصة في هرمز فحاول إخراج البرتغاليين من هرمز وصحار وقلهات والقريات وكذلك من شمال الخليج : البحرين والقطيف [١] وذلك احتجاجاً على سيطرتهم على المراكز التجارية المذكورة وقد نجح الهجوم في بادئ الأمر نجاحاً كبيراً وتكبد البرتغاليون خسائر فادحة ولكنهم سرعان ما أرسلوا النجدات بسرعة كعادتهم فوصل المنطقة أسطول برتغالي واستعاد المراكز السابقة ووضعت السيطرة عليها من جديد [٢] .

ولم يترك لنا المؤرخون كيفية النجاح الذي حققه شيخ هرمز وهل شمل كل مشيخات الخليج او اقتصر على مشيخة هرمز فقط ، ولكنه يعد مقاومة بطولية منه بهذا الهجوم .

أما بالنسبة إلى البحرين فقد أحرزت قدراً كبيراً من النجاح ، فقد تولى الثورة في الليلة الموعودة لها الشيخ حسين بن سعيد ، فقام بهجوم مفاجئ على القلعة التي كان يتحصن بها البرتغاليون وألقى القبض على حاكم الجزيرة البرتغالي وقام بشنقه على نخلة ، أما الباقون على قيد الحياة من الجنود البرتغاليين فقد لاذوا بالفرار وذلك سنة ٩٢٩ هـ - نوفمبر١٥٢١م وحينها اعتمد البرتغاليون الدبلوماسية سبيلاً لاسترداد سيادتهم على البحرين فتمكنوا بعد فترة من ترتيب اتفاق [٣] ومن نقاطه :

---

(١) تاريخ الخليج العربي ص ٨٠ ،وكان مصطلح شمال الخليج يوم ذاك هي الدويلات الأربع: البحرين ، الأحساء، القطيف، البصرة.

(٢) صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي ، ص ١٤٠ ، وانظر أيضا : عمان (الديمقراطية الإسلامية) ص ٩٦ وانظر كذلك : تاريخ هجر ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ .

(٣) تاريخ هجر ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ و ٢٠٧ .

١ – أن يكون الشيخ حسين بن سعيد حاكماً عربياً على البحرين .

٢ – موافقته على تعيين مستشار برتغالي .

وليس لدينا خلفيات فعلية عن هذا الاتفاق وما آل اليه إلا أن البرتغاليين أرسلوا مستشاراً يدعى لويس دي منزيس .

أحداث سنة ٩٣٠ هـ – ١٥٢٣ م :

عاد البرتغاليون وسيطروا ثانية على الخليج وقد قاموا بتعيين موظفين برتغاليين للمراكز الجمركية في هرمز وصحار والقريات والبحرين والقطيف وهذا العمل أثار سخط الأهالي في جميع مناطق الخليج ، مما جعل شيخ هرمز يقدم على تنظيم هجوم بري يجري في وقت واحد في محاولة لاقتلاع البرتغاليين الذين خسروا أرواحاً كثيرة من جراء المفاجأة ، وفي الوقت نفسه كان أحد أساطيل البرتغاليين قد دمر مدينة صحار تدميراً تاماً ثم تقدم إلى هرمز واستعادها إثر الهجوم البري البحري وتم إبرام معاهدة في ٢ رمضان ٩٢٩ هـ–٢٣ يوليو ١٥٢٣ م في ميناب تم بموجبها جعل هرمز خاضعةً لإشراف دقيق وصارم من جانب البرتغال[١] وقد طالت تلك الأحداث جميع مناطق الخليج بما فيها القطيف .

وفي أواسط سنة ٩٢٨ – ١٥٢٣ م وجد توران شاه ووزيره شرف الدين ميتين بالسم في جزيرة القسم بعد هروبهما إليها ، والمعروف أن توران شاه هو المسبب الحقيقي لكلٍّ ما يحدث في دويلات شمال الخليج بما فيها القطيف بمساعدة البرتغاليين [٢] .

وفاة الشاه إسماعيل الصفوي سنة ٩٣٠ هـ – ١٥٢٤ م :

في عام ٩٣٠ هجرية توفي الشاه إسماعيل الصفوي وقد أعقب ذلك صراعات وحروب

(١) تاريخ الخليج العربي ص ٨٠ ، وانظر أيضا الخليج العربي التطور الحديث والمعاصر ص ٥٥، وأيضا : مملكة هرمز ص ١٠٩ وفيها تفاصيل أخرى ، وانظر أيضا : دولة اليعاربة ص ٣٧ .

(٢) الغزو البرتغالي للجنوب والخليج العربي ص ٢٥١ و ٢٥٢ .

بين الصفويين أنفسهم ، وهذا ما جعلهم يشتغلون بأمورهم الداخلية [١].

زوال إمارة الجبور سنة ٩٣١ هـ – ٢٤/١٥٢٥ م :

يعتبر عام ٩٣١ هجرية أي عامي ٢٤/١٥٢٥ م هو العام الفعلي لزوال إمارة الجبور كما ورد في أحداث ومجريات قتل الشيخ مقرن ودفنه في القطيف سنة ٩٢٧ هجرية ، ولقد أفل نجم الجبور في سلطنتهم بالبحرين والقطيف [٢] حيث حل محلهم آل فضل وصار شيخهم راشد حاكماً على البصرة والقطيف والأحساء في آن واحد .

بدأ من عام ٩٣١ هـ – ١٥٢٥ م حيث حكم الأحساء ، ثم الأحساء والبصرة عام ٩٣٤هـ – ١٥٢٨ م ثم البصرة والأحساء والقطيف سنة ٩٤٤ هـ – ١٥٣٧ م حتى وفاته ٩٤٦ هـ – ١٥٣٩ م .

يرى الحميدان معلقاً على الجزيري :بأن القطيف لم تكن تحت حكم راشد سنة ٩٣١ هـ ٢٤/١٥٢٥ م إذ إن مقتل مقرن كان سنة ٩٢٧ هـ وهذا يعني أن راشداً استولى على القطيف بعد عشر سنوات كما يرى الحميدان مما يدل على أن استيلاء ه على القطيف كان سنة ٩٣٦ هـ على أقل تقدير– بتحليل الحميدان – ويقول في عبارته : (وهنا يقتضي تصحيح خطأ تاريخي وقع فيه الجزيري نفسه حينما أقحم القطيف ضمن ما استولى عليه الشيخ راشد في أثناء حملته هذه، فالقطيف كانت في الواقع قد خرجت من أيدي الجبور قبل ذلك بمدّة من الوقت (يقصد سنة ٩٢٧ هـ) إذ هي في تلك الأثناء كانت تحت حكم الهرمزيين (يقصد إدارة هرمزية من البرتغاليين) ولم يتسن لراشد الاستيلاء عليها إلا بعد مضي أكثر من عشر سنوات من استيلائه على الأحساء [٣]

---

(١) إمارة آل شبيب ص ٤٥ .

(٢) تحفة المستفيد ، ج ١ ، ص ١٢١ وانظر الغزو البرتغالي للجنوب والخليج العربي ، ص ٢٠٨ و ٢٠٩ ، وانظر أيضاً إمارة آل شبيب ص ١٢٨ .

(٣) إمارة آل شبيب في شرق جزيرة العرب ص ٤٧ .

وقد قال الحميدان معلقاً على قول الجزيري : (قوي عليهم وأخذ منهم الحسا والقطيف وأعمالها) [١] .

وفي هذا العام وصل إبراهيم باشا الصدر الأعظم إلى مصر في أوائل عام ٩٣١ هـ - ١٥٢٥ م على رأس قوة عثمانية كبيرة إثر عصيان واليها أحمد باشا ، وبقي هناك فترة طويلة نسبياً؛ الأمر الذي جعل البرتغاليين يتوجسون من احتمال خروجه على رأس حملة بحرية من هناك تستهدفهم في بحر العرب [٢] والخليج وهو ما يحتاط له البرتغاليون دائماً .

الثورة الثانية سنة ٩٣٣ هـ - ١٥٢٦ م :

بعد ثورة الجمارك سنة ١٥٢١ م لم تهدأ الأمور ، حيث استدعى البرتغاليون التعزيزات لخنق تلك الثورة فجاءت القوات والمساعدات من الهند لتهدئة الأوضاع ، لكن السكان العمانيين وإخوانهم في الخليج لم يهدأوا ، فعلى مدى خمس سنوات واجه البرتغاليون ثورات واضطرابات وتمردات عديدة ، إلاّ أنَّ في عام ١٥٢٦ م اندلعت ثورة جديدة استمرت طوال العام ، ومع هذا لم يتغيَّر ميزان القوى في الخليج ، كما فعلت ثورة الجمارك العارمة[٣] .

ويشير بعض المؤرخين إلى أن السبب في ذلك هو دي ميللر حاكم هرمز البرتغالي وقد تمكن لو بو فاز من قمع تلك الثورات بأسطول استقدمه من الهند [٤] .

الأحساء سنة ٩٣٣ هـ - ١٥٢٧ م :

يبدو أن الأمور في الأحساء قد استقرت تماماً، وأن تجارتها قد انتعشت في ظل الشيخ

---

(١) السابق الصفحة نفسها .

(٢) إمارة آل شبيب في شرق جزيرة العرب ، ص ٤٥ .

(٣) عمان (الديمقراطية الإسلامية) ، ص ٩٦ و ٩٧ ، وانظر أيضاً صراع القوى في المحيط الهندي ص ١٤٠ .

(٤) تاريخ الخليج العربي ص ٨١ ، وانظر أيضا : عمان (الديمقراطية الإسلامية) ص ٩٧ ، ومحافظة مسندم ص ١٩ ، وانظر أيضا : الخليج العربي - ويلسون ، ص ٢١٨ و ٢١٩ . وانظر أيضاً: دولة اليعاربة ص ٣٧ .

راشد بن مغامس ويروي الجزيري بأن الشيخ راشد بن مغامس قاد -شخصياً- سنة ٩٣٣ هجرية إحدى قوافل الحجيج وكانت تضم خمسة آلاف حاج وقد وصفهم الجزيري بأنهم (من بلدان شتى) ولاشك بأن قافلة الحاج القطيفي ضمن الركب كما هو المتبع وهي عادة سكان السواحل في الخليج ، ولاشك أن اجتياز هذه القوافل لمناطق نجد المختلفة دليل على هيبة حاكم الأحساء وصلاته الحسنة مع تلك الزعامات التي تمر بديارهم ويرى الحميدان بأن ذلك يعني أن نفوذ آل شبيب بدا يحل محل الجبور في أجزاء واسعة من نجد، بل إن بعضاً من تلك المناطق قد خضعت لحكمهم المباشر[١].

ويبدو أن الشيخ راشد قد عاد إلى البصرة بعد الحج مع قافلة حجاج البصرة في أخريات عام ٩٣٣ هجرية وتولى الحكم فعلاً بعد وفاة أخيه محمد .

السلطان راشد في حجه سنة ٩٣٣ هـ كما يرويه الجزيري بقوله :

ونضع هنا نصاً أورده الجزيري عن السلطان راشد بقوله[٢] : " سلطان الشرق : الشيخ راشد بن مغامس بن صقر بن محمد بن فضل ، سلطان البصرة والحسا والقطيف ، حج في سنة ثلاث وثلاثين وتسع مئة (هجرية) في ولاية الأمير تنم بن مغلباي على الحج ، في نحو خمسة آلاف نفس على رواحل ، ونزل الأبطح . وكانت ولايته على الشرق في سنة إحدى وثلاثين وتسع مئة هجرية ، فاستقل بالبصرة واستعان به بنو جبر لضعف حالهم، فقوي عليهم ، وأخذ منهم الحسا والقطيف وأعمالهما . وذلك لما استولى الأعداء من الفرنج المخذولين (يقصد البرتغاليين) على بلادهما ، وقتلوا سلطانهم الشيخ مقرن بن زامل بن حسين بن ناصر الجبري في سنة سبع وعشرين وتسع مئة هجرية ثم وليها بعده عمه علي بن

---

(١) إمارة آل شبيب في شرق جزيرة العرب ، ص ٤٩ .

(٢) الدرر الفرائد المنظمة ، ج ٣ ، ص ١٧٢٨ نسخة دار الكتب المصرية ، ص ٣٢٦ الرقم ٩٢٦ تاريخ تيمور ، نقلاً عن إمارة آل شبيب في شرق جزيرة العرب ، ص ١٣٠ . وانظر أيضاً : مجلة العرب ص ٢٠٣٥ ، ج ١١ ، س ٢، في ج ١، س ١٣٨٨ هـ .

أجود نحو شهرين ، فأخذها منها بن أخيه ناصر بن محمد بن أجود ، فأقام ثلاث سنين ، وأعطاها بيعاً لقطن بن علي بن هلال بن زامل ، فأقام فيها نحو سنة ، ثم مات فخلف ولده، ثم عجز عنها ، ودفعها لغصيب (قضيب) بن زامل بن هلال فأقام بها نحواً من سبعة أشهر ، فأخذها منه بالحرب الشيخ راشد بن مغامس ، وولى البصرة أخاه محمداً ، وأقام هو بالأحساء والقطيف ، وخرج للحج منها صحبة الشيخ يحيى بن أخيه محمد ، والشيخ مهنا، وقاضيهم الشيخ العلامة جمال الدين محمد بن عبد العزيز الشهير برفرف (زقزاق) المكي البصري ، الشافعي . ولحقهم السلطان الشيخ راشد بالطريق بعد نصف شهر، ورافقهم قوم كثير من بلدان شتى .

الأحساء سنة ٩٣٤ هـ - ١٥٢٨/٢٧ م :

عاد الشيخ راشد إلى البصرة وذلك لأسباب كثيرة منها أن وفداً أقنعه بالعودة لكبر سن أخيه حاكم البصرة ، وهذا يعني أنه ولى حاكماً في الأحساء ينوب عنه ، إنه ابنه مانع [١] .

السلطان راشد بن مغامس يتلقى رسالة برتغالية سنة ٩٣٥ هـ - ١٥٢٨ م :

إن مخاوف البرتغاليين تكمن في امتلاك العرب الأسلحة النارية التي انتشرت بين العرب منذ أكثر من قرن من الزمان وبدأوا يصنعونها ، وفي ظل هذه المخاوف بادر القبطان مندوزا (قبطان هرمز) في أواخر صيف ١٥٢٨ م بإرسال رسالة تهديد إلى السلطان راشد بن مغامس ، مطالباً إياه بتسليم ما بحوزته من سفن وأسلحة نارية ، إضافة إلى الجنود الروم (الأتراك) الذين كان يستخدمهم ، فحاول السلطان تهدئة مخاوف البرتغاليين وكسب ثقتهم ، ولكنه فشل أمام إصرارهم وغطرستهم ، الأمر الذي أدى إلى إثارة نزاع فيما بينهما، استمر بضع سنوات دون أن يخضع سلطان ال شبيب للضغوط العسكرية والاقتصادية البرتغالية التي مارسوها ضده بل وقف بصلابة في مواجهتها [٢] .

(١) إمارة آل شبيب في شرق جزيرة العرب ، ص ٥٢ .

(٢) إمارة آل شبيب في شرق جزيرة العرب ، ص ٦٢ .

يشير الحميدان إلى : أن فشل البرتغاليين في إخضاع السلطان راشد لمشيئتهم ، رافقه فشل آخر أكبر من سابقه ، وشكل كارثة عليهم ، وذلك حينما عجزوا عن انتزاع البحرين من الرئيس بدر الدين الغالي وإحلال حاكم آخر بدلاً عنه ، وذلك في أعقاب اعتقالهم لابن عمه وصهره الرئيس شرف الدين لطف الله الغالي [١] .

ولابد أن تكون هذه النكسات التي أصابت البرتغاليين سنتي ١٥٢٨ و١٥٢٩ م فرصة مناسبة عسكرياً لكي يتحرك السلطان راشد حاكم البصرة أو ولده حاكم الأحساء نحو القطيف التي كانوا يتطلعون – ولاشك في ذلك لانتزاعها – هي والبحرين من سيطرة الهرامزة ، لكنهما فضلا التريث ، فيما يبدو لوقت آخر يكون أكثر ملاءمة ، على أنه من المحتمل أن الضغط المتواصل الذي كان يمارسه آل صبيح من بني خالد على القطيف وهجماتهم المتكررة عليها كان يتم بتحريض غير مباشر منهما [٢] .

ملك الأحساء يتوجه إلى القطيف سنة ٩٣٥ هـ – ١٥٢٩ م :

في عام ١٥٢٩ ميلادية تواترت الأصداء بأن هناك محاولات من ملك الأحساء للسيطرة على القسم الشمالي من الخليج وذلك من خلال رسالة بعث بها وزير هرمز ركن الدين إلى الوزير المعزول شرف الدين والرسالة لا تحمل تاريخاً . ولقد عرفت الرسالة بأنها تعود للعام المذكور من خلال وجود شرف الدين بالمنفى ووجود القبطان (مرتين أفونصو دو ميلو) على رأس إدارة هرمز حيث خص الوزير جل رسالته لأحوال الخليج وعلى رأسها البحرين والقطيف والبصرة، وأهم ما يتجلى في قراءتها المحاولات الجادة التي بذلها ملك الأحساء ابن راشد للسيطرة على تلك المواقع المهمة؛ فقد أكد الوزير في رسالته على : (أن ملك الأحساء مقبل على القطيف وعازم على الاستيلاء على البحرين) وقد كان هناك تدخل لأعيان الأحساء والقطيف ، إلا أن ابن راشد استمر في عناده واستقر بالقطيف [٣] ليسهل عليه

(١) المصدر نفسه .

(٢) إمارة آل شبيب في شرق جزيرة العرب ، ص ٦٢ و ٦٣ .

(٣) تشير الوثائق أنه أمر بهدم قلعة قديمة وبناء أخرى جديدة ولم تحدد الوثيقة اسم القلعة ومكانها

الانقضاض على البحرين ، وقد استاء أهالي الأحساء لذلك فعندما علموا بذلك وخصوصاً رجاله وباقي مرافقيه من سكان الأحساء حتى فرّعنه أغلبهم بصحبة أبنائهم وزوجاتهم وكان من بين الأحسائيين الفارين إلى البحرين الشيخ محمد بن مسلم يرافقه صحبة من قومه . ومحمد بن رحال مع ذويه يرافقه كثير من الأحسائيين وطلبوا الحماية من والي البحرين وقد أجبرت هذه الهجرة ملك الأحساء إلى الالتحاق بالبصرة التي كان يطمع في حكمها ، إلا أن سكانها هزموه حتى أنه لم يستطع الفرار إلا بصعوبة ، وفي هذه الأثناء مات ملك البصرة وهذا الحدث جعل أهلها يغيرون موقفهم ويفتحون له الأبواب ويبايعونه ملكاً عليهم [(١)] .

فتوسعت مملكته ، وهذا يعني أن البصرة قد انضمت إلى مناطق حكمه ، وقد جاء في مصطلح (شمال الخليج) أن (البصرة والقطيف والأحساء) كانت تحت حكومة واحدة .

وتشير أحداث عام ١٥٢٩ م إلى أن أهالي البحرين ثاروا لنفي المستشار الأول لشيخ هرمز إلى البرتغال ، حيث أرسل الملك حملة لقمع هذه الثورة غير أنها فشلت نتيجة نقص استعداداتها ، وكان السبب في ذلك نونو دي كونها حاكم المستعمرات البرتغالية في الهند[(٢)] .

انتفاضة محرم ٩٣٦ هـ – سبتمبر ١٥٢٩ م :

لا تكاد تمر فترة بسلام على وجود البرتغاليين بين ظهراني أهالي القطيف وليس هم فحسب بل أهالي الخليج كافة ، فالانتفاضات مستمرة متى كانت الأمور مواتية ، ففي سنة ٩٢٩ هـ – ١٥٢٢ م كانت هناك انتفاضة في مسقط وقلهات وهرمز وقد أخمدها دوم لويز دي منزيس Dom Luiz De Menezes وانتفاضة أخرى أيضاً في سنة ٩٣٣ هـ – ١٥٢٦ م

---

(١) الوثيقة العدد ٤ س ٢ ربيع الآخر ١٤٠٤ هـ ، ص ١٢٥ ذ ١٢٦ .

(٢) الخليج العربي (تط. حد. مع.) ص ٦٥ .

وقام بقمعها لوبو فاز Lopo Vas، [1] أما في عام ٩٣٦ هـ- ١٥٢٩ م ، فلقد قامت انتفاضة في البحرين والقطيف ومسقط وقلهات ضد السيطرة البرتغالية وكان في هرمز آنذاك دوم نونو دي كونها الذي عين نائباً للملك في الهند ، وجاء إليها وهو في طريقه إلى الهند ومعه ست سفن مزودة بالمدافع [2] بقيادة دي سوزا في العام الذي سبق هذه الانتفاضة أي سنة ٩٣٥ هـ- ١٥٢٨ م ، و في أثناء وجوده اندلع القتال وأعمال الشغب، والانتفاضة كانت عارمة ضد الاحتلال البرتغالي فارسل دي سوزا القوات لقمع هذه الحركة ولكنه فشل فشلاً ذريعاً ، وقتل في المعركة أخوه سيمون دي كونها فعاد أدراجه إلى الهند ولم يقدم على مهاجمة القطيف لأنه لم يستطيع أن يخمد الانتفاضة في البحرين .

وللمؤرخ عبد الرحمن الملا رأي حول انتفاضة القطيف والبحرين في محرم ٩٣٦ هجرية إذ يقول :

« أرسلت إلى البحرين حملة لقمع الثورة التي قامت هناك ضد سلطة ملك هرمز شرف الدين ولكنها انتهت نهاية مندمرة للبرتغاليين وذلك أن حاكم البحرين واسمه على ما تذكر المصادر البرتغالية (بربادين) وأكبر الظن أنه تحريف عن اسم بدر الدين وهو عربي قريب النسب من شرف الدين كان قد امتنع عن دفع الأتاوة المفروضة عليه لهرمز ، فبعث الملك البرتغالي أخاه (سيمون داكنها) على رأس حملة بحرية في محرم سنة تسعمئة وست وثلاثين هجرية سبتمبر ١٥٢٩ م مؤلفة من خمس سفن تُقل نحو خمسمئة مقاتل تدعمها ست سفن أخرى مزودة بالمدافع بقيادة (بلشواردي) الذي كان يقوم بأعمال الدورية قرب جزر البحرين لمنع بدر الدين من جمع المقاتلين من السواحل المجاورة . وتذكر الوثائق

---

(١) النفوذ البرتغالي في الخليج العربي ، ص ١٤٢ وتاريخ الخليج العربي ص ٨١ ،وأيضاً :الفتح العثماني للأقطار العربية ،ص٨٦ .

(٢) النفوذ البرتغالي السابق ص ١٤٣ ، وكذلك : صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي للجنوب ص ١٤٠ . وانظر كذلك : العرب والبرتغال ص ٣٢٨ وأيضا : الغزو البرتغالي للجنوب ص ٢٥٦ .

البرتغالية أن بدر الدين حين قام بالهجوم على القلعة البرتغالية في البحرين كان يقود ثمانمئة مقاتل ، وقد رفع على القلعة بعد استيلائه عليها علمين أحدهما أحمر والآخر أبيض وكأنه يريد ان يضع الغزاة بين خيارين ، الحرب إن أرادوا الحرب أو السلم إن أرادوا السلم . وفي مفاوضات مع الغزاة تقدم حاكم البحرين بعرض صلح مشروط لكن البرتغاليين رفضوا ذلك العرض لئلا يفوتوا على أنفسهم فرصة النهب والسلب ، وصبوا جام غضبهم على القلعة فأمطروها بوابل من نيران مدافعهم على مدى ثلاثة أيام متواصلة إلى أن نفدت ذخيرتهم من البارود ولم يتمكنوا من اقتحام القلعة رغم تصدع بعض جدرانها ، فأرسلوا سفينة إلى هرمز لجلب المدد من الذخيرة فعادت بعد أربعة عشر يوماً ببعض الذخيرة ، وفي تلك الأثناء سرت الحمى بين الجنود البرتغاليين والجنود الهرامزة وقد نفد ما لديهم من المؤن فصاروا يستجدون الطعام من السكان العرب الذين لم يبخلوا به عليهم ، واستشرى المرض بينهم فلم يبق من الجنود القادرين على الإسهام في القتال سوى خمسة وثلاثين جندياً برتغالياً ، عندئذ قرر الغزاة الانسحاب والتراجع إلى هرمز ، وقد تم سحب المرضى إلى سيف البحر بالحبال التي وضعت في أرجلهم ثم تم نقلهم إلى القوارب بمساعدة الملاحين العرب ، وفي طريق عودتهم ازدادت حالتهم سوءاً فمات أكثرهم بمن فيهم قائد الحملة (سيمون دي كونها) الذي قيل إن الفشل كان سبب موته [١] .

والمعروف أن أبناء القطيف والخليج عموماً لم يكتفوا بهذه الحركات الجهادية ضد الغزاة البرتغاليين بل عملوا على قطع الإمدادات عن هرمز أكبر معاقلهم في الخليج العربي [٢] .

وإذا كانت الانتفاضة قد نجحت في البحرين والقطيف إلا أنها فشلت في مسقط وقلهات وذلك لوجود ثكنات عسكرية متمثلة في القلاع الضخمة في قمم الجبال سواء تلك التي

---

(١) تاريخ هجر ، ج ٢ ، ص ٢٠٧ و ٢٠٨ ، وهناك إشارة بهذا الصدد في (دولة اليعاربة) ص ٣٧ .

(٢) النفوذ البرتغالي في الخليج العربي ص ١٤٤ ، وانظر أيضا الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي ص ٤٣ . وانظر كذلك : The Countries & Tribes of the p. Gulf : P 166

بنيت بسواعد العمانيين أو بنيت غصباً عنهم بجبروت البرتغاليين وقد ملأوها بالجنود والمتطوعين مدججين بالسلاح والعتاد لمثل هذه الانتفاضة [١] .

وفي عام ١٥٢٩ م أيضا وقعت اتفاقية في هرمز [٢] . وحول المقاومة في القطيف يقول أحد المؤرخين : وقد أكدت معركة القطيف وتهديد البرتغاليين لسواحل كل من البحرين والبصرة للعثمانيين ، أنهم لا طاقة لهم للتصدي للبرتغاليين في معارك بحرية . . .

حاكم البحرين يحرق ١٥٠ مركباً في القطيف سنة ٩٣٦ هـ - ١٥٢٩ م:

استغل والي البحرين الوضع الذي وصل إليه ملك الأحساء وغيابه في البصرة فما كان منه إلا أن قدم إلى القطيف وحرق ١٥٠ مركباً ، ولا نعرف ما هي نوعية هذه المراكب ، إلا أننا لا نستبعد أن تكون للتجارة والغوص والصيد والنزهة والحراسة ، وهي الأنواع الخمسة التي تتوافر عادة في كل ميناء، وبعد أن سمع ابن راشد وهو في البصرة قام بمصادرة أموال تجار البحرين الموجودين في البصرة والاستيلاء عليها وعلى مراكبهم أيضاً وهذا الأمر أغضب أهالي البصرة أنفسهم فثاروا عليه وطردوه ورفضوا الاعتراف به وبايعوا عوضاً عنه أحد أقاربه واسمه يحيى ، وأعادوا السلع والسفن إلى أهالي البحرين ثانية إلى جانب تعويضهم عن كل ما فقد من بضائعهم ، وبعد ذلك عاد ملك الأحساء أدراجه لجمع قواه والاستعداد للهجوم على البحرين وذكر الوزير أن ذلك لن يصعب عليه لشدة قوته وكثرة رجاله ولا أدري لماذا هزمه أهالي البصرة !!

وذكر الوزير ركن الدين أنه ما إن علم بتلك الأحداث حتى التحق بقبطان هرمز وأشعره بخطورة الأمر وطلب منه إرسال أسطول لحماية البحرين أو لبناء قلعة بالقطيف لضمان أمن البحرين إلا أن المسؤول البرتغالي عبر عن عجزه للقيام بهذا الاقتراح لعدم توافر الأموال [٣]!!

---

(١) صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي ص ١٤١ .

(٢) مملكة هرمز ص ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ و ١١٣ . وأيضا : تاريخ الخليج العربي ص ٨١ .

(٣) انظر الوثيقة ع ٤ ، س ٢ ، ٤/٤/١٤٠٤ هـ - ١/١٩٨٤ م ، ص ١٢٦ ، وانظر أيضا الوثيقة في ع ١٠ ، س ٥ ، ٥/١٤١٧ هـ - ١/١٩٨٧ م ، ص ١٦٠ . وانظر أيضاً : تاريخ هجر ، ج٢، ص ١٩٧ و ١٩٨ .

والواضح أن الهجوم المباغت على الميناء كان مدبراً ، لاعتقادي أن عدداً كبيراً من السفن التي هاجمت الميناء كانت محملة بقذائف نارية أو متفجرات مصنوعة من البارود أو غيره إلى جانب اعتقادي أن عدداً من الأشخاص قد رافق الهجوم ! ! ولا ندري ما هي وضعية باقي الموانئ في المنطقة كسيهات وادارين مثلاً ، وبما أن المسألة كانت انتقاماً فالملاحظ أنه قوبل بانتقام مثله حيث حجزت سفن أهالي البحرين في البصرة وفي كلتا الحالتين خسر المواطنون في البصرة والقطيف مراكبهم وهم لا ذنب لهم. وفي عام ١٥١٣ م قام البرتغاليون بعمل مشابه في عدن حيث أحرقت المراكب بعد أن نهب كل ما فيها ووزعت على ١٧٠٠ جندي برتغالي و ٨٠٠ جندي مالاباري وكناري يستقلون عشرين سفينة كبيرة بقيادة البوكيرك [١] .

وفي الرسالة التالية التي وجهها الرئيس ركن الدين ، وزير هرمز إلى الرئيس شرف الدين وزير هرمز المعزول ، حول محاولات ملك الأحساء مانع ابن راشد بن مغامس السيطرة على البحرين والقطيف والبصرة [٢] بعد ديباجة قصيرة ونصها :

«لقد فهمت يا سيدي كل ما كتبتم لي ، وكلنا نرفع أيدينا متوسلين إلى الله أن ينعم عليكم بالصحة وأن يحقق أمانيكم لأن رعاية الله وخوارقه كبيرة ، وأتمنى أن يجمعنا كما كنا من قبل وكما نتمنى جميعاً ، كما نرجو منه أن يطيل عمرنا حتى ننعم بتلك الفرحة التي نتمناها جميعاً ، لقد علمت من رسالتكم التي بعثتموها لي أنكم تتمنون المجيء في أول أسطول ، أتمنى أن يتم ذلك .

وبعد هذا أخبركم أن كل المناطق هادئة ، وأن أخباركم وأحوال هرمز لا تستدعي الكتابة أما ما أمرتموني به من خدمة ملك هرمز ، فإن الله يعلم كيف خدمته ونصحته ، وذلك بحب كبير ، إلا أن طبعه يحول دون اعتبار نصائحي ونصائح غيري إذ لا يعمل إلا برأيه

(١) الوثيقة ع ٤ ، س ٢ ، ١٩٨٤/١ م ، ص ٩٢ ، ع ١ .

(٢) العرب والبرتغال في التاريخ ، ص ٤٠٠ .

الخاص .

ويبدو لي أنه لن يتفاهم أبداً مع أي أحد ، ومع ذلك ، فأنتم تعلمون أنه يتحمل مسؤولية ذلك ، وأرجو من الله أن يتم قدومكم كما ذكرتم في رسالتكم ، وأن تقفوا على أخباره وأموره وأحواله .

إنني مستعد منذ سنتين ونصف في خدمة ابنه الذي ينوب عنه اليوم ، وأحمد الله على أنني لحد الساعة لم أختلف معه .

اعلموا بعد هذا أن الملك محمد ، حاكم البحرين ، في صحة جيدة ، وأن ملك الأحساء الشيخ مانع بن راشد ، مقبل على القطيف وعازم على الاستيلاء على البحرين وأنه تم تبادل عدة رسائل بينهما حتى أن سعيد بن عبد الله ، وهو من سكان الأحساء توسط بينهما فأمضيا هدنة ، إلا أن ملك الأحساء جمع عدداً كبيراً من المحاربين وعاد للاستقرار بالقطيف داخل قلعة جديدة أمر ببنائها بعد أن أمر بهدم القلعة القديمة (ولم تبين المصادر التاريخية اسم ومكان القلعة في منطقة القطيف والتي يبدو أنها خاصة بالجنود تماما كما في معسكرات الجيش) ، وما إن علم رجاله وباقي مرافقيه من سكان المنطقة بنواياه الرامية إلى محاربة مسلمي البحرين حتى فر عنه أغلبهم بصحبة أبنائهم وزوجاتهم ، وكان أوّلَ هؤلاء الفارين محمد بن رحال وذووه الذين رحلوا جميعاً مع آخرين لوضع أنفسهم تحت حماية والي البحرين ، كما أن أحد أعيان المسلمين المسمى الشيخ محمد بن مسلم قدم بدوره إلى البحرين صحبة قومه ، وذلك رغم أنه من الأحساء .

ولما رأى الملك ذلك انتقل إلى البصرة ، وبينما كان مخيماً بجوانبها انقض عليه سكانها في أعداد كثيرة وهزموه وقتلوا له عدداً كبيراً من المحاربين بينما تمكن هو من الفرار على ظهر فرسه ، وذلك بعد أن تعرض لجروح بليغة ، وفي الأحساء التي عاد إليها استطاع جمع عدد كبير من الرجال من ضمنهم أعراب كثيرون ، وحينذاك وصله خبر موت ملك البصرة الذي كان أحد أقاربه ، والذي كان يدين للأتراك بالولاء وقد خلفه صبي بايعه سكان البصرة

ملكاً على مدينتهم ، وما إن علم ملك الأحساء بذلك حتى توجه مع رجاله نحو البصرة ، واستغل حاكم البحرين ، الرئيس محمد ذلك وجمع عدداً كبيراً من الفرس والعرب وهاجم القطيف حيث أحرق له مئة وخمسين مركباً ما بين كبير وصغير كانت من قبل في ملكية عاهل هرمز قبل أن تخونه وتصبح في حوزة ملك الأحساء ، وليس من المعقول أن تكون كل المراكب للعاهل الهرمزي والسكان لا يملكون شيئاً. ! !

ولما وصل ملك الأحساء إلى البصرة فتح له أعيان المدينة الأبواب وبايعوه ملكاً . وفور تلك البيعة بالبصرة علم بإحراق حاكم البحرين لمراكبه ، فأمر بمصادرة كل مراكب تجار البحرين الموجودة بالبصرة والاستيلاء على سلعهم ، غير أن أعيان المدينة استاؤوا من ذلك وطردوه من مدينتهم وبايعوا عوضا عنه أحد أقاربه المسمى الشيخ يحيى ، وأعادوا السفن والسلع لمسلمي البحرين ، وعوضوهم كل ما فقدوه [١] .

والشيخ يحيى هذا رجل فاضل يرغب كثيراً في الحصول على صداقة البرتغاليين ، أما ملك البصرة المذكور الذي طرده السكان منها ، فإنه عاد إلى الأحساء ، وهو لا يزال يحلم بالاستيلاء على البحرين ، ويعد بالقيام بذلك في أقرب الآجال ، ولن يصعب عليه ذلك لشدة قوته وكثرة جنوده .

ولما علمت بهذه الأحداث التحقت بالقبطان (مرتين افونصو دو ميلو) لاشعاره بها، وكذا الكاتب وأعيان البرتغاليين وقلت لهم إن عليهم إرسال أسطول لحماية البحرين أو بناء قلعة بالقطيف لضمان أمن البحرين ، إلا أن القبطان أجابني منذ ثلاثة أيام أن مولانا الملك يتحمل مصاريف ضخمة بالهند وبهرمز الأمر الذي يحول دون إرسال أسطول إلى البحرين، واقترح أن يجمع حاكم البحرين كل محاربيه وأقاربه وأن يستولي لمدة سنة على الجبايات التي قد تكون هناك للفرس وذلك قصد تجهيز أسطول يمكنه من الاستيلاء على القطيف . لذا بعث إليه القبطان برسالة موقعة من طرفه وكذلك من لدن الكاتب يخبرانه فيها أن

---

(١) العرب والبرتغال في التاريخ ص ٤٠٠ و ٤٠١ .

العمل باقتراحهما يمثل خدمة لملك البرتغال ، وأنه في حالة استيلائه على القطيف ، فإنه سيحتفظ بها لنفسه دون أن ينازعه في ملكيتها أحد ، وأكد له أن ملك هرمز موافق بدوره على ذلك ، وبعث له ملك هرمز بدوره خطاباً آخر ، إلا أن الحاكم لم ينفذ الاقتراح بعد .

ولقد تطوع محمد بن رحال ومحمد بن مسلم بالمساهمة في نفقات تجهيز ذلك الأسطول، أخبركم أن الشيخ أحمد ، ابن الشيخ إسماعيل ، ذهب إلى Gulilao (لعلها نخيلو) لمحاربة بعض السكان الثائرين ، كما أذكركم بخدمتي الصادقة التي لا تختلف عن خدمتي لملك البرتغال ، وأن أول دليل على ذلك هو أنني أبعث على نفقتي ، وعلى رأس كل سنة ، أشخاصاً إلى القاهرة وإلى عدن ولأماكن أخرى للاطلاع على أحوال وأخبار السلطان التركي وضباطه ، ولحد الساعة لم أتوصل إلى أي خبر يرتبط بما كاتبتموني في شأنه ، وسأسرع بإبلاغ قبطان الحصن بكل ما سيصلني من أخبار ، أرجوكم أن تثقوا بي إذا ما قلت لكم إنني مسرور لخدمة ربي وخدمة ملك البرتغال وأظن أن سعادتكم تعلم ذلك. أتمنى أن يطيل الله عمركم وأن يضمن لكم الرفاهية كما نرجو ذلك جميعاً» .

ورسالة ثانية، هي : رسالة كريستوف دي مندوسا عام ١٥٢٩ عن حملة برتغالية ضد البحرين وبعض البلدان العربية :

« مولاي : لقد أخبرت جلالتكم بوساطة مانويل دو مسيدو (Manuel de Macedo) عن بعض أحوال مملكة هرمز هذه ، وبما أنه بعد ذهاب الوالي من هنا ، التحق (سيمون دي كونها) بالبحرين ، فإني سأخبر جلالتكم بما حدث هناك [1] .

لقد سبق لملك هرمز أن عين الرئيس بدر الدين أحد أقارب الوزير شرف عاملاً على البحرين ، ولما أمرت جلالتكم باعتقال الرئيس شرف ، أراد الوالي عزل الرئيس بدر الدين ، وإبعاده عن البحرين لما كان يلحقه بالبلاد من أضرار، وهكذا أوفد (بلشيور دو سوزا)

---

(١) العرب والبرتغال في التاريخ ، ص ٤٠١ و ٤٠٢ (نصاً) .

قبطان البحر إلى ذلك الساحل على رأس ثلاثة أو أربعة مراكب مرفوقا بوزير مسلم ومعه رسائل وظهائر ملكية موجهة إلى الرئيس بدر الدين تأمره بتسليم الحصن إلى الوزير الذي أوفده إلى هناك ، كما أمر الوالي (بلشيور دي سوزا) بإلقاء القبض عليه والإتيان به أسيراً، وبما أن (بلشيور دي سوزا) علم باكتشاف أمره من لدن بدر الدين فإنه ما إن وصل حتى سلمه الرسائل ، غير أنه رفض تسليم الحصن واحتاط منه كثيراً ، فأخبر (دي سوزا) الوالي بذلك . فقرر الوالي قبل ذهابه بخمسة عشر يوماً إرسال (سيمون دي كونها) لاحتلال الحصن وأسر بدر الدين إن أمكنه ذلك ، فاصطحب معه ٤٥٠ محارباً كان ضمنهم كل الفرسان الذين نجوا في ممباسه وآخرون وجدوا آنذاك هنا بهرمز .

ولما نزل (سيمون دي كونها) إلى الأرض لاحظ أن الحصن منيع جداً ، وذلك بخلاف ما بلغه عنه إذ ذكر له أنه عبارة عن ركام ، ولما نزل المحاربون نصبوا مدفعيتهم التي سرعان ما شرعت في إطلاق النار وذلك إلى أن نفد البارود ، فأرسل إليَّ يطلب المزيد منه ، ولما وصله كان جل مرافقيه مرضى ، وما إن طلع اليوم التالي حتى تفاحش المرض وانعدم من يقوى على حمل المدفعية إلى المراكب وأكثر من هذا لم يعودوا قادرين على المشي لركوبها الأمر الذي حتم إرسال مراكب كثيرة ومحاربين من هنا لإرجاع المراكب لأنه من مجموع ٤٥٠ أو ٤٥٥ شخصاً ذهبوا إلى هناك ، لم يبق على قيد الحياة شخص لم يصبه الوباء ، لقد توفي منهم ما يقرب المئتين ، وما يقرب من هذا العدد في طريق الموت . لقد مات من الحمى (سيمون دي كونها) وكذا (مانويل دي مندونسا) وكثير من الفرسان واعتباراً لعدد من عادوا مرضى يبدو لي أنه اذا ما فلتت منهم مئة ، فإن ذلك سيمثل بدون شك معجزة .

أما ما يتعلق بهذا الحصن وهذه المدينة فاعتقد أن جلالتكم قد اطلع على أحوالها بوساطة (مانويل دو مسيدو) فبعد ذهابه تم اعتقال خوجا إبراهيم كما كتبت لكم ذلك ، إن بهذه المدينة عدداً من الرجال قدم ملك هرمز بشأنهم طلباً إلى الوالي لاعتقالهم ، ويقول الملك إن الوالي أمر أن تقدم في شأن ذلك عرائض ، من الأكيد يا سيدي أن الهدف من اعتقال هؤلاء الأشخاص هو قطع رؤوسهم وليس الاستيلاء على أموالهم كما يعتقدون لأن ذلك هو ما

كان يفعل من قبل [١] .

أسطول تركي سنة ٩٣٨ هـ - ١٥٣١ م :

في عام ١٥٣١ م أصدر السلطان سليمان أوامره إلى واليه على مصر سليمان باشا الخادم ببناء أسطول كبير في دار الترسانة في السويس وأن يتولى قيادة حملة بحرية إلى اليمن والهند .

وتأتي هذه الأوامر بعد أن تزايد الخطر البرتغالي في البحر الأحمر والمحيط الهندي والذي أصبح يشكل تهديداً مباشراً للنفوذ العثماني ولهذا عزم السلطان سليمان على طرد البرتغاليين بصفتهم دخلاء [٢] .

وهذا العزم شاع في أوساط المسلمين وتفاءلوا خيراً باعتبارأن تركيا أكبر قوة إسلامية وهو ما شجع المسلمين أن يلتفوا حول سلاطينها لتخليصهم من البرتغال .



السلطان سليمان الأول المعروف بالقانوني
حكم بين عامي ٩٢٦ – ٩٧٤ هجرية

(١) العرب والبرتغال ، ص ٤٠٣ (نصاً) .

(٢) تاريخ العرب الحديث ، ص ١٧ ،وانظر:صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر،ص٢١٦ .

القطيفيون يرسلون وفداً إلى بغداد سنة ٩٤١ هـ – ١٥٣٤ م :

عندما احتل الأتراك بغداد سنة ٩٤١ هـ ١٥٣٤ م واستولوا على أنحاء العراق توجه وفد من أهالي القطيف إلى بغداد لمقابلة السلطان العثماني سليمان القانوني في السنة نفسها ٩٤١هـ / (كانون الاول ١٥٣٤ – نيسان ١٥٣٥ م) [١] كان السلطان في ١٦ صفر ٩٤١ هـ في تبريز ثم زار أماكن عديدة آخرها كربلاء والنجف الأشرف في ٢٨ رمضان ٩٤١ هـ ثم عاد إلى تبريز ثانية ١٥ يوماً ثم اتجه شمالاً قاصداً الأستانة حيث وصلها في رجب ٩٤٢ هـ وهذا يعني أن استقباله للقطيفيين تم بين جمادى الأول وشعبان وهي أربعة الأشهر التي مكثها في بغداد [٢] وطلبوا منه المساعدة في تطهير بلادهم من البرتغاليين [٣] الذين يعتبرون كفاراً وهم مسيحيون والأهالي مسلمون إلى جانب أنهم غزاة ومحتلون ولا يرغبون في وجودهم بينهم وعلى أراضيهم، ولم يذكر لنا أي من المؤرخين عدد أفراد الوفد ولا أسماء بعضهم، على أن هناك رواية بأن راشد بن مغامس حاكم البصرة أرسل ابنه مانعاً ومعه مفتاح البصرة إلى السلطان وكان بمعية الابن وفد مكون من شيوخ الأحواز والقطيف والبحرين وغيرها من مناطق شمال الخليج ويبدو أنه اتفاق مدروس

موقف السلطان العثماني سليمان القانوني :

وقد رحب السلطان سليمان الأول القانوني (الذي ولد في شعبان ٨٩٨ هـ) وحكم بين

---

(١) تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٥٧ و ٥٨ ، والنفوذ البرتغالي في الخليج العربي ص ١٣١ ، وانظر : علاقة ساحل عمان ببريطانيا ص ٣٥،وانظر كذلك صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمرص٢١٧ ،وأيضاً :الفتح العثماني للأقطار العربية ،ص٨٦ .

(٢) واحة على ضفاف الخليج ، ص ٢٢٥ ، وأيضاً :ساحل الذهب الأسود ، ص ١٧ ، وكذلك : الدولة العثمانية والشرق العربي ص ١٣٧ .

(٣) استيلاء العثمانيين على بغداد سنة ١٥٣٤ م بقيادة السلطان سليمان نفسه ، تاريخ الخليج العربي ص ٨٥ ، لمزيد من المعلومات انظر:ضم العراق وشرق شبه الجزيرة العربية إلى السلطنة العثمانية وهذا الفصل في كتاب الفتح العثماني للأقطار العربية،ص٨٣و٩٤ .

عـامي (٩٢٦ هـ- ٩٧٤ هـ) (١٥١٩ - ١٥٦٦م) [١] بالقطيـفـيين الوافـدين وتسلم رسائلهم ولا شك أنه رد عليها كي يطمئن أهالي القطيف بموقفه السلطاني، ويبدو أنه أوضح لهم استعداداته لتطهير بلاد المسلمين ومنها القطيف من الغزاة البرتغاليين ، وفي أيام السلطان سليمان بن سليم الأول - الذي مات في ٩ / ١٠ / ٩٢٦ هـ وتولى الخلافة بعد أبيه - وصلت الدولة العثمانية أزهى مجدها ورقيها [٢] .

ولم يشر أي من المؤرخين إلى فحوى تلك الرسائل سواء الواردة للسلطان سليمان أو الصادر منه[٣]، لاسيما رده على أبناء القطيف .

القطيفيون يثورون على البرتغاليين سنة ٩٤٤ هـ- ١٥٣٧ م :

بعد أن وضحت الأمور للأتراك من أن للبرتغاليين أعمالاً وحشية ودنيئة ضد المقدسات الإسلامية فقد اتصل العثمانيون بشريف مكة والقوى اليمنية للاتحاد معهم في مواجهة البرتغاليين في مياه المحيط الهندي وقد استجاب السلطان العثماني لنداء استغاثة مسلمي الهند وكذلك وفد أهالي القطيف له في بغداد قبل عامين أي سنة ١٥٣٥ م وكلف والي مصر (سليمان باشا الخادم) بمنازلة البرتغاليين وقام والي مصر بتجهيز أسطول من ثمانين سفينة بقيادته وتمكن من فرض سيطرته على عدن ولكنه لم يتمكن من منازلة البرتغاليين في المياه الهندية بسبب حشد قواتهم لمواجهته ، ومن ثم اتجه إلى الخليج العربي حيث استولى على مسقط وحاصر جزيرة هرمز ، وحث أهل القطيف على الثورة ضد البرتغاليين ،

---

(١) العرب والبرتغال في التاريخ ، ص ٣٣٥ ،وانظر أيضاً :المسألة الشرقية (دراسة وثائقية عن الخلافة الشرقية) ص ٤٧و٤٨ .

(٢) كتاب تركيا ، ص ٤٥ على أنه ذكر وفاته سنة ٩٢٧ هـ ، وانظر في ذلك : تاريخ الدولة العثمانية ص ٣٥ وما بعدها ، وانظر أيضاً تاريخ العالم الإسلامي ج ٢ ، ص ٢٥٢ - ٢٦٥ ، وانظر كذلك : ندوة رأس الخيمة التاريخية ص ١٦٩ وايضاً تاريخ العرب الحديث ص ٢٢ على أنه ذكر أن جيشاً من حلب أنطلق إلى تبريز في أبريل سنة ١٥٣٤ م بينما وصل السلطان إلى هناك في سبتمبر .

(٣) لا شك أنه لو عرفنا من ذلك لسلطنا الضوء على كثير من فحوى تلك الرسائل بل ويفسر لنا كثيراً من الغموض الذي لم يعرف،وانظر :الفتح العثماني للأقطار العربية ،ص ٩٠ .

ونجح في جعل أهل القطيف يطيحون بالبرتغاليين ويسلمون المدينة للعثمانيين [١] وهذا التنازل أفزع البرتغاليين [٢]

العثمانيون يلاحقون البرتغال سنة ٩٤٥ هـ - ١٥٣٨ م :

عكف سليمان باشا على إعداد الحملة وأجرى اتصالات مع الحكام العرب في السواحل اليمنية للدخول في طاعة السلطان العثماني ، ففي يوم ٢٨ يونيه سنة ١٥٣٨ م غادرت الحملة ميناء السويس ومرت بجدة ثم وصلت عدن في ٣ آب سنة ١٥٣٨ م بحثاً عن البرتغاليين ، وفي أثناء وجودهم في عدن أعلن الحاكم عامر بن داود الطاهري ولاءه للسلطنة العثمانية طوعاً وحاول استرضاء سليمان باشا الخادم لتثبيته في الحكم ولكن سليمان شك في نياته، وأمر بشنقه !! وعين الأمير بهرام أحد صنادق الحملة حاكماً على عدن وترك معه حامية عثمانية ، وبعد ذلك اتجهت الحملة إلى ميناء ديو حيث وصلته في أوائل سبتمبر ١٥٣٨ م وفرضت حصاراً عليه [٣] ، ويبدو أن حملة ذلك العام لم تحارب البرتغاليين كما كان مخططاً لها فقد استهدفت القضاء على المماليك والزيود [٤] في إقليم تهامة واليمن وما حولها إذ لم نعرف أنه في ذلك العام كانت مواجهات بحرية مع البرتغاليين سواء في الخليج أو في المحيط ! ! .

الشيخ راشد ينتزع القطيف سنة ٩٤٥ هـ - ١٥٣٨ م :

يرى بعض المؤرخين أن الشيخ راشد بن مغامس انتزع القطيف من الإدارة الهرمزية سنة

---

(١) الخليج العربي (التطور الحديث والمعاصر) ص ٦٣ ، وانظر تفاصيل أخرى على صفحة ١٧ من كتاب : تاريخ العرب الحديث .

(٢) الصراع البرتغالي العثماني في ق ١٦ ، ص ١٩٢ و ١٩٣ ، وانظر أيضاً :تاريخ هجر ، ج ٢، ص ٢٠٨ و ٢٠٩ .

(٣) تاريخ العرب الحديث ، الصفحتان ١٧ و ١٨ ، وانظر بعض التفاصيل في الدولة العثمانية والشرق ص١٣٢ .

(٤) وقد لاحقوهم حتى العام التالي ١٥٣٩ م ، وانظر المرجع السابق ص ١٨ و ١٩ حيث حوربوا حتى سنة ١٥٤٩ م ، وانظر أيضاً المسالة الشرقية (دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية)ص٤٩

٩٤٥ هجرية بعد أن بقيت تحت إمرتهم فترة طويلة نسبياً [١] .

لقد عزز السلطان راشد بن مغامس حكمه في البصرة باعتباره من أقوى حكام المسلمين أي حكم السلطان سليمان القانوني إلى جانب أنه يمكن أن يعمل ما يريد لأنه كما يقال يستند إلى ظهر قوي وهو ما كان يطمح له منذ فترة ألا وهو ضم القطيف والبحرين وهذا يعني أنه يريد السيطرة على شمال الخليج المؤلف من أربع مشيخات (البصرة والأحساء والقطيف والبحرين) . ويرى المؤلف عبد اللطيف الحميدان : [٢]

أن بدر الدين الفالي وزير البحرين ، كان يدرك ما كان يجول برأس السلطان راشد من أفكار وخطط ، وذلك حينما قال في رسالته إلى ملك البرتغال : إن الشيخ راشد يجد نفسه الآن أمام فرصة مواتية للاستيلاء على القطيف ، نظراً لاضطراب أوضاع البرتغاليين في الهند ، إذ ليس بمقدورهم المجيء إلى الخليج للنجدة إضافة إلى أنه يدرك بأن ملك هرمز أعجز من أن يتحرك للوقوف في وجهه ومقاومته .

زحف السلطان راشد من البصرة باتجاه القطيف ، في أواخر سنة ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م وهو يقود جيشاً كبيراً ضم في صفوفه نحو ألفين من رماة البنادق من عرب وروم (ترك) فوجد ترحيباً من سكانها وعلى رأسهم وزيرها ، الذي هو من أمراء الجبور ، ففتحت له أبواب القطيف ، ودخلها دون أدنى مقاومة .

إن الترحيب الذي لقيه السلطان راشد من قبل أهل القطيف ، وحاكمها يعكس دون شك مدى الكراهية التي يكنونها تجاه المتسلطين عليهم من الفرس الفاليين . وقد اعترف حاكم البحرين نفسه بتلك المشاعر وذلك حينما قال : « إن العرب يرون أن من حقهم وحدهم حكم بلادهم » .

---

(١) إمارة آل شبيب في شرق جزيرة العرب ، ص ٤٨ و ٦٦ .

(٢) إمارة آل شبيب في شرق جزيرة العرب ص ٦٧ .

ويمكن أن يضاف هنا إلى أن أهل القطيف وخاصة الفلاحين منهم ، كانوا يعانون الأمرين من ضغط آل صبيح ، إحدى فصائل بني خالد ، وهجماتهم المتكررة على بساتينهم خاصة عند نضج محصول النخيل في منتصف الصيف وجنيه في أواخره ، والذي يتزامن أيضا مع موسم الغوص وصيد الأسماك ، الأمر الذي حملهم على أن ينظروا إلى السلطان راشد الفضلي على أنه الزعيم المؤهل للذود عن حياضهم ، والقضاء على أسباب مخاوفهم من آل صبيح ، ولا سيّما وأنه الآن في عداء شديد مع بني خالد .

ثم إن بني جبر الذين كانوا قد سهلوا للسلطان راشد بن مغامس الفضلي أمر الاستيلاء على الأحساء قبل ما يزيد على عشر سنين ، قاموا الآن بالعمل نفسه تجاه القطيف ، حيث سهلوا له أمر الاستيلاء عليها . ويضيف المؤرخ الحميدان قوله : إن بدر الدين الفالي ، يحمّل أحمد بن راشد المسقطي ، العماني الأصل ، والوزير الأول في مملكة هرمز (٩٤٠ – ٩٤٧ هـ (١٥٣٣ – ١٥٤٠ م) مسؤولية ما آل إليه أمر القطيف، نظراً لقيامه بتعيين وزير عربي عليها ، وعزل الوزير الفارسي عنها ، الذي تعاطف بدوره مع أبناء جلدته وفتح لهم أبوابها، في الوقت الذي كان بإمكانه أن يصمد ويقاوم معتمداً على مناعة أسوارها .

ويبدو واضحاً أن وزير البحرين الفارسي ، أراد استغلال حادثة سقوط القطيف لكي يدافع بشكل غير مباشر عن مدى إخلاص صهره الرئيس شرف الدين الفالي والذي أبعد إلى البرتغال، وليثير بالتالي غضب ملك البرتغال ضد الوزير العربي أحمد المسقطي ، الأمر الذي قد ينتهي بعزله عن منصبه ليفوز به من بعده شخص من أقاربه من الحزب الفالي إضافة إلى أن الرسالة نفسها تطفح بمشاعر التعصب والكراهية السائدة في الخليج بين الزعامتين التجاريتين العربية والفارسية ، والتي كثيراً ما أدت إلى استعداء المستعمر البرتغالي الجشع على بعضهم بعضاً ونزوعهم نحو التنافس على استرضائه ، تحقيقاً لمنافعهم الخاصة البعيدة عن كل القيم والاعتبارات [1] .

(١) إمارة آل شبيب في شرق جزيرة العرب ص ٦٨ .

ويشير الحميدان نقلاً عن الجزيري بقوله : إن السلطان راشد بن مغامس الفضلي قد استحق الآن وليس قبلها لقب سلطان البصرة والأحساء والقطيف » أو « سلطان الشرق » .

ويرى : أن الانتصار السهل الذي أحرزه السلطان راشد في حملته على القطيف ، قد جعله أكثر ثقة بقدراته وأشد اندفاعاً لتحقيق كامل أهدافه وأمنياته ، وعلى رأسها احتلال جزيرة البحرين وضمُّها إلى تاجه ، حيث هي الآن على امتداد بصره وعلى بعد مرمى حجر من القطيف ، لكن البحرين تبدو ، منذ الآن ، وكأنها قد أصبحت صعبة المنال على كل يد تحاول أن تمتد إليها من شاطئ بلاد العرب لكي تعيدها إلى أحضان أمها التي حملت دائماً اسمها « بلاد البحرين » عبر مختلف العصور [١] .

إن السلطان راشد كان عازماً على التوجه نحوها ، بعد إتمام تحصين القطيف ، والذي شرع في تنفيذه ، حيث هدم قلعتها القديمة وباشر ببناء قلعة جديدة في موقع آخر ، وهذا القول إذ ينقله الحميدان عن المؤرخين وهو ما مر بنا ولكن لم يبين أحد موقع هذه القلعة ، فالقطيف كانت فيها قلاع وأبراج كثيرة . لقد حشد السلطان راشد قبالة جزيرة البحرين عدداً كبيراً من قواته في الوقت الذي أرسل لوزيرها بدر الدين الفالي رسالة تهديد مطالباً إياه تسليم الجزيرة منعاً لإراقة الدماء والرحيل بأمواله إلى أية جهة شاء، والا سوف يرغمه على ذلك .لكن الوزير المذكور ردّ عليه ، وكما هو متوقع ، برفض تهديده ، ولوح له في المقابل بما سوف يقوم به ملك البرتغال تجاهه مستقبلاً ، والذي قال عنه : « سوف يهرع لنجدة البحرين حالما تسمح له ظروفه بذلك نظراً إلى أن البحرين ، ليست تابعة لملك هرمز فحسب بل هي تحت حماية ملك البرتغال أيضاً ، وهذا يعني أن النجدة لن تأتي من هرمز فقط بل من مسقط ومن الهند أيضا وهو تحدٍ سافر ودليل في الوقت نفسه على ضعف المقاومة في البحرين .

لقد تفجر صراع دامٍ مفاجئ بين السلطان راشد وزعيم بني خالد أمير البادية بالقطيف في

---

(١) المصدر السابق .

أثناء حصار البحرين دون أن تعرف أسبابه ، إلا أنه قد يكون مرتبطاً باستيلاء راشد على القطيف والذي سيحرم بني خالد من منافعها ، وقد استمر ذلك الصراع فترة من الوقت دون أن يحسم ، فكانت نتيجته أن تبدد جهد السلطان راشد وأنهكت قواه ، وابتعد عن هدفه الذي كان يتطلع إليه . [(١)]

ويضيف الحميدان حول هذا الموضوع : أن بني خالد قد أضاعوا على السلطان راشد فرصة تاريخية ثمينة ربما كان بالإمكان اقتناصها ليصحح وضعاً سياسياً واقتصادياً شاذاً، أضر بالمنطقة نتيجة لاستيلاء الهرمزيين على جزيرة البحرين سنة ٩٢٧ هـ -١٥٢١ م بإسناد من البرتغاليين ، وقد اضطر السلطان راشد أخيراً إلى طي راياته والتوجه جريح النفس صوب البصرة، حاضرة مملكته ولعله كان يحس بدنو أجله ، تاركاً وراءه ولده مانعاً لمعالجة أوضاع الأحساء والقطيف المتوترة» .

الشيخ مانع سلطاناً على الأحساء والقطيف سنة ٩٤٦ هـ - ١٥٣٩ م :

يبدو أن السلطان راشد قد توفي سنة ٩٤٦ هـ - ١٥٣٩ م ،في أثناء عودته إلى البصرة ويرجح الحميدان [(٢)] أن موته كان نتيجة لسقوطه قتيلاً في إحدى معاركه مع بني خالد ، وأن موته كان قد ترك فراغاً ، حيث إن إمارته التي ضمت عدة دويلات ومشيخات امتدت تخومها من شواطئ الفرات شمالاً حتى بلاد البحرين مروراً بشط العرب ، ثم تتجه غرباً نحو بوادي البصرة امتداداً إلى الأحساء ونجد لتصل إلى اليمامة وكانت هذه الإمارة تلف بها الأخطار من كل جانب؛ إذ تحتاج إلى قيادة قادرة على الإمساك بالدفة جيداً ولعل ابنه الشيخ مانع بن راشد هو خير من يقوم بذلك ، خصوصاً أن لديه السند القانوني الذي كان قد منحه إياه سليمان القانوني .

ويرى الحميدان أن الوصول لمثل هذا الطموح الكبير لابد من أخذ الأهبة له وتحقيق بعض

(١) إمارة آل شبيب في شرق جزيرة العرب ، ص ٦٩ .

(٢) ا إمارة آل شبيب في شرق جزيرة العرب ، ص ٧٧ ، وانظر أيضا : تاريخ هجر ، ج ٢ ، ص ١٩٧ .

متطلباته ، ومنها أولاً الاطمئنان قبل كل شيء على أوضاع الأحساء والقطيف اللتين هما قاعدته الاساس قبل أن يغادرهما إلى البصرة . لذا بادر إلى تجميد النزاع بينه وبين حاكم البحرين من جهة وإيقاف الصراع بينه وبين بني خالد من جهة أخرى ، إلا أن الأخبار التي وصلته من البصرة وهو في هذا الموقف كانت مثيرة لقلقه إلى حد كبير ، حيث تضمنت أن خلافة والده قد حسمت لصالح ابن عمه عثمان بن محمد بن مغامس ، إذ ارتضى زعماء المنتفق بأن يكون شيخاً عليهم وأن ينصب سلطاناً على البصرة بمباركة وتأييد من أعيانها[١] ، ويحلل الحميدان المسألة تاريخياً فيقول : إن اختيار الشيخ عثمان بن الشيخ محمد سلطان البصرة السابق ، جاء منسجماً مع المفاهيم القبلية نظراً لكبر سنه ، كما يعني قناعة ذوي الشأن بالبصرة بضرورة تقسيم التركة الواسعة للسلطانين محمد وراشد بين ورثتهم من أبنائهم ، بحيث تكون البصرة لأبناء محمد والأحساء والقطيف لأبناء راشد ، وهو ما كاد يتم في حياة الأخوين محمد وراشد لولا شدة معارضة الشيخ راشد مما حال دون تنفيذه ، إلا أن الأمر عاد من جديد ليواجه الآن ولده مانعاً .

ومن رسالة كتبها وزير البحرين يقول فيها : (إن الشيخ مانعاً كان متغطرساً في مسلكه ومتعالياً في تصرفه ، وهذه الصفات أخذت تبرز بشكل أكثر منذ اتصاله بكبار رجالات الدولة العثمانية في بغداد واسطنبول وأدرنه ، وعلى رأسهم السلطان العثماني سليمان القانوني نفسه حيث قابلهم شخصياً فأجلوّه ورفعوا من شأنه)[٢] .

لقد شغل الشيخ مانع في هذه الفترة بدعم وضعه المالي بعد أن أدرك أنه لن يتمكن من تحقيق طموحاته إلا بالاعتماد على الإمكانات المتاحة في الأحساء والقطيف ، مما يقتضي ترتيب أوضاعها المالية بشكل دقيق .

وهناك وثائق عثمانية ترقى إلى هذه الفترة تحتوي أنظمة تفصيلية للضرائب والرسوم التي

---

(١) إمارة آل شبيب في شرق جزيرة العرب ص ٧٨ .

(٢) إمارة آل شبيب في شرق جزيرة العرب ص ٧٩ .

طبقت في هذه الفترة في منطقة القطيف ، إضافة إلى وثائق أخرى تتضمن بعض الإشارات للوضع المالي في منطقة الأحساء ، والوثائق المشار إليها تتشابه مثيلاتها المطبقة بالبصرة خلال الفترة نفسها ، وهي تشير بالتالي إلى ما كان يطبقه آل شبيب من أنظمة وقوانين في تلك المناطق الخاضعة لسلطتهم ، وتؤكد عنايتهم الشديدة بهذا الجانب ، فنظام الضرائب وتنظيم السوق هو ، دون شك ، تعبير عن نظام دولة ومسار لعلاقات اجتماعية وقد اعتمدها العثمانيون مع تغيير بسيط فيها ، وذلك فور استيلائهم على البصرة والقطيف والأحساء .

ويحلل عبد اللطيف الحميدان الوضع عسكرياً عند الشيخ مانع بقوله : إن من بين القضايا الأخرى التي أعطاها الشيخ مانع جل اهتمامه ايضاً ، هو العمل على حشد الطاقات العسكرية المتاحة في بلاده ، دون الإعلان عما يبتغيه من ذلك . لذا فإنه حاول الاستفادة من دراية أهلها الواسعة بأمور البحر وامتلاكهم أعداداً كبيرة من السفن ، والتي يعمل فيها حشد كبير من البشر في فصول الصيف خاصة حيث مواسم صيد اللؤلؤ والأسماك والنقل التجاري بين موانئ الخليج . لكن تلك التدابير والإجراءات سواء المالية منها أو العسكرية سرعان ما اصطدمت بمعارضة شديدة ، وخلقت استياء واسعاً لدى قطاع هام من السكان خاصة أصحاب المراكب وتجار اللؤلؤ والخيول ، وبما أن العاملين في البحر شأنهم شأن أهل البادية، إن ضامهم ضيم ظعنوا عن ديارهم إلى حيث يجدون سبل العيش والأمان ، ذلك « لأنهم يملكون الأرض ولا تمتلكهم » على حد تعبير أحد شيوخ العرب . لذا فإنهم ما لبثوا أن امتطوا مراكبهم ، وحملوا أمتعتهم وأموالهم وعيالهم وأتباعهم ، ولجأوا إلى البحرين ، وربما لجأ بعضهم إلى أماكن أبعد من مناطق الخليج ، ومن الجدير بالذكر أن صور النزوح والشتات هذه كثيراً ما تكررت لدى سكان الخليج العربي عبر مختلف العصور والأزمان ولأسباب متعددة .

ومن بين هؤلاء النازحين أسر لها ثقلها المالي والاقتصادي الكبيرين ، ليس في بلادها فحسب بل وفي عموم منطقة الخليج . ومن بين هؤلاء مثلا أسرة آل رحال ، ذات الثروة

الكبيرة والجاه العريض والشهرة الواسعة في تجارة اللؤلؤ، وعلى رأسها عميدها محمد بن رحال وحسين بن رحال ، و عشيرة آل مسلم بزعامة شيخها القوي محمد بن سلطان بن مسلم والذي نجد وصفاً قيما له ولعشيرته في وثيقة عثمانية تعود لسنة ٩٦٢ هـ ١٥٥٥ م نستعرض بعض فقراتها [١] :

جاء في الوثيقة : « إن ابن مسلم شيخ لأتباع يقيمون بقطر ويمارسون نشاطهم في التجارة والنقل البحري ، اذ هم جميعاً من البحارة ، حيث يمتلكون زهاء الألف سفينة ما بين كبيرة وصغيرة ، وإن رفاق تلك المنطقة مدينون لنشاطهم هذا » . وتضيف الوثيقة أيضا : « إلى أن آل مسلم وشيخهم محمداً ذوو صلة وثيقة بالأحساء حيث ممتلكاتهم الواسعة هنالك » ولعل هذا النص يفيد أيضا بأن أول نواة سياسية لقطر الحديثة قد قامت على يد آل مسلم ، مما يعني أن كيان قطر سبق في الظهور كيان الكويت بقرنين على وجه التقريب [٢] .

وقد تحدثت الوثيقة المشار إليها عن فرار رعايا الشيخ مانع إلى البحرين ، وعزت ذلك إلى المظالم التي كانوا يتعرضون لها على يدي الأخير ، فكان أن أدى فرارهم إلى وقوع نزاع بين مانع ووزير البحرين، من دون أن تذكر تلك الوثيقة وجود تصميم لدى مانع على غزو البحرين ، وإنما أشارت إلى وجود أمنيات لديه فحسب ، وتضيف الوثيقة :

« . . بعد فرار عرب آل رحال من ظلم شيخ العرب مانع بن راشد والتجائهم إلى البحرين ارتسمت في مخيلة الشيخ مانع فكرة الاستيلاء على البحرين بحجة استعادة سلطته على هؤلاء العرب الفارين ، بعد أن وضعهم محمود وزير البحرين تحت حمايته . لكن شيخ العرب سرعان ما تراجع عن خطته وعدل عن محاربة وزير البحرين بعد أن أدرك أن المصلحة

---

(١) إمارة آل شبيب في شرق جزيرة العرب ، ص ٨٠ ، وانظر أيضاً : تاريخ هجر ، ج ٢ ، ص ١٩٧ ، وانظر كذلك : الوثيقة ع ٤ ، س ٢ ، ٤ / ١٤٠٤ هـ - ص ١٣٤ و ١٣٥ .

(٢) إمارة آل شبيب في شرق جزيرة العرب ، ص ٨١ .

تقتضي ذلك في الوقت الحاضر. لذا فإنه رحل من البحرين وعاد إلى الأحساء دون أن يتم الصلح بين الطرفين »[1] .

ويضيف الحميدان قائلاً : « فالهاجس المسيطر على الشيخ مانع في هذه الأثناء لم يكن البحرين ، بل هو الاستيلاء على البصرة ، إذ قد يكون قد خطط لذلك لكي يفاجئها بهجوم من جهة لا تتوقعه وهو طريق البحر والنهر. ولربما كان توقيته لمثل تلك العملية قد حسب بدقة لكي تحقق نجاحاً في أسلوب المباغتة ، وهو أن يتزامن إبحار سفنه مع دخول أعداد كبيرة من السفن إلى شط العرب لنقل تمور البصرة » .

ويمكن أن يضاف إلى ذلك أن من مزايا تلك الحملة على البحرين - إذا ما نفذت -، هو تحاشيها المقاومة البرية القوية إضافة إلى متاعب الطريق الصحراوي. وعلى وفق هذا التصور فإن الشيخ مانعاً سعى لكي يزج بسفن بلاده في تلك الحملة ، دون الكشف عن نواياه واتجاهاته، الأمر الذي أثار التكهنات حول مقاصده . وبما أن البحرين هي الأقرب إليه ، لذا فإن ورودها كهدف لذلك الحشد هو أمر متوقع ، بل قد يكون الشيخ مانع نفسه هو الذي أشاع ذلك الخبر لإبعاد الأنظار عن هدفه الحقيقي .

الشيخ مانع سلطاناً على البصرة والأحساء والقطيف سنة ٩٤٩ هـ - ١٥٤٢ م :

إن الوقائق والأحداث التي واجهها الشيخ مانع ، تمثل دون شك فشلاً ذريعاً لسياسته ونيّاته، وكان يفترض فيه أن يعيد النظر فيها ، لكنه أدار ظهره وصمم على تنفيذ ما كان قد اعتزمه ، فظعن من القطيف ويمم شطر البصرة ، عله يحظى بالفوز بآماله كافة .

إن حملته التي كان يريد لها أن تكون مباغتة هي التي فقدت ذلك العنصر، فتعرضت لهجوم مباغت جوار البصرة ، مما أدى إلى تمزيقها وإصابة الشيخ مانع نفسه بجروح بليغة حيث لم ينج إلا بشق الأنفس . ومن غرائب الأقدار أنه لم يمض على اندحار الشيخ مانع

---

(١) إمارة آل شبيب في شرق جزيرة العرب ، ص ٨٢ .

وعودته خائباً إلى الأحساء ، سوى فترة قصيرة حتى وافته الأنباء في أواخر سنة ٩٤٩ هـ - ١٥٤٢ م بوفاة الشيخ عثمان بن محمد الفضلي حاكم البصرة وتنصيب ابنه محمد خلفاً له، رغم صغر سنه . فما كان من راشد إلا أن انتفض مجدداً ونسي كل ما عاناه من نكسات وما تحمله من متاعب ، وأخذ في حشد أتباعه ، وتنظيم صفوفهم بصورة أفضل من سابقها، ثم سار بهم يحث الخطا نحو البصرة . وقد حالفه الحظ هذه المرة وفتحت له البصرة أبوابها فور وصوله، فدخلها دون أدنى مقاومة . بل لقي استقبالاً حاراً من أعيانها وكأنهم يقرون بأحقيته في حكمها الآن ، حيث نصب فوراً حاكماً عليها [١] .

نجح الشيخ مانع بن راشد الفضلي في تحقيق حلم طالما راوده وأمضى زهاء ثلاث سنوات وهو يكافح لكي يتوج على البصرة والأحساء والقطيف معاً، مثلما كان والده من قبل . لكن فرح السلطان مانع بفوزه هذا لم يدم طويلاً؛ إذ لم يهنأ بمنصبه الجديد كما كان يأمل. فتوحد إمارة آل شبيب تحت قيادته أثار حسد خصومه في الداخل مثلما أثار مخاوفهم في الخارج ، وعلى الأخص أثرياء الأحساء والقطيف الذين لجؤوا إلى البحرين حيث لم يعد يشغلهم شاغل سوى التفكير بالانتقام منه ، لذا وضعوا كل إمكاناتهم تحت تصرف حاكم البحرين محمود الفالي لكي يلحق الأذى بالشيخ مانع ، الذي اختار أن تكون القطيف هدفاً له فقام بهجوم مباغت استهدف السفن الراسية في القطيف، فأحرق منها ما يقارب المئة والخمسين سفينة ما بين كبيرة وصغيرة [٢] مما ألحق ضرراً كبيراً بأصحابها وبالنشاط التجاري لميناء القطيف .

ومن الطبيعي أن يثير هذا العدوان المبيت ثائرة الشيخ مانع ، ويسارع إلى الرد عليه، فأمر بالاستيلاء فوراً على سفن أهل البحرين الراسية بالبصرة وشط العرب ومصادرة حمولتها [٣]، مما يعني أن ميدان الصراع بين محمود الفالي ومانع الفضلي قد امتد إلى البصرة .

---

(١) إمارة آل شبيب في شرق جزيرة العرب ص ٨٣ (نصاً) .

(٢) انظر تفصيلاً أوفى في موضع آخر من هذا الكتاب ، ضمن أحداث سنة ١٥٢٩م.

(٣) إمارة آل شبيب في شرق جزيرة العرب ، ص ٨٤ .

على أن المهم في الأمر هو أن الإجراءات التي اتخذها الشيخ مانع ضد تجار البحرين لم تقابل فيما يبدو بارتياح في البصرة نفسها، وخاصة بين أوساط تجارها، حيث من المحتمل أن يكون بينهم عدد مؤثر من أصول أحسائية وقطيفية، فرأوا أن تلك التدابير سوف ينتج عنها ضرر بتجارة البصرة نفسها، فضلاً عن أنّ معارضيه استغلّوها واتخذوها ذريعة لإثارة السخط والاستياء ضده [١] .

وتعزو الوثيقة التي نستند إليها بهذا الخصوص سبب الإطاحة بحكم الشيخ مانع إلى تلك التدابير التي كان قد اتخذها بحق تجار البحرين، إلا أن هذا السبب الذي ذكر لا يكفي لتفسير ما وقع للشيخ مانع لاحقاً ، وإنّما التأثير الضار لتلك التدابير على النشاط التجاري بالبصرة وعلى مصالح تجارها بالذات، إضافة إلى أنه يكشف بوضوح عن الثقل السياسي الذي يتمتع به التجار في البصرة ، وخاصة من ذوي الأصول الأحسائية والقطيفية ، والدور الكبير الذي استطاعوا ان يلعبوه في الأوساط المختلفة ، وفي خلق الأجواء التي ساعدت على الإطاحة بحكم الشيخ مانع.

ويقول عبد اللطيف الحميدان : يفترض أن يكون أشد المتربصين بالشيخ مانع ، هم أكثرهم قرباً وطمعاً بالسلطة، مما يحتم أن يكون أبناء عمومته على رأس المتآمرين عليه، وأن أخطاء الشيخ مانع وهفواته ساعدتهم على الاقتراب من مبتغاهم [٢] .

إن المعارضين نجحوا سريعاً في إرغام الشيخ مانع بن راشد على التخلي عن الحكم في البصرة ، وذلك سنة ٩٥١ هـ – ١٥٤٤ م وهو لم يكمل عامه الأول فيه، وأن يقبل اقتسام المملكة مع أبناء عمه ، حيث تكون الأحساء والقطيف من نصيبه، أما البصرة فتكون من نصيب ابن عمه يحيى بن محمد بن مغامس ، والذي تم تنصيبه سلطاناً عليها إثر ذلك ، في حين عاد الشيخ مانع إلى الأحساء [٣].

---

(١) المصدر السابق .

(٢) إمارة آل شبيب في شرق جزيرة العرب ص ٨٥ .

(٣) المصدر السابق (نصاً) من الصفحة نفسها .

ترميم قلعة تاروت في ٦ محرم ٩٥١ هـ - ١٥٤٤ م :

يبدو أن قلعة تاروت أصابها الرمي كثيراً في أثناء القصف من جراء الاحتلال البرتغالي فأثرت القذائف في جدرانها ولاسيَّما وأنها بنيت في القرن الرابع الهجري أيام العيونيين ، ولهذا أعيد ترميم القلعة لأهميتها في المنطقة ولموقعها الفريد وتحصينها الممتاز ، فقد رممها التاروتيون بضغط من البرتغاليين ليتمركزوا فيها في السادس من محرم سنة ٩٥١ هجرية ، وإلى وقت قريب كانت بهيئتها القديمة عدا التاج الذي تساقط خلال العقود الأخيرة ، والترميم الأخير سنة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م حيث بدأ شكلها الجديد، وقد كانت أبراجها ذات جدارين خصوصاً البرج الواقع في الشمال الغربي فقد كان واضحاً للعيان أنه ترميم قديم أو بعيد الأثر .

ويبدو أن القلعة لم ترم منذ ذلك التاريخ حتى وقت،ه أي مضى على ترميمها أربعة قرون ونصف القرن (٤٥٤ سنة) تقريباً ، ولكن هذا ليس شرطاً؛ إذ ليس من المعقول أن تكون الحامية العسكرية التركية الموجودة فيها لم تقم بالترميم خلال أكثر من أربعة قرون، بل إن ذلك لابد أن يكون قد تم فعلاً إلا أننا لم نتوصل إلى الحصول على إرشادات أو شواهد تاريخية أو وثائق تثبت ذلك حالياً [١] .

الشيخ مانع يغامر بالقطيف ويستعين بالبرتغاليين سنة ٩٥١ هـ - ١٥٤٤ م

يرى المؤرخ عبد اللطيف الحميدان أنه لم ينته التآمر على الشيخ مانع عند هذا الحد، بل لاحقه حتى وهو في الأحساء أيضاً ، فما إن تولى ابن عمه يحيى بن محمد الفضلي ، حكم البصرة والذي وصف بأنه متحمس جداً لكسب صداقة البرتغاليين، حتى بادر إلى إعادة سفن البحرينيين المصادرة إلى أصحابها وعوضهم عما فقدوه من مال وأضرار ، وكان مبادرة أمير البصرة الجديد هي رسالة غير مباشرة لحاكم البحرين خاصة وللهرمزيين عامة،

---

(١) من تاريخ جزيرة تاروت ، ص ١٣٥ و ١٣٦ ، ط ١ ، س ١٤١٠ هـ .

يعلن فيها تبرؤ أهل البصرة من أعمال أميرهم السابق الشيخ مانع ، ومن تصرفاته، والذي لا يزال وهو مقيم في الأحساء يمثل خطراً عليهم جميعاً ، مما يستوجب التعاون معه لمحاصرته هناك وفرض عزلة عليه .

وقد فهم حاكم البحرين سريعاً تلك الرسالة، وحرص أمير البصرة الجديد على صداقته، فتجاوب معها وأجرى اتصالاً بهذا الشأن مع قريبه الرئيس ركن الدين بهاء الدين الفالي ، الوزير الأول لمملكة هرمز ، ونقل إليه مخاوفه من احتمال تعرض بلاده للمخاطر نتيجة لعودة الشيخ مانع ، الحاقد عليه إلى الأحساء . وكان طبيعياً أن يتجاوب الرئيس الفالي مع قريبه حاكم البصرة، ولا سيّما أن البحرين نفسها قد غدت في واقع الأمر إقطاعية لأسرة الرؤساء الفالية يتقاسمون منافعها وإيراداتها فيما بينهم ، حيث يمتلكون قسماً كبيراً من نخيلها ويسيطرون على معظم تجارتها ، كما أن الرئيس الفالي نفسه وجد في الخطر الذي يمثله مانع، فرصة لكي يزج بالبرتغاليين في عمل قد ينتهي إلى إضعاف قبضتهم على مملكة هرمز، مما يتيح له الفرصة لكي يتدبر مصالحه ومصالح أسرته وأمر المملكة بعيداً عن ضغوطهم الشديدة [١] .

لقد بادر ركن الدين إلى التداول مع مرتينيو دي ميلو قبطان هرمز ١٥٤١ – ١٥٤٤ م بشأن البحرين ، واقترح عليه إرسال أسطول برتغالي ليرابط هناك أو القيام باحتلال القطيف وبناء قلعة فيها لتكون دعامة لأمن البحرين، لكن دي ميلو رفض ذلك محتجاً بأن الأعباء الكبيرة التي تثقل كاهل حكومته بالهند تحول دون ذلك ، واقترح بدلاً من ذلك أن يقوم وزير البحرين نفسه بتجهيز مثل ذلك الأسطول ، معتمداً على إمكاناته الذاتية وليستخدمه في احتلال القطيف ، والتي سيكون حكمها بعدئذ خالصاً له، و دون أن يطالب بالتزامات مالية تجاه سلطان هرمز وقد تم تبني هذا الاقتراح في هرمز، وبعث كل من سلطانها وقبطانها برسائل إلى حاكم البحرين، كلاً على انفراد، يحثانه على العمل بهذا الاقتراح، لكن الحاكم

---

(١) إمارة آل شبيب في شرق جزيرة العرب ، ص ٩١ .

المذكور محمود الفالي لم يتجاوب مع ما طلب منه، بالرغم من مغرياته المادية وحماس كل من محمد بن الرحال والشيخ محمد بن سلطان بن مسلم لتنفيذه، وذلك بوضع إمكاناتهم المادية الكبيرة تحت تصرفه . ويبدو أن وزير البحرين نظر إلى الأمر من زاوية بعيدة، في ضوء تجارب تاريخية سابقة، وهي ضخامة المخاطر والخسائر الجسيمة التي يتوقع أن يواجهها في القطيف على المدى البعيد، إن لم تكن في حينه ، بل والأكثر من ذلك أن يكون خلف ذلك الاقتراح نيات برتغالية لانتزاع حكم البحرين منه الأمر الذي قد يؤدي إلى زعزعة حكمه إن لم يكن إلى زواله [1] .

والشيخ مانع سلطان الأحساء والقطيف لم يكن غافلاً فيما يبدو عما يدور حوله ويحاك ضده، من أطراف عدة ، فمراهنات هؤلاء الخصوم كانت على القوة البرتغالية ، بعد أن أخذت معظم القيادات في الخليج تتنافس حول كسبهم إلى جانبها ، فما عليه إلا أن يحذو حذوهم ويحمي كيانه ، خاصة أن القوة العثمانية والتي كان يأمل منها الكثير، قد وقفت موقف المتفرج، منه في وقت كان يواجه فيه أصعب المواقف ويتجرع مرارة الهزائم والنكسات ، وإذا ما كان هدف المتآمرين عليه، هو الاستيلاء على القطيف، فإن بإمكانه أن يستخدمها هو نفسه ورقة لخلط أوراقهم وقلب خططهم. بل لقد وصل الأمر إلى أبعد من هذا، وهو استفزاز العثمانيين أنفسهم ودفعهم إلى خضم المعركة في الخليج العربي .

بعث الشيخ مانع الفضلي برسالة مثيرة في شعبان سنة ٩٥١ هـ تشرين الثاني / نوفمبر ١٥٤٤ م إلى لويس فلكاو بريرا قبطان هرمز الجديد ١٥٤٤ – ١٥٤٧ م يعبر فيها عن رغبته في صداقة ملك البرتغال ، وحرصه على توثيقها، واستعداده لتسليم القطيف إليه، على أنه يأمل في المقابل أن يمده ملك البرتغال بالدعم العسكري المؤثر لكي يستطيع استرجاع عرشه الذي اغتصب منه بالبصرة [2]، لقد كان الخطاب المفاجأة غير المتوقعة التي أذهلت

---

(١) إمارة آل شبيب (السابق) ص ٩٢ (نصاً) .

(١) و (٢) إمارة آل شبيب (السابق) ص ٩٣ .

البرتغاليين والعثمانيين والهرمزيين وكذلك أبناء القطيف والأحساء وكذلك أبناء عمه في البصرة ، لقد أثارت تلك الرسالة وما انطوت عليه من أمر غير متوقع تماماً ردود فعل متباينة في هرمز، حيث راوحت بين الحماس لعرضها والتردد في قبولها، ففي الوقت الذي استقبلها الحاكمون في هرمز بفرح غامر، اذ جاءت متطابقة مع تطلعاتهم في استعادة القطيف ، نجد من الجهة الأخرى أن القادة البرتغاليين يصابون بالإرباك الشديد والحيرة؛ فاتفاقياتهم مع ملوك هرمز تلزمهم في الواقع بالدفاع عنها والمحافظة على أراضيها، وتعطي لزعمائها حق طلب تلك المساعدة ، إلا أن هذا الطلب قد جاء في وقت لم يكن في حوزة البرتغاليين سوى قوة عسكرية صغيرة لا يمكن توريطها في مثل هذه المغامرة التي قد تكلفهم الكثير وتعرضهم لمساءلة رؤسائهم في الهند ، إن لم يكن معاقبتهم. لذا فإن قبطان هرمز رأى أن فضل طريق يمكن أن يسلكه للتعامل مع هذا الموقع المحرج هو التريث والمماطلة، ومن هذا المنطلق قام بإرسال مبعوث برتغالي إلى الشيخ مانع حاملاً اليه رد القبطان على رسالته ، إضافة إلى تكليفه بجمع المعلومات العسكرية عن المنطقة . فقام ذلك المبعوث البرتغالي بالتوجه نحو الأحساء وقابل الشيخ مانعاً هناك ، حيث عرض عليه شخصياً الشروط التي يراها القبطان لدعمه عسكرياً من أجل استعادة عرشه ، وكانت تلك الشروط تتلخص في فقرتين أولاهما : ضرورة تسليم القطيف قبل الشروع بتقديم الدعم العسكري المطلوب ، وثانيهما : أن يتعهد الشيخ مانع بدفع مبلغ معين من المال في كل عام إلى خزانة مملكة هرمز ، بعد استعادة عرشه ، ومن الواضح أن الشروط التعجيزية التي تضمنها رد القبطان أريد بها التملص من الموقف الذي وضعه فيه الشيخ مانع عندما بعث إليه بتلك الرسالة ، لأنه يدرك سلفاً أن مانعاً سوف لن يقبل بها ، كما قد يكون القبطان استهدف من إرسال مبعوث برتغالي هو لغرض استكشاف دوافع الشيخ مانع الحقيقية من رسالته تلك ، على أن ما نجهله هو رد الشيخ مانع على تلك الشروط ، لكن من المتوقع أنها اتسمت بالحذر لإخفاء حقيقة ما كان يضمره [١] .

---

(١) إمارة آل شبيب في شرق جزيرة العرب ، ص ٩٤ .

ولعل من المفيد إيراد بعض ما انطوت عليه رسالة القبطان إلى ملك البرتغال، خاصة أن تلك الرسالة لا تزال مخطوطة ، اذ لم تظهر في المجموعات الوثائقية البرتغالية المنشورة وهي مؤرخة في ذي القعدة ٩٥١ هجرية تشرين الثاني / نوفمبر ١٥٤٤ م إذ يقول قبطان هرمز فيها :

« . . . وصلتني قبل بضعة أيام رسالة من ملك الأحساء الشيخ مانع يعبر فيها عن رغبته في صداقة مولاي ، ويبين أنه لم يقم بالاستيلاء على القطيف إلا من أجل تسليمها إليكم ، ويطلب أن يحظى من مولاي بالدعم والمساعدة ضد البصرة لأنه كان ملكها الشرعي ، إلا أنها انتزعت منه بالقوة ، فقمت بالرد على رسالته والتي حملها إليه مبعوث برتغالي، حيث تضمنت الاشتراط عليه بتسليم القطيف قبل كل شيء ، لكونها دوماً تابعة لمملكة هرمز، وإذا ما فعل ذلك عندها سوف ينال مساعدة مولاي ضد ملك البصرة لأنه أحق منه بالملك، ثم إذا تم تحقيق ذلك فعليه الالتزام بدفع مبلغ من المال كل عام لخزينة مولاي، لأن من يدفع لملكنا أكثر سينال صداقته، ولاسيَّما أن جلالته لا يستفيد أبداً الآن من ملك البصرة »[(١)].

وهنا يجدر الانتباه لفقرة أخرى مهمة تضمنتها رسالة القبطان ، اذ تشير إلى حرصه الشديد في الحصول على أكبر قدر ممكن من إيرادات خزينة هرمز، الأمر الذي يقتضي السعي من أجل الحصول على جزء من إيرادات البحرين، فوزيرها لا يدفع شيئاً لخزينة هرمز منذ أكثر من عشر سنوات، بالرغم من عقد اتفاق معه بهذا الخصوص، لذا فمن المحتمل أن رسالة الشيخ مانع قد أوحت له بإمكانية اتخاذ القطيف ، فيما لو استرجعت من الشيخ مانع، كقاعدة يمارس منها الضغط لضمان الحصول بانتظام على جزء من إيرادات البحرين ، بل وحتى إمكانية رفع يد أسرة الفالي عنها ، خصوصاً أن هناك العديد من الأشخاص الذين أبدوا استعدادهم لذلك فيما لو أعطيت لهم وزارة البحرين .

ولكن ما مدى جدية الشيخ مانع في تنفيذ وعده بتسليم القطيف للبرتغاليين ، إنها

---

(١) إمارة آل شبيب في شرق جزيرة العرب ، ص ٩٤ .

مغامرات خطيرة في جو مشحون بالتطاحن ، ولكن يبدو لنا أن الأمر مستبعد جداً ولا يعدو أن يكون الهدف من وراء تحقيقه أمور ثلاثة ، أولاها : منع حاكم البحرين من معاودة التعرض للقطيف في أثناء انشغاله في حملة البصرة المزمع أن يقوم بها بدعم برتغالي ، هذا إذا عاونوه على ذلك ، بل والأكثر من ذلك إثارة مخاوف ذلك الحاكم من أن يهيئ ذلك فرصة للبرتغاليين وملك هرمز من انتزاع البحرين منه .

وثانيها : دق إسفين في العلاقة بين البرتغاليين والشيخ يحيى أمير البصرة ، الذي راهن على صداقته للبرتغاليين وهو أكثر الأمور حساسية له في هذه الفترة .

وثالثها : استفزاز العثمانيين مما قد يدفع بهم إلى الحضور بثقلهم إلى البصرة ، وهو ما سوف يخلق بالتالي وضعاً جديداً في الخليج سيكون الشيخ يحيى هو الخاسر فيه بالتأكيد ، في حين أن القوتين الكبيرتين البرتغالية والعثمانية سوف تتنافسان على كسبه شخصياً إلى جانبهما ، هذا إذا لم ينقلبا عليه؛ فالحرب خدعة .

ولابد أن الشيخ مانع قد فكر في إمكان التنصل من الاتفاق مع البرتغاليين حول تسليمهم القطيف ، مثلما تنصل والده من اتفاقه معهم حول تسليم سفنه إليهم ، قبل ما يزيد على خمسة عشر عاماً [١] .

احتلال الهرمزيين والبرتغاليين للقطيف سنة ٩٥٢ هـ – ١٥٤٥ م [٢] :

لم يمض على الاتصالات التي جرت بين الشيخ مانع بن راشد ولويس فلكاو قبطان هرمز ، سوى فترة قصيرة ، حتى وصلت إلى علم البرتغاليين أخبار مفزعة ، مفادها أن هناك استعدادات عثمانية بحرية واسعة تجري في السويس ربما هدفها إرسال أسطولهم صوب مياه الخليج العربي . ومن الطبيعي أن تثير تلك الأخبار مخاوف البرتغاليين الموجودين في هرمز أكثر من الموجودين في مكان آخر ، إذ لم يكن فيها سوى قوة صغيرة غير قادرة على

(١) إمارة آل شبيب (السابق) ص ٩٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٩٦ .

التصدي لهجوم عثماني كبير متوقع ، لذا فإن لويس فلكاو سارع إلى طلب الإمدادات والدعم العسكري من مرتين دي سوزا Martin Afonso de Sousa حاكم الهند البرتغالية ١٥٤٢ ـ ١٥٤٥ م والذي استجاب سريعاً لهذا الطلب ، فأرسل تعزيزات بحرية يقودها برنالدين دي سوزا Bernaldin de Sousa . وما إن وصلت تلك القوة إلى هرمز في صفر ٩٥٢ هـ ، نيسان / أبريل ١٥٤٥ م حتى أعقبها وصول أخبار أخرى ، مفادها أن الهدف الحقيقي للأسطول العثماني سيكون اليمن وذلك لدعم وجودهم غير المستقر فيها ، وأنه لن يخرج من البحر الأحمر ، عندها تحرر القادة البرتغاليون في هرمز من مخاوفهم ، وهي فرصة للبحث عن غنيمة دسمة كعادتهم باستغلال القوة البحرية التي تحت إمرتهم ، فكان أن طرح عليهم موضوع غزو القطيف والذي يلح عليه دائماً القادة الهرمزيون ، وهنا وجد القادة البرتغاليون من جهتهم ، أن المخاطر المتوقعة من هذا المشروع هي غير كبيرة ، في حين أن مغرياته المادية كثيرة ولا سيّما أن سلطان هرمز ووزيره سوف يمولان الحملة ، لذا فإنهم تحمسوا وحزموا أمرهم على القيام بها .

يتحدث برنالدين سوزا عن هذه القضية في رسالته إلى ملك البرتغال والمؤرخة في ١٥ رمضان ٩٥٢ هجرية ٢٠ تشرين الثاني / نوفمبر ١٥٤٥ م بقوله : أخبرني لويس فلكاو أنه قبل مضي ست سنوات انتزع الشيخ مانع ملك الأحساء ، مدينة القطيف وقلعتها من مملكة هرمز ، وأنه منذ ذلك الوقت وحتى الآن ، يطالب ملك هرمز ووزيره القباطنة السابقين لهرمز، كما يطالبونه أيضاً بتقديم العون اللازم لاسترجاعها وذلك طبقاً لما نحن ملزمون به تجاه كل الأراضي التابعة لملك هرمز ، وليس لقلعة هرمز فحسب ، وإذا ما كان القباطنة السابقون يتملصون باستمرار من هذا الطلب متذرعين بعدم توافر القوة الكافية للذهاب إلى هناك ، فإنه يتعذر عليّ الآن التذرع بمثل هذا الأمر، نظراً لوجود عدد كاف من الجنود تحت إمرتي والذين لم تعد لهم من حاجة ، خاصة أن الأتراك تأكد عدم مجيئهم إلى هنا، فضلاً عن ذلك فإن من الأفيد الذهاب إلى هناك ، لأنه سوف يعطينا اعتباراً ، دون أن يعرضنا لأدنى مغامرة ، بل لا يعدو أن يكون الأمر سوى إشغالٍ لجنودنا ، عوضاً عن إبقائهم خاملين

في هرمز[١] .

ضمت الحملة التي أعدت لغزو القطيف ، كما تذكر الرسالة ، مئتي برتغالي بقيادة سوزا، ونحو سبعة آلاف من الفرس والعرب بقيادة الرئيس نور الدين بن شرف الدين الفالي، وقد غادرت هرمز وتوقفت قليلاً في البحرين ثم رست عند شاطئ القطيف ليلاً، وذلك في شهر رجب من عام ٩٥٢ هـ أيلول ، سبتمر ١٥٤٥ م ، فواجهتها القوة المرابطة هناك ، والتي ربما بالغ المصدر البرتغالي بتقدير عددها بثلاثة آلاف مقاتل ، بمقاومة شديدة بمختلف الأسلحة ، وأوقعت بها خسائر مؤثرة، إلا أن تلك القوة المدافعة اضطرت للانسحاب من المدينة بعد قتال شديد ومنهك استغرق أربعة أيام ، وذلك حينما شعروا بأن المهاجمين أخذوا في التسلل إلى داخلها من خلال الثغرات التي أحدثوها في أجزاء من سورها الحصين بمدفعيتهم الثقيلة .

ويبدو أن ذلك الهجوم كان مباغتاً من جانب المهاجمين ومفاجئاً للشيخ مانع بن راشد والذي ربما كانت اتصالاته الأخيرة مع البرتغاليين قد أثرت فيه، فجعلته يستكين ويطمئن لجانبهم ، لذا فإنه ما إن علم بالأمر حتى حشد قواته على جناح السرعة ، وسارع يحث الخطا نحو القطيف، وحينما علمت القوة البرتغالية باقتراب الشيخ مانع من القطيف وهو يقود قوة كبيرة، سارعت بالانسحاب مخلفة وراءها القوة الهرمزية بقيادة الرئيس نور الدين الفالي وما إن وصل الشيخ مانع بن راشد إلى مشارف القطيف حتى علم بسقوطها بأيدي الغزاة البرتغاليين والهرمزيين [٢] .

وهنا أمامنا موقف مثير للاستغراب والتساؤل حول توقف الشيخ مانع عن مهاجمة القوات الغازية التي احتلت القطيف أو مضايقتها ، حيث كر راجعاً بقواته من حيث أتى، بل الأكثر من ذلك ، أننا لا نعرف فيما إذا كان قد قام فيما بعد ، بعمل عسكري ضدهم .

---

(١) إمارة آل شبيب (السابق) ص ٩٧ .

(٢) إمارة آل شبيب في شرق جزيرة العرب، ص ٩٧ و ٩٨ .

ويحلل المؤرخ عبد اللطيف الحميدان بقوله :

إن هناك تفسيرين محتملين لهذا الموقف ، أولهما : إصابة الشيخ مانع بمرض اشتد عليه وجعله يشعر بدنو أجله وهو عند مشارف القطيف ، فشغل بنفسه مثلما شغل أتباعه عن أي أمر آخر، فعاد أدراجه إلى الأحساء حيث فارق الحياة بعد فترة قصيرة ، ولعل مما يؤيد ذلك هو أننا لم نعد نجد للشيخ مانع من ذكر أبداً بعد هذا الحدث .

وثانيهما : أن الشيخ مانع ، ربما وجد نفسه في أثناء ذلك ، أنه يقترب من تحقيق تطلعاته في إيجاد فرصة للتعاون مع البرتغاليين، وما عليه سوى التريث قليلاً والامتناع عن القيام بمهاجمة القوة الغازية ومحاولة انتزاع القطيف من أياديها بالقوة، إذ هي العقبة التي كانت تحول دون ذلك التعاون ، لذا فإنه بقي يتوقع مفاتحة قبطان هرمز له في موضوع انتزاع البصرة من الشيخ يحيى الفضلي ، تنفيذاً للشروط التي سبق ذكرها، لكنه توفي ، فيما يبدو دون أن يرى أثراً لما توقعه،وعلى أي حال فإن الهرامزة والبرتغاليين ساروا منذ البداية في تنفيذ خططهم دون اكتراث بالشيخ مانع. فقد قام الرئيس نور الدين الفالي بتنصيب حاكم فارسي على القطيف ، ووضع قوة عسكرية في قلعتها [١] ، في حين قام لويس فلكاو بنقل تقرير عن أحداث القطيف إلى دي كاسترو نائب ملك البرتغال الجديد في الهند ١٥٤٥ – ١٥٤٨ م حيث تضمن اقتراحاً بتحويل القطيف إلى قبطانية ، أي وحدة إدارية برتغالية مستقلة بشؤونها ، أي على قدم المساواة مع مثيلتها قبطانية هرمز [٢] .

ويرى الحميدان : أن اقتراح فلكاو (فلكان) هذا يؤيد ما ذهب إليه ، من أن قبطان هرمز قد تولدت لديه فكرة انتزاع البحرين وإعطائه القطيف بدلاً عنها ، أو أن يتخذ من القطيف قاعدة يمارس منها الضغط على حاكم البحرين لكي يسدد ما هو مقرر في كل عام جزء من إيراداته لخزانة هرمز ، إضافة إلى اتخاذ القطيف قاعدة لتوفير الحماية العسكرية

---

(١) إمارة آل شبيب في شرق جزيرة العرب ، ص ٩٩ ، ولم نعرف عدّة عدد او مدى تلك القوة .

(٢) المصدر السابق، الصفحة ذاتها.

للجزيرة، إلا أن رفض نائب الملك لذلك الاقتراح قد أفشل نيات وخطط قبطان هرمز ، فنائب الملك كان لديه تصور آخر ، ورد عليه بأنه من الأجدى للبرتغاليين أن تقتصر قلاعهم على عدد محدود جداً ، تتركز فيها قوتهم القليلة وتوفر لهم النفقات الباهظة بدلاً من نشرها في مناطق واسعة وتحمل الكثير من الأعباء والتكاليف ، كما أن القطيف من الجهة الأخرى هي مجاورة للبصرة وأراضي الدولة العثمانية ، ووجود البرتغاليين فيها سوف يستفزهم ، مما يقتضي أن تكون القوة البرتغالية في حالة استنفار دائم خشية وقوع هجوم عثماني مباغت عليها . إن الأحداث اللاحقة سوف تثبت بأن دي كاسترو لم يكن موفقاً فيما ذهب إليه ، بل إن سياسته نفسها هي التي استفزت العثمانيين ، وذلك حين فرض حصاراً تجارياً على البصرة إثر استيلائهم عليها ، الأمر الذي دفع بالعثمانيين إلى العمل على فك الخناق عن البصرة ، فكان أن احتلوا القطيف وهددوا البحرين مما أثار مخاوف شديدة ومستمرة لدى البرتغاليين في الخليج وجعلهم في حالة استنفار دائم [(١)] .

الاحتلال الثاني

الهجوم البرتغالي على القطيف واحتلالها (٢) سنة ٩٥٢ هـ - ١٥٤٥ م :

أعد برنالدين دي سوزا تقريراً عن هذا الهجوم بتاريخ ٢٠ / ١١ / ١٥٤٥ م وهو أحد قواد الأسطول البرتغالي بالهند الذي جاء إلى هرمز لحمايتها من هجوم تركي كان متوقعاً، وبما أن ذلك لم يتم فإن قبطان هرمز أخبره كيف أن ملك الأحساء (مانع) استولى على قلعة ومدينة القطيف سنة ١٥٣٩ م والتي كانت تدين بالولاء لملك هرمز وهذا الأمر دفعه إلى أن يطلب من البرتغاليين إرجاعها إليه وبإلحاح شديد وقد برر دي سوزا عدة أعذار لملك هرمز بعدم المقدرة على إعادة القطيف إلى كيانه ، إلا إن قلة إمكانيات البرتغاليين كانت تحول دون

---

(١) إمارة آل شبيب (السابق) ص ٩٩ .

(٢) الوثيقة ، ع ٤ ، س ٢ ، ٤/١٤٠٤ هـ - ١/١٩٨٤ م ، ص ١٢٦-١٢٧ .

تحقيق تلك الرغبة بينما ملك هرمز تعهد بتحمل المصاريف كافة لهذا الهجوم وبعد مداولة الأمر جهز البرتغاليون حملة قوامها ٢٠٠ جندي برتغالي و ٧٠٠٠ جندي من العرب والفرس بأمر من ملك هرمز ، وبعد أن استراح الأسطول في البحرين تم الهجوم على القطيف وقد كان على رأسهم الرئيس نور الدين ابن الرئيس شرف وهو من أهم الشخصيات وقد كان فيها ذلك العام ٣٠٠٠ – ٤٠٠٠ محارب ، ورغم كثافة القصف لم تستطع المدفعية إلا إسقاط قسم صغير جداً من السور، استغله البرتغاليون لاقتحام المدينة حيث سلمت لملك هرمز في ذلك العام .

وكان برنالدين دي سوزا يتحدث عن وجوده في البحرين وأنه بعيدٌ عن القطيف بمسافة تسع لغوات ثم يقول في تقريره (ما يهمنا هنا فقط) : [١]

(وفور جمع كل ما كان ضرورياً ، انطلقت من جديد ، وفي اليوم التالي اقتحمنا الميناء الذي دخلناه خلال الليل ، ووطئت أقدامنا الأرض قبل الفجر، فكان في انتظارنا ثلاثة آلاف (٣٠٠٠) أو أربعة آلاف (٤٠٠٠) محارب كانوا بالمدينة قتلوا لنا نحو ثلاثين أو أربعين فارسياً من فرقتي وبرتغاليين اثنين، وقتلنا لهم بدورنا عدداً أكبر مما أرغمهم على الابتعاد عن المدينة التي كان باقي سكانها قد فروا عنها ، وبما أن اليابسة أضحت آمنة ، فإننا أنزلنا المدفعية التي شرعت فور ذلك في قذف الأسوار في قسم لم يكن يتوفر على خندق . وهكذا قصفناه خلال أربعة أيام ، أي أكثر ما يمكن للمدفعية أن تتحمله ، وبما أننا لم نتمكن إلا من إسقاط قسم منه على علو يسمح باستعمال السلالم ، فإنني قررت اقتحام المدينة قبل إسقاط قسم أكبر لمناعة تلك الأسوار ، ولكون ذلك يتطلب أياماً أخرى ، خصوصاً بعد أن علمت أن الملك نفسه قادم للدفاع عنها لأنه كان بالأحساء التي تبعد عن القطيف مسيرة ثلاثة أيام ، وأنه كان على رأس ١٤٠٠٠ أو ١٥٠٠٠ محارب وعدد كبير من الفرسان وضاربي البنادق ، هذا فضلاً عما سببته لنا مدفعية وبنادق القلعة من متاعب،

---

(١) العرب والبرتغال في التاريخ ، ص٣٢٨ .

وكذا حالات الاستنفار التي كانت تعلن باستمرار بسبب هجمات أولئك الـ ٣٠٠٠ أو ٤٠٠٠ محارب الذين اصطدمنا معهم وقت إنزال جنودنا ، الأمر الذي أتعب محاربينا كثيراً وخصوصاً الفرس منهم الذين لم يكونوا متعودين على مثل هذا المجهود .

ورغم ما يمثله دخول المدينة اعتماداً على السلالم من خطورة ، فإنني فضلته كثيراً على البقاء في انتظار هجمات أخرى ، إلا أنهم ما إن علموا باستعدادنا لنصب تلك السلالم حتى شرعوا ابتداء من منتصف الليل في إخلائها ، وأعترف لجلالتكم أن ذلك أحدث فرحاً كبيراً في المحلة ، ولكي يحول البرتغاليون دون فرار أكثرهم تسلقوا الأسوار خلال الليل وقتلوا بعضهم وأسروا أعداداً أكبر ، الأمر الذي أدهش المسلمين المرافقين لنا أكثر مما أدهش الأعداء الخائفين لكونهم لم يكونوا متعودين على اقتحام القلاع في مثل ذلك الظلام .

وفور ذلك علمت خلال اليوم التالي أن الشيخ مانع وصل إلى محل يبعد عن القلعة مسافة (لغوتين) على رأس الجيش الذي هب به للدفاع عن المدينة، وأنه حسب ما قيل لي، ما إن علم بسقوطها حتى عاد من حيث أتى ولم يصلنا منه أي أذى ، وبعد تحطيم ما استطعت تحطيمه من القلعة سلمتها للرئيس نور الدين على الشكل الذي سلمت لهم باقي قلاع مملكة هرمز ، وتوجهت نحو هرمز لقرب الوقت الذي يجب عليّ فيه الالتحاق بالهند .

وبما أن كل الذين رافقوني عادوا سالمين عدا اثنين قتلا ، وآخر توفي بسبب المرض ، فإن عناية الإله أحاطتنا لأن أرض البحرين غير صحية كما سبق لجلالتكم معرفة ذلك من خلال موت الجنود الذين رافقوا (سيمون كونها) ولأن البحرين لا توفر للقطيف في هذا الباب أي امتياز حتى لو توافرت لها شدة الخضرة وكثافة الغطاء النباتي أو أية صفات تجعلها أحسن مكان في العالم .

ويضيف برنالدين دي سوزا في آخر الخطاب قوله :

أسهم إلى جانبي في هذه الأعمال جورج دي سوزا وقدم لجلالتكم فيها خدماته ، وكونه

أخي لا يمنعني من القول إنه صالح جداً لخدمة جلالتكم في كل الأعمال والمخاطر، وعلى جلالتكم أن تصدقني في هذا لأنه أخي ولو كان لي أكثر من أخ ، فإني وفي حالة ما إذا لم أكن متأكداً من كونه كذلك فلن أقول عنه هذا؛ لأن المرء غير ملزم به إزاء أبيه أو أمه ، إلى آخر الرسالة التي كتبها في (كو) في ٢٠ نوفمبر سنة ١٥٤٥ م [١] .

فرار راشد من البصرة إلى الأحساء سنة ٩٥٣ هـ - ١٥٤٦ م :

لقد كانت ولاية البصرة تتعرض باستمرار للغارات الفارسية ولهجمات قبائل البدو فكان من الصعب تثبيت الحكم العثماني فيها فبعد الفتح الذي حالف الأتراك في العراق ثارت القبائل العربية في البصرة على الحكم العثماني ، وانضم إليها حاكمها راشد بن مغامس وعلى إثر ذلك قاد والي بغداد إياس باشا حملة على البصرة سنة ١٥٤٦ م ، والقصد من هذه الحملة هو إخضاع البصرة للحكم العثماني كما تريده السلطنة لأن الحملة كانت بأمر من السلطان فتداعت أمام هذه الحملة قوة راشد بن مغامس وفر إلى الأحساء وأصبح مكانه إياس باشا وهو أول وال عثماني على البصرة ، ومع ذلك فلأكثر من مرة يتبادل الحكم في البصرة ولاة عثمانيون وشيوخ المنتفق وشيوخ الحويزة وانتهى الأمر بأن باعها واليها لكاتب الجند (أفراسياب) مقابل مبلغ من المال تسلمه منه والي البصرة وتولى الحكم فيها سنة ١٥٩٦ م مع خضوعه للتبعية للدولة العثمانية [٢].

وبحكم راشد للمنطقة زال حكم الجبور من البحرين والقطيف والأحساء ويبدو أن هناك قوة بحرية برتغالية بقيادة الضابط تافاريز دي سوزا في مدينة البصرة لحماية الأمير راشد [٣]، ولكن بعد أن فر إلى الأحساء واستقل بحكمها انقلب على البرتغاليين .

---

(١) انظر : العرب والبرتغال في التاريخ ، الصفحات ٤٠٨ و ٤٠٩ و ٤١٠ و ٤١١ .

(٢) تاريخ العرب الحديث ، الصفحات ٢٣ و ٢٤ ، وايضا : علاقة ساحل عمان ببريطانيا ص ٣٥ .

(٣) العرب والبرتغال في التاريخ ، ص ٣٢٨ .

القطيف والأحساء تحت حكم راشد سنتي ٤٧ و١٥٤٨ م :

تشير بعض المصادر إلى أن الأتراك سيطروا على (الحصن البرتغالي !!) في القطيف سنة ١٥٤٧ م حيث إن لهذا الحصن أهمية بالغة في السيطرة على مناطق الخليج وخاصة الساحلية [١] . وحول تدمير حصن القطيف يشير د . عبد العزيز عبد الغني بقوله : أرسل البرتغاليون لراشد حملة هاجمت ميناء القطيف وأصلته بالمدافع قذفاً وخطت طريقها إلى البصرة [٢]

الاحتلال الثالث

حملة نورونها إلى القطيف سنة ٩٥٦ / ٩٥٧ هـ - ١٥٤٩/ ١٥٥٠ م :

تسلّم حاكم الهند البرتغالي : دوم أفونسو دي نورونها رسالة سنة ١٥٤٩م من شيخ البصرة الذي يطلب مساعدته كما وصلته في السنة نفسها رسالة مماثلة من الأمير علي بن حسين الطوالقي وهو أحد أمراء اليمن الذي تمكن من الدخول إلى عدن وطرد الحامية التركية الموجودة هناك منها ، وفي الرسالة يطلب مساعدته لتثبيت ملكه ، وفي هذه الفترة تواترت الأنباء حول أن الأتراك يحشدون حشداً عظيماً لمقاتلة البرتغاليين في الخليج والبحر العربي لذلك فقد قرر حاكم الهند البرتغالي أفونسو دي نورونها أن يجهز حملتين عسكريتين، واحدة تذهب إلى اليمن والثانية إلى الخليج وبالذات إلى القطيف وكانت حملة اليمن بقيادة : لويس فاغوريا الذي التقى بسفن عربية تعود إلى أهالي منطقة ظفار في عمان حيث اشتبكت معه وقاتلته وأوقعت هزيمة بسفنه فهرب من المعركة إلى الحبشة ، أما الحملة التي توجهت إلى القطيف فكانت بقيادة ابن أخيه (أي ابن أخ حاكم الهند

---

(١) تاريخ الخليج العربي ، ص ٨٥ .

(٢) علاقة ساحل عمان ببريطانيا ، ص ٣٥ .

البرتغالي) واسمه دوم انطونيو دي نورونها ومعه شرف الدين رئيس هرمز وأمير موغستان وحملته تتكون من ١٩ سفينة [١] تحمل ١٢٠٠ جندي برتغالي وعندما وصلت إلى هرمز قام الحاكم الهرمزي بتزويدها بـ ٣٠٠٠ مقاتل هرمزي ولم تبين الوثائق أو المصادر كم عدد السفن التي زود الحملة بها حاكم هرمز لكنه يعني أن الجنود أصبحوا ٤٢٠٠ مقاتلاً توجهوا إلى القطيف وكانت حامية القطيف التركية مكونة من ٤٠٠ رجل فقط وقد قاتلوا بشجاعة عالية وقتلوا ٤٠ برتغالياً [٢]، إلا أن الحصن استسلم في اليوم الثاني وتم دكه وتهديمه حتى لا يقاوم أهالي القطيف أي غاز آخر بما فيهم البرتغاليين وهو أسلوب عرف عن الغزاة البرتغاليين في جميع سلطنات الخليج [٣]، وتقول المصادر التركية إنه استسلم بعد ثمانية أيام وهو الصواب حيث إن البرتغاليين يزيفون الحقائق دائماً ويجعلون الأمور إلى جانبهم أو في صالحهم ، وليس من المعقول أن يتم ذلك خلال يوم وليلة [٤] ثم أصدر نورونها أوامره إلى سفنه بالتوجه إلى البصرة [٥] . وهذا يعني أنه عين حاكماً عسكرياً ترافقه هيئة عسكرية وتجارية تشرف على القطيف وخاصة ميناءها ، والحاكم لابد أن يكون برتغالياً، ولم تذكر المصادر اسمه .

بينما هرب القائد العثماني في القطيف يومها (مراد بك) إلى العراق [٦] ولم تشر

---

(١) صفحات من تاريخ الاحساء ، ص ٢٣٨ ، وانظر تفاصيل أخرى في كتاب الخليج العربي التطور الحديث والمعاصر ص ٦٧ وانظر أيضاً : علاقة ساحل عمان ببريطانيا ص ٣٦،وانظر أيضاً ايران وعلاقتها الخارجية في العصر الصفوي ،ص١٨ .

(٢) لم تبين المصادر كم كان عدد من هلك بالنسبة إلى العثمانيين أو أهالي القطيف ، إلا انهم أجهزوا على من سلم بعد دخولهم وهذه إحدى المجازر البشعة التي أحدثها البرتغاليون في القطيف .

(٣) ساحل الذهب الأسود ، ص ١٧٣ ، وانظر أيضاً : الصراع البرتغالي العثماني في القرن ١٦، ص ١٩٣ ، بينما تنقل بعض المراجع عن العثمانيين وتذكر ان الحصار استمر ٨ أيام ، وانظر في ذلك : علاقة ساحل عمان ببريطانيا ص ٣٦ .

(٤) الشعوب الإسلامية ، ص ١٤٢ ، وانظر أيضاً : دولة اليعاربة ص ٥١ .

(٥) الوثيقة ع ١٧ ، س ٩ ، ١٢ / ١٤١٠ هـ ، ص ٣٤ ذ ٣٥ ، وانظر: العرب والبرتغال في التاريخ ص ٣٨٧ .

(٦) العرب والبرتغال في التاريخ ص ٣٨٧ ، وايضا : تاريخ هجر ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ .

المصادر إلى من غادر معه وكم كان عددهم ، وفي هذه الفترة التاريخية كانت محاولات العثمانيين مستميتة ضد البرتغاليين ، إلا أن جهودهم حتى تلك الفترة لم تتجاوز سيطرتهم على الساحل الممتد من البصرة إلى القطيف تقريباً ، لذلك فقد صدرت أوامر الباب العالي إلى القائد التركي مراد بك الذي فر من القطيف وخسر المعركة ضد أنطونيو دي نورونها بالتوجه إلى البصرة براً ، وكان متلهفاً لمقاتلة البرتغاليين ثانية؛ انتقاماً لفشله كما مر في أحداث هذا العام ١٥٥٠ م وكان الأسطول العثماني الموجود في البصرة مكوناً من خمس عشرة سفينة خرج بها من البصرة إلى مياه الخليج وقد عرفت بذلك السلطات البرتغالية ، فأرسلت القائد دون دبيكو دي نورنها لمقاتلته ، فالتقى الأسطولان قرب السواحل الفارسية واشتبكا بمعركة عنيفة ، وخلال قتالهما هبت عاصفة بحرية بدّدت شمل الأسطول البرتغالي ، وأوشكت إحدى سفنه أن تقع فريسة للقوات العثمانية ، لذلك فقد قرر القائدان العثماني والبرتغالي العودة إلى قواعدهما[1] . لم تقنع السلطات العثمانية بما حدث واعتبرت أن ما دار كان إخفاقاً للعثمانيين لأن مراد بك لم ينزل هزيمة بالبرتغاليين ، لذلك فقد قرر إسناد المهمة إلى (سيدي علي ريس) ويدعى أيضاً (سيدي علي شلبي) بينما اسمه الحقيقي : علي بن حسين وهو أحد أبطال البحرية التركية ومن ضباط القائد الشهير (برباروس خير الدين) ، وقد اشتهر عندما ألحق هزائم بفرسان القديس يوحنا الذين اتخذوا من (رودس) قواعد لمقاتلة الأسطول التركي في البحر الأبيض المتوسط[2] .

الأسطول البحري لوالي مصر

يصل قطر ويزحف براً إلى القطيف سنة ٩٥٧هـ - ١٥٥٠ م :

في عام ٩٤٣ هـ - ١٥٣٧ م استنجد حاكم دلهي في الهند بالسلطان سليمان القانوني لتطهير ثغور الهند من البرتغاليين فأصدر السلطان سليمان أوامره إلى واليه في مصر

(١) العرب والبرتغال ، ٣٩٠ وأيضاً: الصراع البرتغالي العثماني في ق١٦ ، ص ص١٩٣و ١٩٤ .

(٢) لمزيد من المعلومات ومعرفة الأحداث ، انظر: العرب والبرتغال في التاريخ، ص٣٩١ و٣٩٢.

سليمان باشا ببناء أسطول في حوض البحر الأحمر[١] ، وفعلاً، أبحر الأسطول الضخم في سنة ٩٥٧ هـ - ١٥٥٠ م والذي يتألف من سبعين سفينة مجهزة بالمدافع وتقل فرقة عسكرية تتكون من عشرين ألف مقاتل[٢] فاحتل عدن واليمن وعمان وسقطت في يده أغلب القلاع التي كان البرتغاليون يحتلونها ثم دخل الخليج فحاصر جزيرة هرمز الحصينة التي تعتبر قاعدة البرتغاليين ، فلم يستطع فتحها ثم انسحب منها إلى قطر فاحتلها وواصل زحفه براً إلى القطيف وحين وصلها قام أهل القطيف كما يقول (ويلسون) بطرد البرتغاليين من البلاد واستولوا على القلاع والحصون[٣] . ويتحدث السير أرنولد ويلسون[٤] قائلاً : إن الأتراك بدأوا يتطلعون إلى الخليج في منتصف القرن السادس عشر فحدثت بينهم وبين البرتغاليين معارك عديدة ، وقد قام أهل القطيف بتطهير البلاد من الاستعمار البرتغالي واستخلصوا القلاع والحصون وسلموها إلى الأتراك سنة ٩٥٧ هـ - ١٥٥٠م حيث عينوا لهم حاكماً في البصرة وقد كانت ثورة كبيرة لأنَّ معنويات أهالي القطيف العالية دفعت المقاومة للنجاح إثر سيطرة العثمانيين على البصرة[٥] .

العثمانيون يقصون آل شبيب عن القطيف والأحساء سنة ٩٥٧ هـ - ١٥٥٠م

بحث العثمانيون عن وسائل وطرق تؤدي إلى تعزيز موقفهم الدفاعي، بل وممارسة الضغط على البرتغاليين لرفع حصارهم التجاري عن البصرة، ومن المحتمل جداً أنهم وجدوا ذلك في حكام الأحساء من آل شبيب الذين أبدوا استعداداً لدعمهم ومؤازرتهم منذ وصولهم إلى البصرة ، ويبدو أن الشيخ عبد الله (عبيد الله) بن مانع الفضلي ، الذي خلف والده في

---

(١) القطيف واحة على ضفاف الخليج ص ٢٢٥ .

(٢) الخليج الفارسي ص ١٢٥ و ١٢٦ ، والشعوب الإسلامية ،ص١٤٢ ،وقد ذكر انهم ١٦ الفاً فقط

(٣) الشعوب الإسلامية ، ص ١٤٢ .

(٤) إمارة آل شبيب في شرق جزيرة العرب ص ١٠٩ ، وانظر أيضاً : تاريخ الخليج العربي ص ٨٥ ، وانظر كذلك: دولة اليعاربة ص ٣٧ .

(٥) الشعوب الإسلامية (المرجع السابق)، ص ١٤٢ .

حكم الأحساء، كان قد أجرى حواراً مباشراً مع بلال محمد باشا ، أول ولاة العثمانيين بالبصرة ٩٥٣/ ٩٥٦ هـ - ١٥٤٧/ ١٥٤٩ م ، حول سبل التعاون بينهما ، ولا يستبعد أن يكون موضوع استرجاع القطيف أحد الموضوعات التي تناولها الطرفان والتقت أهدافهما حول أهمية تحقيقها، كما يرى المؤرخ الحميدان [١] .

ويتضح من رسالة مانوئيل دي ليما ، قبطان هرمز ١٥٤٧ - ١٥٥١ م ، المؤرخة في جمادى الثانية سنة ٩٥٤ هـ ، حزيران ١٥٤٧ م إلى دي كاسترو ، نائب ملك البرتغال في الهند ، بأن هذا هو ما تم بينهما فعلاً ، فقد حصل دي ليما على معلومات تتعلق بأوضاع العثمانيين بالبصرة من الحاج فياض العقيراوي او (العجيراوي) أحد كبار تجار البصرة . الذي قال له : إن محمد باشا قرر الاستيلاء على القطيف وتسليم حكمها لأمير عربي، والمقصود به هو الشيخ عبد الله (عبيد الله) بن مانع بعينه . على أن ما نقل على لسان الحاج فياض العقيراوي ، يجب ألا يفهم على أنه أمر قد تم تنفيذه فعلاً ، بل لا يعدو الأمر سوى كونه خططاً ونوايا لم يقدر لها أن ترى النور إلا بعد مضي ثلاث سنوات على ذلك التاريخ ، أي في ولاية قباد باشا آل رمضان على البصرة بين عامي ٩٥٦ - ٩٦١ هـ / ١٥٤٩ - ١٥٥٤ م، الذي كان ثاني ولاتها من الأتراك .

إن تعيين قباد باشا والياً على البصرة يمكن أن يفسر على أنه اهتمام خاص بها من قبل قادة إسطنبول حيث كانوا يخططون لانطلاقة أساطيلهم منها ، إلى الخليج. فالوالي الجديد يحمل معه تطلعات العثمانيين وخططهم في الخليج العربي، ومن بينها الاستيلاء على القطيف وبسط نفوذهم على الأحساء . فكان أن بُوشِر أولاً بتنفيذ خطة للاستيلاء على القطيف والتي نفذت في أواخر سنة ٩٥٧ هـ - ١٥٥٠ م حيث تضمنت بأن يتولى الشيخ عبد الله بن مانع أمير الأحساء مهاجمتها ومحاصرتها براً ، في حين يقوم العثمانيون بإمداده برماة البنادق وإسناده بقوة بحرية ، وقد تكللت تلك الخطة بنجاح غير متوقع ، نظراً لقيام

---

(١) إمارة آل شبيب (السابق) ص ١١١ .

وزير القطيف بتسليمها إلى المهاجمين دون أدنى مقاومة، وقد أعقب ذلك قيام الرئيس مراد قائد القوة البحرية العثمانية ، بتولي مقاليد السلطة في المدينة مباشرة. إن تصرف الرئيس مراد يعني تجاهلاً للشيخ عبد الله (عبيد الله) بن مانع الفضلي وأحقيته في حكم القطيف، ولاسيَّما وأنه بذل جهداً كبيراً ورئيساً من أجل الاستيلاء عليها ، إضافة إلى تجاهله للاتفاق المبرم بينه وبين والي البصرة السابق بلال محمد باشا، كما يفهم من أقوال فياض العقيراوي السابقة ، والتي تتضمن تسليم القطيف إليه.[1]

إن استحواذ الرئيس مراد على السلطة في القطيف بهذه الصورة والذي اعتمد ، فيما يبدو على دعم قبلي (الجبور وبني خالد) قد ولد استياء شديداً لدى الشيخ عبد الله بن مانع الفضلي، خاصة بعد أن أدرك أن تصرف مراد هذا ما هو إلا أمر (قد بيت بليل) وأن الآمال العريضة التي كان قد علقها على العثمانيين لمساعدته في استرجاع ملكه في القطيف، ما هي سوى أضغاث أحلام ، فكان طبيعياً أن ينسحب إلى الأحساء بقواته ويقطع صلاته بهم .

وهذا التوسع العثماني جعلهم يقتربون من معقل البرتغاليين الرئيس في هرمز ويجاورون جزيرة البحرين الغنية باللؤلؤ ، والتي سوف تكون هدفهم القادم [2].

إن ما حدث أفزع كلاً من البرتغاليين والهرمزيين على حد سواء ، وحفزهم للتصدي له ، لذا فإنهم سرعان ما قاموا بحملة عسكرية مشتركة في أواخر صيف ٩٥٨هـ- ١٥٥١ م ، التي نجحت في انتزاع القطيف من أيدي العثمانيين[3] الذين اضطروا للانسحاب منها متروكة تواجه مصيرها وحدها، لكن الغزاة أدركوا سريعاً صعوبة الاحتفاظ بها بعد أن رأوا بوادر المقاومة العربية بارزة للعيان، ولعل قيام شيخ قبيلة بني جبر ، الذي تصفه المصادر

---

(١) الفتح العثماني للأقطار العربية، ص٩٢ ، حيث ذكر مؤلفه نيقولاي إيفانوف تفصيلاً عن تفجير قلعة القطيف.

(٢) إمارة آل شبيب في شرق جزيرة العرب ص١١١

(٣) تاريخ الخليج العربي ص ٨٦ .

البرتغالية بأنه كان مشهوراً بشجاعته ، بحشد أتباعه استعداداً للقيام بهجوم معاكس ، هو إنذار بما سيواجههم مستقبلاً من متاعب وصعوبات، ليس في القطيف فحسب ، بل في مناطق أخرى من الخليج ، حيث لمسوا أن مشاعر سكانها متوجهة نحو العثمانيين ومعادية لهم .

وقد عبر الفونسو دي البوكيرك أحد كبار موظفي حكومة الهند، في رسالته المؤرخة في شهر كانون الثاني (يناير) ١٥٥٢ م عن مناخ الكراهية الشديدة السائدة في الخليج تجاه الوجود البرتغالي، بقوله (. . إن الطغيان الذي مارسه قباطنة هرمز ضد ملوك البلدان المطلة على الخليج ، وكذلك ضد زعماء المسلمين فيه ، قد جعلهم يرغبون في تسليم بلدانهم للترك ، مثلما سلم أهالي القطيف مدينتهم ، وأنهم ينوون الآن تسليم البحرين إليهم أيضاً) [١] .

انتهى هؤلاء الغزاة أخيراً إلى قرار بالانسحاب السريع من القطيف ، مكتفين بنسف أجزاء من أسوارها وأقسام مهمة من قلعتها ، وهي تعود لأيدي العرب ، الذين قاموا – بدورهم – بتسليمها للعمثانيين ، مقدمين لهم الدعم وللمرة الثانية في الاستيلاء على القطيف .

تنبه العثمانيون بعد المهانة العسكرية التي لحقت بهم في القطيف إلى ضرورة إعطاء مزيد من الاهتمام للخليج العربي وتدعيم مركزهم فيه. لذا قاموا بتحويل القطيف إلى وحدة إدارية هي اللواء (السنجق) ، وأن تكون تابعة لولاية البصرة ، وتعيين محمد بك، أخي إياس باشا، والي بغداد وفاتح البصرة، لكي يكون أميراً على اللواء المذكور .

وفي الوقت نفسه تم الإيعاز إلى الرئيس بيري بك ، قبطان الأسطول العثماني بمصر، بالإبحار بأسطوله من السويس لضرب المواقع البرتغالية في الخليج العربي والاستيلاء على البحرين ، إن أمكن ذلك ، رداً على ما قاموا به نحو القطيف، ولإظهار القدرة العسكرية العثمانية على مجابهة التحدي بمثله، إضافة إلى استعادة الهيبة العثمانية المثلومة في المنطقة.

---

(١) إمارة آل شبيب ص ١١١ .

ويرى المؤرخ الحميدان : أنه من الواضح أن المهمة الموكلة إلى محمد بك، لم تكن تهدف إلى تعزيز النفوذ العثماني في القطيف فحسب، بل إنها تتجاوز ذلك إلى العمل على مد نفوذهم إلى أنحاء المنطقة كافة ، وضم الأحساء نفسها للدولة العثمانية . لذا فإن محمد بك (باشا) باشر منذ وصوله إلى هناك باتخاذ التدابير والاستعدادات العسكرية كافة لانجاز تلك المهمة ، حتى تهيأ له الظرف المناسب ، بعد مرور حوالي عام تقريباً ، فقاد حملة عسكرية نجحت في احتلال الأحساء في أواخر سنة ٩٦٠ هـ - ١٥٥٣م ، على أرجح تقدير[١] . ومن الجدير بالذكر ، أنه لم تتوافر حتى ذلك الوقت أية معلومات بخصوص الحملة العثمانية التي فتحت الأحساء أو تاريخها أوالأحداث التي رافقتها، إضافة إلى موقف حاكمها الشيخ عبد الله (عبيد الله) بن مانع بن راشد الفضلي ، وكيف انتهى به المصير، لكن من المرجح أنه اتجه إلى اليمامة حيث ممتلكاتهم في معكال .

إن صفحات من تاريخ الأحساء والقطيف قد طويت بزوال الإمارة العربية فيها وحلول الأتراك العثمانيين محلهم ، وليصبح محمد باشا أول ولاتها، حيث استمر في حكمها إلى أن توفي في الأحساء في أواخر سنة ٩٦٣ هـ - ١٥٥٦ م [٢] .

ومما يجدر ذكره أن سلطة العثمانيين في الخليج العربي بقيت مقتصرة على الأحساء والقطيف ، إضافة إلى البصرة ، ولم يقوموا بمحاولة تذكر لمد نفوذهم إلى أبعد من ذلك ، أو لتحجيم الوجود البرتغالي فيه ، باستثناء محاولتين فاشلتين ، كانت الأولى سنة ١٥٥٢ م وهدفها الاستيلاء على هرمز ، والثانية كان هدفها احتلال البحرين سنة ٩٦٦هـ - ١٥٥٩ م. وكأن القوتين العثمانية والبرتغالية قد اعتزمتا على إقامة سلام هش بينهما ، حيث تتقاسمان فيه النفوذ ويراعي كل منهما مصالح الطرف الآخر إلى حد ما مع التيقظ لما يحيكه كل منهما للآخر خفية [٣].

(١) إمارة آل شبيب في شرق جزيرة العرب ، ص ١١٢ .

(٢) إمارة آل شبيب في شرق جزيرة العرب ، ص ١١٣ .

(٣) تاريخ الخليج العربي ص٨٧، وأيضاً : امارة آل شبيب (السابق) ص١١٣ .

شجرة آل شبيب

سلالة أمراء آل شبيب (شيوخ المنتفق) في ق ٩ و ق ١٠ هـ / ق ١٥ وق ١٦ م

(خلال فترة حكمهم في ق ٩ هـ / ق ١٥ م)

فضل

شبيب

(١) مانع (الكبير)

(٢) يحيى (٣)مانع (٤) محمد (الأعمى)

(٥) يحيى (قتل على يد السلطان محسن المشعشعي

في ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩ م فانتهت فترة حكمهم في ذلك القرن)

(خلال فترة حكمهم في ق ١٠ هـ / ١٦ م)

صقر

مغامس مهنا

(١) محمد (٢) راشد (٣) عثمان

(٤و ٧) محمد (٥) مانع (٦) يحيى

عبد الله (عبيد الله) حاكماً للأحساء

جدول أمراء آل شبيب وفترة حكمهم في البصرة والأحساء والقطيف

١	محمد بن مغامس بن صقر	حكم البصرة (من قرابة عام ٩١٥هـ - ١٥٠٩م حتى وفاته عام ٩٣٤هـ - ١٥٢٨م)
٢	راشد بن مغامس بن صقر	أ - حكم الأحساء ابتداء من ٩٣١ هـ - ١٥٢٥م. ب - حكم البصرة والأحساء ابتداء من ٩٣٤هـ / ١٥٢٨م. ج - حكم البصرة والأحساء والقطيف ابتداء من ٩٤٤هـ / ١٥٣٧م وحتى وفاته عام ٩٤٦هـ/ ١٥٣٩م.
٣	عثمان بن محمد بن مغامس	حكم البصرة من عام ٩٤٦هـ/١٥٣٩م وحتى وفاته عام ٩٤٨هـ / ١٥٤١م.
٤	محمد بن عثمان بن محمد مغامس (الفترة الأولى)	دام حكمه بضعة شهور خلال سنة ٩٤٨هـ/ ١٥٤١م
٥	مانع بن راشد بن مغامس	أ - حكم الأحساء نائباً عن والده ابتداء من ٩٣٤هـ/١٥٢٨م ب - حكم الأحساء والقطيف ابتداء من ٩٤٤هـ/١٥٣٧م ج - حكم البصرة والأحساء والقطيف في سنة ٩٤٨ - ٩٤٩هـ / ١٥٤٢م

		د – حكم الأحساء والقطيف عام ٩٤٩هـ / ١٥٤٢م حتى وفاته عام ٩٥١هـ / ١٥٤٤م
٦	يحيى بن محمد بن مغامس	حكم البصرة من ٩٤٩هـ / ١٥٤٢م حتى استيلاء العثمانيين عليها سنة ٩٩٣هـ / ١٥٤٤م
٧	عبد الله (عبيد) بن مانع بن راشد	حكم الأحساء من ٩٥١هـ / ١٥٤٤م حتى استيلاء العثمانيين عليها سنة ٩٦٠هـ / ١٥٥٣م
٨	محمد بن عثمان بن محمد	تولى حكم أطراف ولاية البصرة وليقود المقاومة مغامس (الفترة الثانية) ضد العثمانيين.

جدول حكام آل شبيب في الإحساء والقطيف[1]

١	راشد بن مغامس بن صقر	أ- حكم الأحساء ابتداء من ٩٣١هـ- ١٥٢٥م. ب - حكم البصرة والأحساء ابتداء من ٩٣٤هـ/١٥٢٨م. ج - حكم البصرة والأحساء والقطيف ابتداء من ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م حتى وفاته عام ٩٤٦هـ- / ١٥٣٩م.
٢	مانع بن راشد بن مغامس	أ - حكم الأحساء والقطيف ابتداء من ٩٤٦هـ / ١٥٣٩م ب - حكم البصرة والأحساء والقطيف في سنة ٩٤٨ - ٩٤٩هـ / ١٥٤٢م ج - حكم الأحساء والقطيف حتى وفاته عام ٩٥١هـ / ١٥٤٤م
٣	عبد الله (عبيد) بن مانع	حكم الأحساء من ٩٥١هـ / ١٥٤٤م حتى استيلاء العثمانيين عليها سنة ٩٦٠هـ / ١٥٥٣م

(١) نقلاً عن امارة آل شبيب في شرق جزيرة العرب ص١٢٨، ١٢٩.

طرد الأتراك من القطيف سنة ٩٥٧ هـ - ١٥٥٠ م

لقد بدأ الصراع السافر بين البرتغاليين والأتراك في الخليج قرابة سنة ١٥٥٠ ، حين أعلن أهالي القطيف أنهم لا يدينون بالولاء لهرمز ، وأنهم يضعون أنفسهم تحت حماية الأتراك الذين كانوا قد احتلوا البصرة منذ عهد قريب أي في سنة ١٥٤٦ م ، فاغتم شيخ هرمز غماً شديداً لضياع القطيف [١] ، كما تقدم آخر حكام هذه المنطقة الذي طرده الأهالي منها إلى البرتغاليين يطلب عونهم ووعدهم ببناء قلعة في ميناء البصرة مقابل ذلك وكان تحت تصرفه قوة قوامها ٣٠,٠٠٠ رجل كما يذكر ويلسون في كتابه، ومن جراء ذلك خرجت حملة برتغالية من الهند تتكون من ١٩ سفينة تقل ١٢١٠ رجال [٢] تحت قيادة الدوم أنطونيو دي نورنها إلى القطيف واستطاعت الحملة بمؤازرة الموالين لشيخ هرمز أن تطرد الأتراك من القطيف وأن تدمر قلعتها بسرعة ، وساوتها بالأرض [٣] وقد كان القائد مراد بك قائداً لحامية القطيف التركية وقد زارت الحملة البصرة أيضا ، لكن قائدها خشي الخيانة فلم يطل مكثه بها ولم يقم فيها بأية عملية. حيث خدعه واليها الباشا وأقنعه بالرجوع ، فعاد أدراجه إلى جزيرة هرمز يجر أذيال الخيبة والفشل ، كما يقول المؤرخ محمد سعيد المسلم [٤] إذ انكشفت له حقيقة الموقف ، ولكن بعد فوات الأوان .

وقد استفز العثمانيين الأعمالُ التعسفية في القطيف والبصرة ، وصمموا على الثأر ، فرد الأتراك على هذا الهجوم البرتغالي بأن أرسلوا بيري بك الذي وصفه فريزر على أنه قرصان محنك معه ١٦٠٠٠ رجل إلى جولة في الخليج على رأس أسطول كبير قام بتظاهرة أمام مسقط وأجلى عنها الحامية البرتغالية وجرت مظاهرة أخرى أمام هرمز نفسها وحدثت أعمال

---

(١) دليل الخليج ، ج ١ ، ق ت ، ص ص ١٦ و ١٧ ، وانظر أيضاً الخليج العربي (تط حـد مع) ص ٦٢ . وأيضا: الخليج العربي لويلسون ص ٢٢٠ .

(٢) الوثيقة ع ٤ ، س ٢ ربيع الآخر ١٤٠٣ / يناير ١٩٨٤ ، ص ص ١٠٣ - ١٠٤ ، وانظر ندوة رأس الخيمة التاريخية ص ٦١ .

(٣) الفتح العثماني للأقطار العربية،ص٩٢ .

(٤) القطيف واحة على ضفاف الخليج، ص٢٢٦ .

سلب ونهب في مدينة قشم [١].

وفي عام ١٥٥١ م أعدم بيري بك في القسطنطينية لأنه تجاوز التعليمات الصادرة إليه وخلفه مراد بك الذي فشل من قبل في الصمود في القطيف أمام البرتغاليين ، لكنه قام بجهد يائس وفاشل لإنقاذ سمعته بالاشتباك مع الأسطول البرتغالي في عرض الخليج [٢] ، هكذا يرى بعض المؤرخين لكن الحقيقة هي أنه صدرت له أوامر الباب العالي لإعادة سفن الأسطول التركي الذي تركه بيري بك وعلى الأغلب حدث هذا في العام الثاني أي سنة ١٥٥٢ م وتشير بعض المصادر [٣] أن الأسطول كان مكوناً من ١٥ سفينة ويشير البرتغاليون إلى أنه هو القائد الذي طرد من القطيف سنة ١٥٥٠ م وكان متشوقاً للانتقام من البرتغاليين.

ولما عرف البرتغاليون ذلك أصدروا الأوامر إلى القائد : دوم دييكو دي نورنها بالتصدي له فالتقى الأسطولان قرب السواحل الفارسية ونشبت معركة بينهما وخلال المعركة هبت عاصفة بحرية مزقت جمع الأسطول البرتغالي وأوشكت أن تقع إحدى السفن في قبضة القوات العثمانية ولهذا قرر القائدان العثماني والبرتغالي العودة إلى قواعدهما الأساسية [٤].

الأتراك يطردون البرتغاليين من القطيف سنة ٩٥٨ هـ - ١٥٥١ م :

لقد خطط الأتراك للانتقام من البرتغاليين من جراء احتلالهم للقطيف ودك قلاعها وصمموا على استعادة القطيف منهم ، بل وتطهير الخليج من البرتغاليين ، فجهزوا قوة بحرية كبيرة بقيادة بربك PIRBIC يعاونه فراسر FRASAR وهو [٥] أحد القراصنة

---

(١) لتفاصيل هذا الهجوم انظر : تراث عمان ص٧٦ و٧٧.

(٢) الشعوب الإسلامية ، ص١٤٢ ، وانظر: صراع القوى في المحيط الهندي والخليج لعربي ص١٤١ ، وانظر أيضاً: ندوة رأس الخيمة التاريخية ص١٧٠.

(٣) الوثيقة : ع١٧ ، س٩ ، ص٣٧.

(٤) الوثيقة : ع١٧ ، س٩ ، ص٣٧ ، وانظر : دولة اليعاربة ص٣٧.

(٥) انظر : الشعوب الإسلامية ، ص١٤٣.

المدربين فتمكن من طردهم من سواحل القطيف كما قاموا بإرسال قوة عسكرية بقيادة محمد فروخ باشا سنة ٩٥٨ هجرية فاسترجعت القطيف والأحساء وأعيد بناء وترميم القلاع التي خربها البرتغاليون وبعد هذا التاريخ تساقطت القلاع والمراكز التي كان يتحصن بها البرتغاليون في الخليج كما يقول المؤرخ محمد سعيد المسلم (تساقط أوراق الخريف)[١] ، ولم يبق في أيديهم سوى جزيرة هرمز (قاعدتهم الحصينة وهي آخر ورقة سقطت عام ١٦٢٥ م حين احتلها الشاه عباس الصفوي بمساعدة الأساطيل الإنجليزية) .

تسليم القلاع إلى الأتراك المسلمين :

بعد أن طرد أهل القطيف البرتغاليين (الكفار) واستولوا على القلاع سنة ٩٥٧ هـ - ١٥٥٠ م وقاموا بتسليمها إلى الأتراك [٢] (المسلمين) حيث أدركوا أن هؤلاء مسلمون على دينهم وأن (الإفرنج أو الفرنجة) البرتغال مسيحيون وأن أحد أهداف هذا الاحتلال هو إذلال المسلمين ونشر المسيحية بينهم والهيمنة على اقتصاد المنطقة ، وهذا ما يرفضه أبناء القطيف رفضاً قاطعاً ويدلنا ذلك على المقاومات التي تمت خلال الاحتلال البرتغالي لمنطقتهم لأكثر من ثلاثة عقود وفي كل احتلال تقدم القطيف وضواحيها أنهاراً من الدم فداء للوطن إلى جانب إنهاك الاقتصاد المحلي من إحراق السفن وهدم البيوت وغيرها .

البرتغاليون ينسحبون من القطيف إلى البحرين :

وفي سنة ٩٥٧ هـ - ١٥٥٠ م اضطر البرتغاليون إلى الانسحاب نحو البحرين بعد أن طردهم القطيفيون ، لكنهم وعند مكوثهم في البحرين أخذوا يخططون للاستيلاء على القطيف مرة أخرى فأعدوا العدة لذلك وجهزوا حملتهم العسكرية .

استرجاع القطيف وهزيمة البرتغال سنة ٩٥٨ هـ - ١٥٥١ م :

لقد هزم البرتغال في هذه الفترة واستقرت الأمور ، إلا أن القطيفيين أخذوا يعدون العدة

---

(١) القطيف واحة على ضفاف الخليج، ص٢٢٦ .

(٢) دولة اليعاربة، ص٣٧، وانظر أيضاً: الخليج العربي ص٨٥ .

والاستعداد للغزو القادم ، فهؤلاء الغزاة لابد أن يخططوا للعودة مرة أخرى . إلا أنها كانت المرة الأخيرة التي يغادر فيها آخر جندي برتغالي أراضي القطيف وإلى الأبد .

وابتداءً من سنة ١٠٢٩ هـ - ١٦٢٠ م أصبحت السيطرة البريطانية على الطرق البحرية الدولية واضحة وفي سنة ١٠٣١ هـ - ١٦٢٢ م سقطت جزيرة هرمز بيد قوة فارسية بريطانية مشتركة تمكنت من صد الهجمات العمانية حتى سنة ١٠٥٨ هـ - ١٦٤٨ م حين تمت استعادة المدينة على أيدي البحرية العمانية وكان الإمام ناصر بن مرشد بن سلطان اليعربي قد استعاد في سنة ١٠٣٢ هـ - ١٦٢٣م خورفكان وهو الميناء الذي كان يتنازع عليه الفرس والبرتغاليون ومن يومها قرر الإمام إعادة توحيد عمان واستعادتها من البرتغاليين الذين تم طردهم بصورة نهائية في سنة ١٠٦٠ هـ - ١٦٥٠ م [1] وإلى الأبد .

إعادة ترميم القلاع التي خربها البرتغاليون سنة ٩٥٨ هـ :

تعد القلاع والحصون في المنطقة رمزاً من رموز الدفاع عن حياض الوطن فهي الدرع الواقي وفيه كل عتاد وكل سلاح وفيه الرجال المغاوير المدافعون عن الوطن ، ودحر كل غاز ومعتد ، ولم يدخل البرتغاليون بلدة إلا وخربوها وعاثوا فيها فساداً وتدميراً، بدءاً من قصف القلاع وقتل المواطنين سواء المدافعين أو الآمنين ، لا يفرقون بين ذلك ، وقد كان القطيفيون ذوي همة وعزيمة إذ يسارعون إلى ترميم القلاع والحصون بمجرد انتهاء الغارة، حتى وإن دخل الغزاة إلى القطيف أو المدن القريبة منها، وقد أدرك البرتغاليون أهمية هذه الحصون بصفتها دفاعات حربية كما أدركوا أنها السد المنيع في عدم دخولهم المنطقة ولهذا نجدهم يهدمون القلاع قبل نزولهم إلى اليابسة .

ففي عام ٩٥٧ هـ - ١٥٥٠ م دمرت السفن البرتغالية قلاع القطيف بقيادة أنطونيو دي نورنها وبعد فعلته الشنيعة هذه أبحر شمالاً إلى البصرة حيث استنجد راشد بن مغامس بالبرتغاليين في ذلك العام لكن نورنها خشي من مؤامرة تطيح به من أمير البصرة ، ولخوفه

---

(١) العمانيون رواد البحر ، ص ٥٦ ، وانظر أيضا : دليل الخليج ، ق ت ، ج ٢ ، الصفحتان ١٤ و ١٥ ، وانظر كذلك : غزاة في الخليج ص ٣٤ .

من غدر هذا الأمير عاد أدراجه إلى هرمز دون أن يقدم معونة حقيقية لابن مغامس [١].

البوكيرك يحتل القطيف ٩٥٩ هـ - ١٥٥٢ م (الاحتلال الرابع)

بعد انسحاب استمر عامين أعاد البرتغاليون الكرة للمرة الرابعة واحتلوا القطيف ، فقد نجح تخطيطهم ، ويتضح ذلك لنا من خطاب كتبه وبعثه الفونسو دي البوكيرك [٢] نائب الملك بالهند (وابن الشخصية التي كانت تحمل الاسم نفسه وكلفت بالمهمة العدوانية نفسها) يخبر البوكيرك فيه جوا الثالث سنة ٩٥٩ هـ الموافقة ٢٧ يناير ١٥٥٢ م إلى أنه استرجع حصن القطيف الذي سبق أن استولى عليه الأتراك ، وتفيد الرسالة إلى أن القوة البرتغالية أيضاً حطمت الحصن الذي شيدوه في جزيرة . (Moizy) [٣]

ومن أحداث هذه السنة إعدام (قطع رأس) بيري بك أو بيرك بك في القسطنطينية ويأتي هذا الإعدام لتجاوزه الأوامر والتعليمات التي صدرت له وخلفه مراد بك الذي كان مسؤولاً عن فقدان القطيف [٤]

البرتغاليون يسيطرون على القطيف سنة ٩٥٩ هـ – ١٥٥١ م :

بات البرتغاليون يسيطرون على منطقة القطيف ويهددون سواحل البحرين والبصرة ، وقد تأكد للعثمانيين ذلك بما لا يدع مجالاً للشك ، وأنه لا قبل لهم بالوقوف في مواجهة البرتغاليين في معارك نظامية حاسمة ، ولا يمكن مواجهتهم إلا بعمليات بحرية غير نظامية، وذلك بسبب عدم التكافؤ في القوة البحرية بين الطرفين . وقد اسندت هذه العمليات

(١) انظر الوثيقة ع ١٠ ، س ٥ ، ج ١ س ١٤٠٧ هـ ، ص ١٦١ .

(٢) هذه الجزيرة مجهولة لنا بهذه التسمية المحرفة ، وإن كانت هناك جزيرة في المنطقة ذات اسم قريب من هذه التسمية، وهي جزيرة (هو يزه) في خليج تاروت للشمال من جزيرة تاروت على ان هذه الجزيرة لا يوجد فيها رسوم وهناك جزيرة أخرى بالقرب منها تدعى (الفاتح) وفيها أطلال ، وكلا الجزيرتين مهجورتان الآن .

(٣) مر بك المرجع السابق (علاقة ساحل عمان ببريطانيا) ص ٣٦ ، وانظر أيضاً : الخليج العربي لويلسون ص٢٢١ و ٢٢٢ .

(٤) النفوذ البرتغالي في الخليج العربي ، ص ١٣٣ وانظر ايضا : دولة اليعاربة ، ص ٣٧ ، وانظر أيضاً :
The history of the discovery & conq of india by the portuguese P. 152.

الفدائية غير النظامية إلى مجموعة بارزة من القباطنة العثمانيين، الذين خلد التاريخ ذكرهم، سواء أكان ذلك في الأعمال البحرية أم في المجال العلمي ، فمنهم من اهتم بفنون البحر والملاحة أمثال علي بك جلبي ، وبيري بك الذي كان جغرافياً مشهوراً في رسم الخرائط [١].

وقد صدرت الأوامر إلى ترسانة السويس لإعداد خمس وعشرين سفينة أو تسع وعشرين سفينة على رواية أخرى تحمل ٨٥٠ جندياً وتحركت هذه الحملة في سنة ٩٥٩ هـ-٢٩ ديسمبر ١٥٥١م متجهة نحو البحرين والقطيف . ومن السويس إلى القطيف مرت بعدة مدن وعاصرت عدة أحداث في طريقها البحري الطويل .

حملة تركية سنة ٩٦٠ هـ - ١٥٥٢ م :

منذ أن وطد الأتراك العثمانيون أقدامهم في القطيف لم يتوقفوا عن إرسال حملاتهم ضد البرتغاليين ففي سنة ٩٦٠ هـ ١٥٥٢ م جهزت حملة بقيادة مراد بك الذي كان قد واجه البرتغاليين في القطيف عام ٩٥٧ هـ - ١٥٥٠ م. وكانت الأوامر الصادرة إلى مراد بك ، تأمره بتجهيز السفن في ميناء البصرة والخروج للقاء البرتغاليين في الخليج العربي ، فخرج في ١٧ سفينة ، وعند رأس مسندم ، وقعت معركة بحرية بينه وبين القائد البرتغالي دييجو دي نورونها ، لكن مراد بك هزم فيها وقتل عدد من قادة أسطوله ، مما اضطره إلى الرجوع للبصرة[٢] .

وقد اقتنع السلطان العثماني بوجوب تجهيز حملة بحرية كبيرة ضد البرتغاليين في الخليج، وقد أمر الباب العالي داود باشا والي العراق أن يجهز حملة يقوم بها إلى البصرة حيث يتكامل مع حملة بحرية تنتظره هنالك ثم يتقدم إلى هرمز ويحتلها وأمر الباب العالي بيري باشا بتجهيز الحملة إلى البصرة، حيث احضر بيري باشا سفناً كثيرة ورجالاً ومؤناً وتحرك في

---

(١) انظر الوثيقة ع ١٠،س٥،ج١س١٤٠٧هـ،ص١٦١ .

(٢) النفوذ البرتغالي في الخليج العربي، ص١٤٩، وانظر أيضاً : ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ص٧٠ج٢ .

يونيو سنة ١٥٥٢ م ودخل خليج عمان ورابط عند مسقط وكان فيها القائد البرتغالي جوا دي لزبوا الذي كان في مهمة لبناء حصن في مسقط لتأمين البرتغاليين المقيمين هنالك وقد استطاع بيري من دخول المدينة وأسر رجال حاميتها (١) ، وبعد ذلك اتجه بيري إلى هرمز التي كان يحكمها فعلياً الفرو دي نورونها بالرغم من وجود حاكم وطني بها ، وقد سلمت هرمز للقائد العثماني واستعصت القلعة فحاصرها ثم رفع الحصار عنها بعد عشرين يوماً واتجه إلى قشم يلاحق التجار الذين هرعوا بأموالهم إلى تلك الجزيرة فتمكن بيري من قشم وأصاب من فتحها مغانم كثيرة ، وأبحر بيري بعدها إلى البصرة ثم غادرها مسرعاً إلى السويس فألقى العثمانيون القبض على قائدهم وأمر السلطان بإعدامه ومصادرة ثروته العظيمة في العام نفسه ٩٦٠ هجرية ١٥٥٣ م في القسطنطينية، كل ذلك لتجاوزه أوامر التعليمات الصادرة له وخلفه مراد بك الذي كان مسؤولاً عن فقدان القطيف فسار في أسطول مكون من ١٥ سفينة واشتبك مع الأسطول البرتغالي بقيادة دييجو دي نورونها دون طائل (٢) . وقد خشي العثمانيون من أن يرد البرتغاليون على الحملتين السابقتين : حملة بيري الذي أعدم وكبدتهم خسائر فادحة خاصة في مسقط وهرمز ، والحملة الثانية التي قادها مراد بك حيث أحرز العثمانيون نجاحاً وقتياً ، فأصدر السلطان سليمان أوامره إلى مراد بك وإلى سنجق القطيف السابق الذي كان حينها في البصرة لكي يبحر ببعض قطع الأسطول العثماني من البصرة إلى السويس حتى لا تقع هذه القطع غنيمة للبرتغاليين ، وتقدم مراد بك على رأس ١٧ قطعة قاصداً مصر ولكنه تراجع بعد أن بلغ مضيق هرمز حيث قامت بينه وبين أحد الأساطيل البرتغالية معركة كبرى وخشي أن يلاحقه البرتغاليون .

---

(١) علاقة ساحل عمان ببريطانيا ، ص ٣٦ ، وانظر أيضاً :الفتح العثماني للأقطار العربية، ص٩٢ وفيه تفاصيل أوفى لعدم السماح بتكرار مأساة القطيف.

(٢) تاريخ هجر ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ .

هجوم برتغالي عنيف على القطيف سنة ٩٦١ هـ - ١٥٥٣ م :

الاحتلال الخامس

بعد أن فرض العثمانيون سيطرتهم على القطيف استنجد حاكم هرمز الفارسي بالبرتغاليين، كما استنجد بهم حاكم البصرة الذي يأمل استرجاع البصرة من العثمانيين وقد أرسل نائب الملك في الهند الفونسو دي نورونها (١٥٥٠ - ١٥٥٣ م) ابن أخيه : أنطونيو دي نورونها في حملة مكونة من ١٩ سفينة عليها ١٢٠٠ رجل توجهت إلى القطيف[1]. وفي أثناء قدوم السفن البرتغالية من الهند مرت في طريقها على هرمز حيث تجمع جنود شيخ هرمز وكذلك أمير البصرة راشد بن مغامس وتحالفوا جميعاً مع جنود نورونها وألفوا جيشاً ، ولكن المؤرخين لم يحددوا عدد الجنود الذين انضموا إلى جيش أنطونيو دي نورونها وكذلك عدد السفن ، وعلى أية حال فقد أبحر الجيش إلى القطيف وقصفوها قصفاً عنيفاً ودمروا قلعتها وتحصيناتها ، وبالرغم من أنها كانت معركة حامية وقد استبسل الأهالي والأتراك في المعركة، إلا أن الهزيمة حاقت بهم وعادت القطيف ترزح تحت نير احتلال السيطرة البرتغالية .

لكنْ هذا لم يمكث طويلاً فقد عاد الأتراك يخططون للاستيلاء على القطيف وطرد البرتغاليين ثانية ، وهذا ما حدث فعلاً فقد أرسل العثمانيون أسطولاً بقيادة علي بن حسين فهاجم البحرين ورأس مسندم سنة ٩٦١ هـ - ١٥٥٤ م أي في بداية العام الميلادي التالي وفي العام الهجري نفسه ، ولا ندري ما إذا كان هذا الأسطول قد مر بالقطيف أم لا؛ لأن أياً من المؤرخين لم يذكر ذلك ولكننا لا نستبعد ذلك؛ فالقطيف هي هدف وسنجق مهم بالنسبة إلى العثمانيين ، والذي يبدو أن أسطول العثمانيين بقيادة علي بن حسين قد اصطدم بأسطول برتغالي بقيادة دي منديس قبالة رأس مسندم وبعد معركة التحم فيها الجانبان حاقت الهزيمة بالأتراك ولاذ قائدهم بالفرار إلى الهند خوفاً من السلطان العثماني إلا

---

(١) النفوذ البرتغالي في الخليج العربي ، ص ١٣١ ، وانظر أيضاً دليل الخليج ج ١ ، ص ١٦ و ١٧ .

أن للعثمانيين نشاطاً بحرياً كبيراً خلال هذا العام ١٥٥٤ م بقيادة سيدي علي الريس أي علي بن حسين والذي واجه عدة مواقع بحرية مع البرتغاليين [١] .

العثمانيون يطاردون البرتغاليين في القطيف سنة ٩٦١ هـ - ١٥٥٣ م :

أمر السلطان سليمان القانوني بإعدام بيري بك بعد فشله للمرة الثانية بمطاردة البرتغاليين في العام المنصرم ٩٦٠ هـ - ١٥٥٢ م ووضع مكانه علي شلبي [٢] قائداً جديداً للأسطول وتسميه الوثائق العثمانية علي رئيس وذلك سنة ٩٦١ هـ - ١٥٥٣ م وقد أمر هذا القائد الجديد بالتوجه نحو البصرة لإخراج السفن العثمانية وأمر بالتوجه إلى مسقط حيث هاجم البرتغاليين ولكنه لم ينجح في الاستيلاء عليها رغم الخسائر التي تكبدها العثمانيون والبرتغاليون في الوقت نفسه ثم توجه بعد ذلك إلى القطيف ليتبع السفن البرتغالية لكن لم يجد لها أثراً وبعد استفسارات من الملاحين عاد أدراجه مبحراً إلى البحرين وأخبره حاكمها (مراد رئيس) بأن البرتغاليين ليسوا في المياه البحرينية فأبلغه بقرار السلطان سليمان والتعليمات الجديدة ومما ذكره له أن السلطان سليمان يقظ للاعتداء البرتغالي على سواحل البحرين وأن الديوان السلطاني سوف يقدم كل عون ممكن، وهو دليل على أن البحرين كانت موالية للدولة العثمانية ، ويدلنا على أن علي شلبي لديه تصميم أكيد على مطاردة البرتغاليين وأنه توجه من البصرة إلى محاربتهم في مسقط ثم البحث عن سفن أخرى في القطيف والبحرين فلم يكن الأمر سهلاً في اقتفاء أثرهم في تلك الفترة الزمنية [٣] .

والي سنجق القطيف يبحر بسفن البصرة سنة ٩٦٢ هـ - ١٥٥٤ م :

في ظل المواجهات البحرية التي امتدت من عام ١٥٥٢ م وتصميم العثمانيين بإلحاق

(١) تاريخ هجر ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ ، وهناك تفاصيل أوفى عن عام ١٥٥٤ م في كتاب :علاقة ساحل عمان ببريطانيا ص ٣٧-٣٩

(٢) تذكر الوثائق العثمانية أنه كان شاعراً وأديباً دوّن رحلاته في الخليج ، وانظر: الخليج العربي (التطور والحديث والمعاصر) ص٧٠

(٣) الوثيقة : ع ١٥ ، س ٨ ، ١٤٠٩/١٢ هـ ذ ١٩٨٩/٧ م ، ص ٦٩ و ٧٠ ، وانظر كذلك : دولة اليعاربة ص ٥٢

الهزائم بالمستعمرات البرتغالية وهذا ما تم لهم في مسقط وجزيرة قشم (الجشم) ، وفي يوليو عام ١٥٥٤ م عهد السلطان العثماني إلى مراد بك والي سنجق القطيف بقيادة السفن المتبقية المتجمعة في البصرة وأمره بإعداد سفن أخرى للانضمام إليها وتقدم مراد بك بأسطوله لمنازلة الأسطول البرتغالي المتجه نحو جدة ، غير أن الهزيمة قد لحقته واضطرت السفن التركية المتبقية إلى التوجه نحو البصرة حيث كانت نواة لأسطول جديد عهد السلطان العثماني بقيادته لعلي بن حسين الذي غادر البصرة في يوليو سنة ١٥٥٤ م متوجهاً إلى البحرين [١] .

وفي شهر أغسطس من العام نفسه واجه الأسطول البرتغالي في مسقط ونشبت معركة انتهت بهزيمة العثمانيين .

الأتراك يدحرون البرتغاليين سنة ٩٦٢ هـ - ١٥٥٤ م :

على أثر فشل مراد بك في هجومه على قوات القائد البرتغالي دييجو دي نورونها سنة ٩٦٠ هجرية بعث السلطان سليمان القانوني سنة ٩٦١ هـ - ١٥٥٣ م قائداً أكثر مهارة وخبرة في البحار يدعى سيد علي ريس حسين وهو عالم فلكي شهير له مؤلفات في علوم البحار ، أشهرها كتاب أسماه (المحيط) [٢] .

وفي العام التالي أي سنة ٩٦٢ هـ - ١٥٥٤ م خرج سيد علي رئيس من استانبول إلى حلب فالموصل ومنها إلى بغداد فالبصرة وهناك باشر في إصلاح السفن وبناء سفن جديدة وبعد أن جهز الأسطول أبحر به من البصرة لملاقاة البرتغاليين ، وكان الأسطول البرتغالي في تلك السنة ثلاثة أضعاف سفن الأتراك ، أما القادة البرتغاليون فهم فرناديز دي منزيس وأنطونيو دي نورونها وتقابل الأسطولان في خليج ليمه بالقرب من راس مسندم وقد وقعت

---

(١) الخليج العربي (التطور والحديث والمعاصر) ص ٦٤ ، وانظر أيضاً : تراث عمان ص ٧٧ وكذلك ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ، وانظر كذلك : الدولة العثمانية والشرق العربي ص ١٣٤ .

(٢) حقائق الأخبار عن دول البحار ، ص ٥٤٩ ، وانظر مزيداً من التفاصيل في ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها . ص ٧٠ ، ج ٢ .

المعركة وانتصر فيها المسلمون وأغرقوا كثيراً من سفن البرتغال [١] .

لكن العثمانيين تابعوا فلول البرتغاليين إلى مسقط ودارت معركة ثانية هناك ، وقد هبت عاصفة عاتية دمّرت سفن سيد علي ريس وجرفت أمامها كثيراً من سفنه ، ووصلت إلى ميناء شابار ، في مكران على الساحل الفارسي المطل على خليج عمان . وفي شابار تزود القائد العثماني بالمؤن ثم واصل سيره متجهاً إلى اليمن وقرب ظفار ، ثم هبت عاصفة قوية جرفتهم إلى سواحل الهند وهناك لجأ سيد علي ريس إلى ملك كجرات وسرح معظم جنده وسار مع خمسين من أتباعه قاطعاً بلاد الهند براً إلى فارس ثم إلى الأراضي العثمانية [٢] ، ولم ينقطع هجوم العثمانيين بعد ذلك إذ استمر الجهاد ضد الغزاة البرتغاليين متقطعاً حتى عام ٩٨٩ هـ – ١٥٨١ م .في أثناء حكم السلطان مراد الثالث . ويرى فريق من المؤرخين أنه استمر حتى عام ٩٩٨ هـ – ١٥٨٩ م وهو العام الذي اعتقل فيه أمير علي بك وأرسل إلى لشبونة ومات من التعذيب؛ لأنّه ألحق الهزائم بالبرتغاليين [٣] . وكانت فرصتهم للنيل من شخصه كعادتهم .

إلا أن استيلاء الأتراك على الأحساء والقطيف سنة ٩٦٢ هـ – ١٥٥٥ م قد استمر إلى سنة ١٠٨٢ هـ – ١٦٧١ م [٤] .

معاهدة السلام العثمانية – الصفوية عام ٩٦٣ هـ – ١٥٥٥ م :

بينما كانت السيطرة البرتغالية على محك المنافسة حدث ما لم يتوقعه البرتغاليون إذ تحالف المسلمون لأول مرة ، فالدولتان العثمانية والصفوية بصفتهما أكبر دولتين تحالفتا خلال هذا الوقت وكادت موازين القوة السياسية تنقلب في منطقة الخليج ، فمع توقيع

---

(١) النفوذ البرتغالي في الخليج العربي ، ص ١٥٠ .

(٢) حقائق الأخبار عن دول البحار ، ص ٥٤٩، وانظر أيضاً: A History of the ottoman empire, P 176

(٣) النفوذ البرتغالي في الخليج العربي ، ص ١٥١ .

(٤) تاريخ هجر ، ج ٢ ، ص ٢١٠ .

معاهدة سلام بين الإمبراطورية العثمانية والدولة الصفوية عام ١٥٥٥ م تخلت فارس عن مطالبها في منطقة ما بين النهرين وانتقل اهتمامها إلى الجنوب نحو منطقة هرمز ، ثم عرفت فارس ، مع مجيء الشاه عباس الأول (١٥٨٦ – ١٦٢٩ م) اندفاعة قوية داخلية وخارجية، فشرعت من جديد في لعب دور إقليمي هام .

وهكذا وجد التفوق البرتغالي نفسه مهدداً أولاً بسبب اليقظة الفارسية في نهاية القرن السادس عشر وثانياً بسبب صعود إمبرياليات أوروبية منافسة مطلع القرن السابع عشر ، إذ كانت بريطانيا وهولندا في طريقهما لأن تصبحا اللاعبين الرئيسين على مسرح الخليج .

وفي انتظام ذلك ، كان الوجود البرتغالي قد أصاب البلاد وبناها التحتية بأضرار بالغة . وكان الأسطول التجاري العربي قد تلقى ضربة قاصمة أعدمت نشاط المنطقة اقتصادياً وامتد تأثيرها السلبي إلى كل القطاعات المرتبطة بالتجارة [١] .

الأتراك في الأحساء والقطيف والبصرة يهاجمون البرتغاليين في البحرين سنة ٩٦٦ هـ – ١٥٥٩ م :

شهد عام ١٥٥٩ م تحركاً عثمانياً عسكرياً جديداً في الخليج إذ قام (بلير بي البصرة) مصطفى باشا بإعداد حملة عسكرية ليهاجم بها القاعدة العسكرية البرتغالية الموجودة في البحرين [٢] .

ويسود الغموض تفسير الدافع الرئيسي لهذه الحملة ، بين قائل إنها كانت رغبة شخصية من مصطفى باشا لتوسيع نفوذه إلى البحرين ، وبين قائل إنها كانت بأمر الباب العالي الذي لبى نداء حاكم البحرين لنجدته ، كما تختلط التعريفات في شخصية (مراد بك) الذي كان حاكماً في البحرين هل هو ممثل لحكومة هرمز البرتغالية ، أم هو فارسي ، أم والٍ تركي . . ؟

(١) عمان (الديمقراطية الإسلامية) ص ٩٧ .

(٢) الوثيقة ، ع ١٧ ، س ٩ ، الصفحتان ٣٩ و ٤٠ ، وانظر : صراع القوى في المحيط الهندي ص ١٤١ .

إن المصادر البرتغالية تقول: إنه فارسي ويمثل حكومة هرمز في البحرين ، بينما تقول المصادر التركية إنه والٍ تركي على البحرين . وعلى كل حال فقد تشكلت الحملة من أكثر من سبعين سفينة بين مقاتلة وناقلة جنود (١٢٠٠) جندي ، وفي ١٣/٩/٩٦٦ هـ - ٢/٧/١٥٥٩ م توقفت الحملة أمام قلعة البحرين وحاصرتها . وتقول المصادر البرتغالية إن (الريس مراد) والي البحرين الهرمزي أرسل نداء مستعجلاً إلى (أنطونيو دي نورونها) حاكم هرمز ، الذي أمر بتجهيز حملة بقيادة أخيه (دوم جوا دي نورونها) لمقابلة الأتراك ويقول البرتغاليون إن عدد سفن الحملة كانت عشرا ، أما العثمانيون فيقولون اثنتين وعشرين وقد وصلت القوة البرتغالية إلى مشارف البحرين يوم ٢٦ رمضان وهناك اشتبك الطرفان في الحرب ، حيث قام (محمد بك) الذي كتب وثيقة الحرب هذه ، وكان رئيساً لسنجق تابع لأيالة الأحساء ، بقتال من حاول النزول براً من البحر من البرتغاليين ، أما مصطفى باشا فقد كان يدير المعركة البحرية من المنامة [١] .

وبعد سلسلة من المعارك التي شارك فيها (مراد بك) بثلاثمئة جندي إيراني لمساعدة البرتغاليين ، فإن البرتغاليين أوشكوا على الانكسار ، وقد قتل في إحدى المعارك (دوم جوا دي نورونها) نفسه ، وهو الأمر الذي لم يشعر به العثمانيون لأنه غير موجود في تقاريرهم لذلك فقد قام حاكم هرمز بإرسال القائد (بيرو بيشوتو) ليحل محل القائد القتيل ، ثم لم يلبث أن تبعه بنفسه ، وبذلك فقد طوقت القوة العثمانية بين دفاعات البحرين الأرضية والأسطول البرتغالي القادم من هرمز ، كما أن مصطفى باشا مات أو قتل في أثناء المعارك فانهارت معنويات الجيش التركي ودبت المجاعة بين صفوفه ، لذلك فقد قرر الأتراك إجراء مفاوضات مع البرتغاليين للانسحاب إلى البصرة، وبناءً عليه فقد جرت المفاوضات التي اشترك فيها (محمد بك) و (سلطان علي بك) قائد سنجق القطيف وانتهت المفاوضات بأن أعاد الأتراك الأسرى البرتغاليين ومعهم غنائم الحرب التي كسبوها كما دفعوا مبلغ مئة

---

(١) ساحب الذهب الأسود ، ص ١٧٢ ، وانظر أيضاً الوثيقة ، ع ١٥ ، س ٨ ، ١٢/١٤٠٩ هـ ص ٧٢ و ٧٣ و ٧٥ و ٧٨ و ٧٩ ، وانظر كذلك : تاريخ الخليج العربي ص ٨٧ .

ألف (دوكة) أو (أقجة) وانسحبوا إلى البصرة .

بلغ عدد قتلى البرتغاليين حسب ادعائهم أكثر من سبعين قتيلاً ، وعدد الأسرى أكثر، أما الأتراك الذين عادوا إلى البصرة فكانوا (٢٠٠) من أصل (١٢٠٠) ، وقد استمرت تلك الحركات العسكرية ستة أشهر تقريباً [١] .

إن ما حدث بعد ذلك من أمور بين العثمانيين والبرتغاليين في الخليج يسوده الغموض الشديد ، كما أن أخبار الفعاليات التركية في الخليج تعوزها المصادر التوثيقية المفصلة ، إلا أنّ الارتجال وعدم وجود تكتيك عسكري وسياسي جيد كان سائداً في التحركات العثمانية منذ بداية أمرها في الخليج العربي . وعموماً يمكن القول إنه منذ الاحتلال العثماني للبصرة عام ١٥٤٦ م إلى ذلك التاريخ فإن الخليج العربي انقسم بين النفوذ العثماني الذي امتد من البصرة إلى سواحل القطيف ونفوذ البرتغاليين الذين سيطروا على هرمز وعمان ، وكانت البحرين تشكل الحدود التي تفصل بين مناطق نفوذ البلدين وفي رواية أخرى أن البحرين أعلنت خضوعها للعثمانيين وأن السلطان العثماني أعاد تثبيت جلال الدين مراد خان على ولاية البحرين .

ويبدو أيضاً أن كلاً من الطرفين أدرك استحالة تحقيق نصر حاسم على الطرف الآخر وأن نتائج التصادم تكون في غير صالح العثمانيين ، لذلك وانطلاقاً من الفوائد الكثيرة في تشجيع التجارة بين الهند وتركيا عبر الخليج العربي ، فقد قام والي البصرة بمفاتحة حاكم هرمز البرتغالي على وضع أسس لصلح دائم وعلاقات تجارية بين البلدين وقام حاكم هرمز بإرسال موفد منه هو (انطونيو تاكسيرا) الذي قابل الباب العالي عارضاً عليه مقترحات هرمز ، إلا أن الباب العالي رفض الحديث مع (تاكسيرا) باعتباره ممثلاً لهرمز فقط وطلب مقابلة شخصية تمثل البلاط الملكي البرتغالي .

---

(١) صفحات من تاريخ الأحساء ، وانظر أيضاً : الخليج العربي (تط حد مع) ص ٧٠ و ٧١ .

محافظ الأحساء يغزو البحرين في رمضان سنة ٩٦٦ هـ - ١٥٥٨ م :

مازال العثمانيون في جهودهم في تحرير الأراضي العربية من نير الاستعمار البرتغالي وكان الوالي في الأحساء يريد أن يضم البحرين لقربها ، لكنه فشل وطرد من منصبه وقد ورد أمر سلطاني إلى مراد شاه حاكم البحرين : أنك أرسلت أشخاصاً مرات عديدة إلى بلاطنا السامي وعرضت علينا طاعتك لنا ومنحنا لك شهادة إثباتاً بأننا أعطيانك البحرين كولاية وأخطرنا بذلك جميع المحافظين المجاورين وسمعنا الآن بأن مصطفى باشا محافظ الأحساء قام بغزو البحرين دون إذن منا وإنك اتخذت بعض الإجراءات ضده وكذلك حجز البرتغاليين بعض السفن العثمانية وقد طردنا مصطفى باشا من منصبه بسبب هذه الاعتداءات وعينّا محافظاً جديداً يحل محله . وعليك أن ترد الجنود إلى المحافظ في الأراضي العثمانية وتعاقبهم بما يستحقونه وهكذا يكون محافظونا في الأحساء والأقاليم الأخرى مجمعين على تنفيذ إرادتنا حتى لا يتمكن العدو (البرتغاليين) من إلحاق أضرار بتلك الأقاليم ، ويقصد بالأقاليم الأخرى القطيف وقد حررت في ٢٨ ذي الحجة ٩٦٦هـ[١] .

بعد حملة مصطفى باشا الفاشلة :

البرتغاليون يعيدون العثمانيين إلى القطيف سنة ٩٦٧ هـ - ١٥٥٩ م :

يبدو أن الأمور انعكست على العثمانيين فقد تغلب عليهم البرتغاليون في سنة ٩٦٧هـ - ١٥٥٩ م ، ففي أثناء قتال العثمانيين (القطيفيين والاحسائيين) في البحرين ضد مراد شاه الموالي لهرمز إذ جاءته الإمدادات من هرمز (٤٠٠ جندي) و الوثائق التركية تشير إلى أنه أمكن الوصول إلى اتفاق بين الطرفين وإيقاف القتال ، فقد انسحب الجيش العثماني بعد أن دفع علي بك أمير لواء القطيف للبرتغاليين ١٠ أقجات دراهم عثمانية وكل أقجة تحتوي على مئة ألف درهم (مليون درهم) وبعض الخيول وذلك في شهر صفر ٩٦٧ هـ نوفمبر ١٥٥٩ م وعاد بقية الجيش العثماني إلى القطيف وهذه المرة من العجب العجاب !!! أن

---

(١) منطقة الأحساء عبر أطوار التاريخ ، ص ١٥٤ و ١٥٥ ، وأنظر ايضاً : تاريخ الخليج العربي ص ٨٧ .

يكون على متن السفن البرتغالية على خمس دفعات بعد أن كابدوا الجوع والحصار نحو أربعة أشهر وبلغ عدد الجنود العائدين ٢٠٠ جندي من أصل ١٢٠٠ جندي توجهوا مع مصطفى فروخ باشا (والي الأحساء) في بداية الحملة التي يفهم من سياق الوثيقة أنها استمرت ستة أشهر [١] ، كما هو مدوّن في أحداث العام السابق ٩٦٦ هـ حيث بدأت الأمور في ١٣ من شهر رمضان . لقد كانت هزيمة نكراء ضد الأتراك في القطيف والأحساء!! لقد خسروا مليون درهم و ١٠٠٠ جندي وعدداً غير معروف من السفن بما فيها من أسلحة إلى جانب الخيول !! .

ويورد فالح حنظل تفاصيل أخرى حول هذا الحدث فيقول:

إن عام ١٥٥٩ م شهد تحركاً عثمانياً عسكرياً جديداً في الخليج ، إذ قام كل من حاكم الأحساء و (بكلربي) البصرة مصطفى باشا بإعداد حملة عسكرية هاجما فيها حاكم البحرين المدعو (ريس مراد) ، ويسود الغموض تفسير الدافع الرئيسي لهذه الحملة بين قائل إنها كانت رغبة شخصية من مصطفى باشا لتوسيع نفوذه إلى البحرين ، وبين قائل آخر إنها قامت لنجدة أهالي البحرين من تعسف ريس مراد أو مراد ريس ، كما تختلط التعريفات في شخصية مراد ريس ، أهو ممثل حكومة هرمز البرتغالية ، أم هو فارسي ، أم والٍ تركي ؟

إن المصادر البرتغالية تقول: إنه فارسي ويمثل حكومة هرمز في البحرين ، بينما تقول المصادر التركية إنه والي الأتراك على البحرين واسمه الأمير جلال الدين مراد خان ويسمى أيضاً (مراد شاه) وأن سبب الحملة العثمانية كانت بدافع شخصي من مصطفى باشا وبدون موافقة الباب العالي [٢] .

(١) هذا الأمر السلطاني صادر في ٢٨ ذي الحجة ٩٦٦ هجرية وهي مثبتة في دفاتر الشؤون العامة ، المجلد ٣ ، ص ١٣٩ من الأرشيف الرسمي ، وانظر مجلة الوثيقة في العدد ١ ، س ١ ، وانظر أيضاً ص ٤١١ و ٤١٢ من كتاب : العرب والبرتغال في التاريخ ، وانظر كذلك : تاريخ هجر ج ٢ ، ص ٢١٨ .

(٢) الوثيقة ، ع ١٥ ، س ٨ ، ١٢/١٤١٩ هـ – ٧/١٩٨٩ م ، ص ٧٩ .

وعلى كل حال فقد تشكلت الحملة من سفينتين مدمرتين كبيرتين و ٧٠ سفينة خفيفة من سفن تقل الجنود والمدمرات الخفيفة على متنها ١٢٠٠ جندي يشكل الانكشارية عدداً كبيراً منهم إضافة إلى المؤن والذخيرة بكميات كبيرة ، وتقول المصادر التركية إن الحملة وصلت أمام قلعة البحرين في ١٣/٩/٩٦٦ هـ الموافق ٢/٧/١٥٥٩ م ، وحاصرتها ، كما تقول المصادر البرتغالية إن (الريس مراد) أرسل نداء مستعجلاً إلى أنطونيو دي نورونها الحاكم العسكري البرتغالي في هرمز يخبره بأمر محاصرته من قبل قوات مصطفى باشا ، فقام دي نورونها بتجهيز حملة بقيادة أخيه جوا دي نورونها مكونة من عشر سفن هرع بها إلى البحرين ، إلا أن البحرية التركية تصدت له في مشارف الجزيرة وقاتلته وأجبرته على الانسحاب إلى الشاطئ المقابل والاختفاء في الأخوار المائية هناك ، ثم لم يلبث حاكم هرمز أن أوفد حملة أخرى بقيادة الفارو دي سلفيرا ومعه عدد من السفن بحيث بلغ تعداد الحملتين ٢٢ سفينة ، وتمكن الاثنان من دحر المقاومة التركية وتوجها نحو سواحل البحرين التي كانت مطوقة ببقية الأسطول التركي .

اشتبك الطرفان بالحرب وقام محمد بك وهو قائد سنجق الأحساء بقيادة عدد من الفرسان الانكشارية جيء بهم من بغداد ، فهاجم بشدة من حاول النزول براً من البرتغاليين ، أما مصطفى باشا فقد كان يدير المعركة من منطقة المنامة ، وبعد سلسلة من المعارك شارك فيها مراد ريس بثلاثمئة جندي إيراني لنجدة البرتغاليين يعاونه قائد محلي عرف باسم (ابن رحال) فإن البرتغاليين أوشكوا على الانكسار ، وقد قتل في إحدى المعارك جوا دي نورونها، وهو الامر الذي لم يشعر به العثمانيون لأنه غير موجود في تقاريرهم ، لذلك فقد قام حاكم هرمز بإيفاد القائد بيرو بيتشو ليحل محله ، ثم لم يلبث أن تبعه بنفسه ، وبذلك فقد تم تطويق القوة العثمانية بين دفاعات البحرين الأرضية والأسطول البرتغالي ، كما أن مصطفى باشا قتل في أثناء المعارك فانهارت معنويات الجيش العثماني ودبت المجاعة بين صفوفه، لذلك فقد قرر قادة الجيش إجراء مفاوضات مع البرتغاليين للانسحاب إلى البصرة ، وعليه فقد جرت المفاوضات التي اشترك فيها محمد بك وسلطان علي بك قائد القطيف ،

وانتهت بأن أعاد الأتراك الأسرى البرتغاليين ومعهم غنائم الحرب التي كسبوها ، كما دفعوا مبلغ مئة ألف (دوكة) او (أقجة) وانسحبوا إلى البصرة، وبلغ عدد قتلى البرتغاليين حسب ادعائهم أكثر من سبعين قتيلاً ، أما الأتراك الذين عادوا إلى البصرة فكانوا ٢٠٠ من أصل ١٢٠٠ ، وقد استمرت تلك المعارك مدة ستة أشهر تقريباً .

الحملة كما تتحدث عنها الوثائق العثمانية [1] :

في سنة ٩٦٦ هجرية – ١٥٥٨ م أقلع من ميناء القطيف أمير أمراء الأحساء مصطفى باشا على رأس حملة مؤلفة من ١٢٠٠ جندي عثماني وعدد كبير من متطوعة العشائر في سفينتين (قرداغه) وسبعين قاربا فبدأت بمحاصرة البحرين مستهدفة قلعتها في ١٣ رمضان سنة ٩٦٦ هجرية – ١٥٥٩ م إلى ٢٢ رمضان، وبعد ثلاثة أيام من بدء الحصار هب البرتغاليون للدفاع عن البحرين في اثنتين وعشرين سفينة برتغالية من نوع غراب ! اتجهت عشر منها نحو البصرة فتصدى لها العثمانيون بسفينتين كبيرتين من نوع (قرداغه) وسبعين سفينة خفيفة مختلفة وسفينة واحدة من نوع برجنتاين قدمت من البصرة وعليها ألف ومئتا جندي بينهم عدد كبير من انكشارية بغداد أرسلت لتتعقب اثنتي عشرة سفينة برتغالية في البحر، فلجأ البرتغاليون إلى الخداع فتظاهروا بالهرب من السفن العثمانية فسار في إثرهم العثمانيون وعندما توقف القائد العثماني عن مطاردتهم وعاد، وجد بقية سفنه وذخيرته قد أحرقها البرتغاليون، وبذلك فقد العثمانيون تجهيزاتهم وعتادهم وسفنهم فلما توجه القائد العثماني إلى البر هاجمه البرتغاليون وذلك في الثالث من شوال سنة تسعمئة وست وستين هجرية – ١٥٥٩ م وسيطروا على السفينتين العثمانيتين وأسروا وقتلوا عددا من الجنود العثمانيين، وكان مصطفى باشا يحاصر قلعة المنامة عاصمة البحرين فأصبح البحر مفتوحا أمام البرتغاليين، وجمع مصطفى باشا ذوي الرأي من أصحابه واستشارهم فأشاروا عليه بحراسة جزيرة البحرين خشية الهجوم البرتغالي المفاجئ عليها ريثما يأتيه المدد من ولاية

---

(١) حنظل، د.فالح، العرب والبرتغال في التاريخ ص ص ٣٩٣ و ٣٩٤ و ٣٩٥ ، وانظر: دولة اليعاربة ص ٨٧ و٨٨ .

بغداد وأحس مصطفى باشا أن الأمور لا تسير في صالحه فالبرتغاليون على وشك أن يحكموا حصارهم البحري حوله، والفرس سوف يسعدهم أن يشتركوا في الإجهاز على قائد عثماني، وحاكم البحرين يرقب الأمور وهو لا يستطيع أن ينسى أن مصطفى باشا غزا أرضه رغم ولائه للسلطان (قرار السلطان له على جزيرة البحرين) . كل هذه الظروف جعلت مصطفى باشا يتصل بأمير البحرين مراد رئيس عارضا أن يترك الجزيرة بشرط أن يعد مراد رئيس السفن التي تنقله ورجاله وبأجور يدفعها هو ولكن مراد رئيس رفض، فانسحب الجيش العثماني إلى مكان بعيد عن الشاطئ في داخل الجزيرة لا تصل إليه قذائف السفن البرتغالية وانتظروا ثمانية أيام وصل خلالها المدد من بغداد والمكون من ثلاثمئة فارس وأربعمئة مسلح واستطاع البرتغاليون خلالها أن يوفدوا قواتهم التي انضم إليها بعض القوات الفارسية بالإضافة إلى فرقة من قوات أمير البحرين يقودها محمد بن رحال الأحسائي (الشخصية المعروفة) ، وتمكن أحد القادة العثمانيين المشاركين في هذه الحملة من إحراز نصر على قوات مراد رئيس وأخذ أكثر هؤلاء الجند أسرى وقد غيّر ذلك سير المعركة لصالح العثمانيين، ولكن القوات المهاجمة استمرت في محاصرتهم مما اضطر مصطفى باشا إلى مفاوضة مراد رئيس على أن تسلم لهم أسراهم مقابل السماح للعثمانيين بالعودة على سفن توصلهم إلى الأحساء فلم يوافق مراد رئيس، وطالب أن يسلموا كل سلاحهم ومدافعهم، ولما يئس العثمانيون وحاصرهم الجوع أذعنوا لمطالب مراد رئيس ووافقوا على تقديم خمس وثلاثين فرسا ومئتين وأربعين أقجة دراهم عثمانية، ولكن المسؤول عن شؤون البحرين البرتغالي في هرمز سمع بالمفاوضات فأرسل إلى أمير البحرين يقول له (نحن في البحر وأمير هرمز في البر وسوف نمدكم بثلاثة آلاف وقيل ثلاثمئة من العجم فلا تعقدوا مصالحة مع العثمانيين) وفشلت المفاوضات وضاق الأمر بالعثمانيين ونفدت ذخيرتهم وأقواتهم وبدأ موسم الرياح الشرقية وجاءت معها الحمى التي فتكت بالكثير من الجند وأرسل العثمانيون وفدا لمفاوضة القائد البرتغالي في قلعة البحرين وحضر الاجتماع ممثلون لهرمز وكان كاتب هذه الوثيقة أحد الموفدين من العثمانيين فلم تنجح المفاوضات إذ قال أمير البحرين (إن هذه

الحملة هجمت على البحرين دون موافقة سليمان القانوني ودون علمه أو أمره) فأجابه كاتب الوثيقة (بأن السلطان باق على عهده وأن الحملة بالفعل لم تكن بأمره وهو يطلب المعذرة)[1] ولكن المفاوضات لم تنجح، ويتضح من الأمر السلطاني رقم ص ١١٤١ أن السلطان تدخل بعزل مصطفى باشا عن إمارة الأحساء ونص الوثيقة الخاصة بذلك يقول (حكم سلطاني إلى مراد شاه صاحب البحرين رقم ١١٤١ بعزل مصطفى باشا من إمرة أمراء الأحساء وفيه أنه ورد لدار السلطنة العثمانية من أمير أمراء البصرة أن أمير الأحساء مصطفى قد تدخل في أمر البحرين وسار إلى البحرين التي هي تحت تصرف مراد شاه وعلى هذا اتفق مراد شاه مع البرتغاليين وأنهم أخذوا سفن العثمانيين وبقي العسكر العثماني محصوراً بجزيرة البحرين وبسبب هذا فقد أمر السلطان العثماني بعزل مصطفى عن منصب أمير أمراء الأحساء ونصب مكانه أميراً آخر ويطلب السلطان عودة مراد شاه صاحب البحرين للطاعة وأن يتفق مع الأمراء والعساكر الذين بالأحساء وما حولها ضد البرتغاليين. حرر في ٢٨ ذي الحجة سنة ٩٦٦ هجرية – أكتوبر ١٥٥٩ م .

ويبدو أن مصطفى باشا لم يتحمل الصدمة فمات وخلفه في قيادة العثمانيين كاتب الوثيقة وكان في الوقت نفسه والياً على قطر بالإضافة إلى البحرين فاستأنف القتال ثانية وجاءت الإمدادات التي وصلت من هرمز لأمير البحرين المكوَّنة من أربعمئة مقاتل . وتذكر الوثيقة بعد ذلك أنه أمكن الوصول إلى اتفاق لانسحاب الجيش العثماني بعد أن دفع علي بك أمير أمراء القطيف للبرتغاليين عشر أقجات دراهم عثمانية كل أقجة تحتوي مئة ألف درهم عثماني وبعض الخيول التي أعطيت للبرتغاليين وذلك في شهر صفر ٩٦٧ هجرية – نوفمبر ١٥٥٩ م وعاد بقية الجيش العثماني إلى القطيف على السفن البرتغالية في خمس دفعات بعد أن كابدوا الجوع والحصار نحو أربعة أشهر وبلغ عدد الجنود العائدين مئتي جندي من مجموع ألف ومئتي جندي توجهوا مع مصطفى باشا في بداية الحملة التي يفهم من سياق الوثيقة أنها استغرقت ستة أشهر، وعاد السلطان يؤكد إقراره لمراد شاه على

---

(١) تاريخ هجر ، ج٢، ص ٢٢٠ .

البحربن وذلك في وثيقة تقول (بناء على ماعرضه الأمير جلال الدين مراد خان حاكم بولاية جزر البحرين للسدة العلية العثمانية وطلب أن تكون تلك الإيالة في حوزة ولايته لذلك فقد قلدناها له وفوضنا إياها إليه ونفذنا كلامه. يكون مستقر تلك الإيالة في يد الأمير جلال الدين مراد خان ومن بعده يقلدها أخاه شهاب الدين خان أبا النقا ثم لأبناء مراد خان من بعده ومن عقبه على أن يسيروا بحكم البلاد بحكم الشرع القويم. حرر في تسعمئة وست وستين هجرية – ١٥٥٨م) [١] .

ومما تجدر الإشارة إليه فيما أرى أن تنصل السلطان العثماني من مسؤولية ذلك الغزو وإلقاء تبعته على كاهل أمير أمراء الأحساء وإقصائه من مهام عمله لم يكن إلا محاولة من السلطان لترضية حاكم البحرين وإزالة مالحق بالعلاقات معه من التوتر للإبقاء عليه في نطاق الولاء للعثمانيين ومنعه من الانحياز لأعدائهم.

يؤكد ما ذهبنا إليه عدة وثائق من بينها أمر من السلطان العثماني يتضمن موافقته على اقتراح أمير أمراء الأحساء بزيادة رواتب المشاركين في هذه الحملة من متطوعة العشائر ونص الوثيقة يقول :

أمر من السلطان إلى أمير أمراء الأحساء، لقد جاءنا دفتر مختوم ذكر فيه أنه أثناء غزو أمير أمراء الأحساء مصطفى باشا للبحرين قد التحق بجيشه متطوعون من العشائر المحلية وطلب منا أن نزيد رواتبهم بمقدار فلس أو فلسين لكل واحد، وهذا مقبول لدينا فزيدوا رواتبهم على حسب إمكانيات الخزينة والميزانية – الثامن عشر من شعبان سنة تسعمئة وسبع وستين هجرية – ١٥٥٩ م [٢].

مشروع السلام الفاشل سنة ٩٧٠ هـ – ١٥٦٢ م :

لقد حاول البرتغاليون مهادنة العثمانيين وذلك حينما أرسل نائب الملك في الهند وفداً

---

(١) مجلة الوثيقة ، ع ١ ، س ١ ، رمضان ١٤٠٢ هـ .

(٢) أرشيف رئاسة الوزراء باسطنبول دفتر المهمة رقم ٣ ص ٣٨٠ رقم حكم ١١٢٥ نقلاً عن تاريخ هجر ، ج ٢ ، ص ٢٢١ .

إلى الأستانة (استنبول) في عام ١٥٦٢ م للتفاوض في مشروع للسلام بين الطرفين ، ولكن هذا المشروع لم يكتب له النجاح وذلك لإصرار السلطان العثماني على كسر نظام الاحتكار البرتغالي وتأمين الطرق البرية والبحرية وحمايتها لصالح الرعايا والتجار التابعين للإمبراطورية العثمانية [١] .

ويبدو أن النشاط قد توقف بين عامي ٦٠/١٥٧٢ م ففي عام ١٥٥٩ م كانت هناك مصادمات بين البرتغاليين والأتراك ومثال ذلك ما حدث في القطيف كما مر سابقاً . ولم يعد البرتغاليون الهجوم إلا عام ١٥٧٢ م ، وهذا يعني أن الخليج شهد ١٢ عاماً من الهدوء .

هجوم برتغالي على القطيف سنة ١٥٧٢ م :

يبدو ان آخر هجوم شنه البرتغاليون على القطيف بعد عشر سنوات من مشروع السلام الفاشل سنة ١٥٦٢ م ، وبعد ١٢ عاماً من الهدوء ، ولكن هذا الهجوم لم يحرز أية فائدة تذكر فقد تصدى لهم العمانيون إلى جانب المقاومة المحلية ليطردوهم وإلى الأبد .

لقد جاء رد الفعل البرتغالي على الاندحار في مسقط سريعاً ، فما إن وصلت أنباء الهزيمة إلى نائب الملك الدوم فيلبي ماسكارنياس Mascarenhas، حتى أرسل أسطولاً من سبع سفن إلى الخليج العربي ، وأصدر تعليماته إلى قائد الأسطول بالسعي للحصول على مساعدة الفرس ضد العمانيين وبعد أن توقف الأسطول في كونك (كنك) ، اتجه إلى القطيف وهناك التقى أسطولاً عمانياً ، فنشبت معركة بحرية أسفرت عن تراجع البرتغاليين بعد أن فقدوا سفينة حربية أسرها العرب إلى جانب ست سفن تجارية برتغالية [٢] ، ولا يشير أحد المؤرخين عن زمن وكيفية مجيء الأسطول العماني إلى القطيف وعن عدد سفنه وما الغاية من زيارته ، هل كان للنجدة أم البحث عن البرتغاليين حيث كان العمانيون في أوج انتصاراتهم على البرتغاليين ، أيام الإمام سلطان بن سيف .

---

(١) تاريخ الخليج العربي ، ص ٨٨ .

(٢) الوثيقة ، ع ١٣ ، س ٧ ، ١١/١٤٠٨ هـ ، ص ٤٠ ، نقلاً عن :
S. B. Miles, Countries and tribes of the Gulf , London 1966 P.198, Also , Bathurst , The Yarubi,p.112 .

استمرار الهجمات البرتغالية سنة ٩٧٨ هـ - ١٥٧٠ م :

لم تنقطع الهجمات البرتغالية على البحرين والقطيف ولاشك أنه يشمل دويلات شمال الخليج ، أي الأحساء والبصرة أيضاً ، فهناك وثيقة عثمانية صدرت في العام (٩٧٨ هـ - ١٥٧٠ م) في عهد السلطان سليم الثاني إلى أمير أمراء مصر جاء فيها :

أفادت المعلومات الواردة من البحرين أن الكفرة البرتغاليين لا يزالون يغيرون على جوانبها بسفنهم الحربية فيفسقون فيها بأسر المسلمين ونهب أموالهم وقد يصل ضررهم إلى جوانب مخا وعدن، فقبطان مخا ليست لديه سفينة مطلقاً والدفاع عن تلك البقاع من المهمات فعليك تجهيز سفينتين حربيتين من السفن المتواجدة في السويس تجهيزاً كاملاً بالآلات والمعدات الحربية والرجال وإرسالهما إلى قبطان مخا لاستخدامهما في الدفاع عن نواحي عدن ومخا ومتابعة الأحوال والأوضاع في اليمن بإرسال من يأتيك بأخبارها في كل حين ، فلا ينبغي أن يلحق ضرر من الكفرة بمدن أو أي محل آخر فلا تهمل مهمة الدفاع عن تلك النواحي والأصقاع واتخاذ جميع التدابير اللازمة لحراستها ولا تفُتكَ لحظة واحدة في باب الاهتمام بها ، كما عليك إخبار استانبول عن كيفية تجهيزك للسفن وتاريخ إرسالها وما تحصل من أخبار ومعلومات صحيحة عن الأوضاع السائدة في اليمن والبنادر الواقعة فيها[١] .

انتهاء عصر الغزو البرتغالي للقطيف :

يُعَدُّ عام ١٥٧٢ م آخر ما خططه البرتغاليون للهجوم على القطيف فلم يعد يفكر أحد منهم بإرسال أي قوة مهما كان حجمها إلى القطيف ، فعلى مدى أربعة عقود لم يجنوا من موانئها سوى الخسارة الفادحة في الأرواح والممتلكات إلى جانب أنهم أدركوا أن الأمر يختلف بالنسبة إلى هؤلاء الناس خصوصاً أن الجميع أصبح يطاردهم، خاصة اليعاربة العمانيين والذين لحقوهم إلى كل ميناء داخل الخليج وإلى بحر العرب في الوقت نفسه وإلى

---

(١) الوثيقة ، ع ١٥ ، س ١٨ ، ذو الحجة ١٤٠٩ هـ - يوليو ١٩٨٩ م ، ص ٦١ و ٦٢ .

سواحل أفريقيا فيما بعد ، حيث أن اليعاربة لاحقوا البرتغاليين حتى خليج تاروت والواضح أنهم بندروا بالقرب من جزيرة كسكوس يراقبون السفن المتجهة إلى خليج تاروت في طريقها إلى القطيف وكذلك السفن الخارجة من البحرين أو القادمة من البصرة حيث إن الجزيرة تعد موقعاً استراتيجياً ومهما لمراقبة السفن على الجوانب الثلاثة .

أطماع البرتغاليين في القطيف وآثار غزوهم :

لقد كان للبرتغاليين أطماع عميقة في السيطرة على شمال الخليج وكانت القطيف إحدى هذه الأطماع ، فقد فكروا فيها منذ عام ٩١٣ هـ – ١٥٠٧ م وهاجموها مرات عديدة عبر أربعة عقود ومع هذا لم يحصلوا على مبتغاهم كما حصل لهم وتحققت أمانيهم في مناطق أخرى مثل صحار وهرمز والبحرين وغيرها من بلدان الخليج والجزيرة العربية .

ولا أعتقد تحليلاً مثل هذا يفيه موضوع واحد ، فلكل غزو آثاره السلبية ، إلى جانب أن هناك عاملاً أسود كبيراً ألا وهو المعتقد الديني ، فالبرتغاليون الذين يراهم المواطنون غزاة كفرة لابد وأنهم مدفوعون بالتعصب الديني ، وأنهم يرون أن المسلمين دون مستواهم وأملهم هو استعبادهم ، ولهذا نراهم يسلبون ويقتلون ويحرقون ويهدمون عبر سنوات احتلالهم لكل شبر في الخليج منذ دخولهم له سنة ٩٢٧ هجرية .

إننا ننظر إلى الآثار السلبية بعد مضي خمسة قرون على هذا الغزو وبصورة مهزوزة لأنه لا توجد بين أيدينا وثائق تدلل على ذلك ، أضف إلى أن كتّاب البرتغاليين سوف يرجحون كفتهم ويبررون أعمالهم العدوانية بكل ما أوتوا من قوة ويضعون أنفسهم موضع الملائكة الأطهار ، بينما غيرهم أراذل الشياطين !! ، وهم بلا شك لن يدونوا في كتبهم أي شيء يسيء لهم !! ويمكن أن نعرف من خلال الأحداث وتاريخها عن أهداف الغزو ولكن الأهم هو أن نعرف بأن القطيفيين خرجوا بمعنويات كبيرة من هذا الغزو ونستطيع أن نستشف ذلك من خلال البناء السريع للقلاع المهدمة من جراء القصف البرتغالي عند كل غزو بالرغم من أن البرتغاليين منعوا القطيفيين من ذلك في بعض الغزوات .

الباب السادس

المرحلة الجديدة بعد الاستعمار البرتغالي

انهيار القوة البرتغالية

العثمانيون

الصفويون

الهولنديون

البريطانيون



حصار تركي للبحرين سنة ٩٨٩ هـ - ١٥٨١ م :

في هذا العام تمكن الأتراك من فرض حصار مؤقت على مسقط والبحرين[١] بقيادة علي بك الذي قدم إليها في ثلاث سفن من ميناء مُخَا وفاجأ البرتغاليين الذين هربوا في ذعر إلى الداخل [٢] .

والمعروف تاريخياً أنه في نهاية القرن السادس عشر دخلت السلطة البرتغالية مرحلة العد التنازلي لعوامل شتى من أبرزها ظهور القوى البحرية المنافسة على مياه الخليج كالهولنديين والإنجليز الذين اقتحموا ساحة الصراع على النفوذ متسترين باسم التجارة حيث نجحت تلك القوى شيئاً فشيئاً حتى طرد البرتغاليين سنة ١٠٣٠ هـ - ١٦٢٠ م من البحرين وفي ٢٣ / ١ / ١٦٥٠ م من الخليج بمجرد سقوط مسقط [٣].

ولعل أعظم انتصار حققه العمانيون هو طردهم وملاحقتهم إلى شرق أفريقيا سنة ١٦٨٩ م حيث انتهوا بمجرد سقوط قلاعهم هناك واستيلاء العمانيين عليها وقيام إمبراطورية عمان[٤].

انهيار النفوذ البرتغالي وطردهم من الخليج :

وصلت القوة البرتغالية إلى ما وصلت إليه من استعمار للدول الآسيوية والأفريقية ومازالت في بعضها حتى اليوم ، إلا أنها في تلك الفترة أصابها الضعف والوهن وعزا المؤرخون تفتت عضدها إلى الاسباب التالية :

١ - فقدان البرتغال استقلالها وتبعيتها إلى إسبانيا بين عامي ١٥٨٠ - ١٦٤٠ م وخلال فترة الستين عاماً تلك كانت إسبانيا هي الممثلة للمصالح البرتغالية .

---

(١) تاريخ هجر ، ج ٢ ، ص ٢١٠ وفيه تفاصيل أخرى ، وانظر أيضاً ص ٢١٢ من المرجع نفسه .

(٢) دولة اليعاربة ص ٣٨ وايضا ص ٥٢ .

(٣) تاريخ هجر (السابق) ص ٢١٠ و ٢١٢ .

(٤) المنطقة الشرقية ص ١٣ .

٢ – التعصب والجشع والقسوة التي كانت طابع المعاملات البرتغالية مع الشعوب إلى درجة حرق البشر أحياء بعد سلبهم كل شيء حتى الماء الذي يشربونه مما أدى إلى تبرم الشعوب وتحين الفرص للثورة عليهم .

٣ – قلة العنصر البشري البرتغالي في المناطق التي احتلوها مما اضطر البرتغاليين للاستعانة بالمرتزقة من هنود وبلوش وفرس وأفارقة وكان ذلك عاملاً أساسياً في إضعاف دفاعاتهم .

٤ – حوادث التمرد والخلافات بين كبار الضباط المستمرة نتيجة عدم وجود نظام دقيق في البحرية البرتغالية وتخلخل الأساس العسكري (١) .

٥ –كانت التجارة البرتغالية احتكاراً ملكياً تفتقر إلى التنظيم والإدارة الجيدة حيث إنهم لم يؤسسوا شركات تجارية كما فعل منافسوهم الإنجليز والهولنديون الذين حلوا بلاءاً على العالم من بعدهم .

٦ – ظهور قوى بحرية أوروبية منافسة في المحيط الهندي والخليج العربي بعد البرتغاليين وهم الهولنديون والإنجليز . وقد كانوا أكثر إدراكاً للمصالح التجارية مما جعلهما يحظيان بمكانة أفضل عند الدول الأسيوية .

٧ – تنامي القوة العربية العمانية في عهد اليعاربة التي لحقتهم إلى سواحل أفريقيا في المحيط الهندي وسواحل العرب وأينما وجدوا .

٨ – تنامي القوة الإسلامية العثمانية والتي كانت دائماً بالمرصاد لهم في البحر الأحمر وفي الخليج العربي .

٩ – توافق الصفويين مع التجار الإنجليز وهذا التقارب أطاح بالبرتغاليين لأنه كان أرضية لتمهيد البعثات من شركة الهند الشرقية .

---

(١) بشهادة الرحالة الإيطالي المعاصر لهذه الأحداث سنة ١٦٢٤ م – بيترو ديلا فالي ، وانظر كذلك :تاريخ الخليج العربي ص ٨٩ .

١٠ – التقارب الصفوي الإنجليزي جعل الشاه عباس يتطلع إلى طرد البرتغاليين من هرمز حيث إن سيطرتهم عليها كانت تمثل تهديداً لهيبة بلاده ورخائها ، ولهذا أصدر أوامره في عام ١٦٢١ م إلى إمام قولي خان بأن يوجه حملة بقيادته لاسترداد هرمز [1] وفعلاً استردها في ٢٣ / ٤ / ١٦٢٢ م وطرد البرتغاليين منها .

وهناك أسباب أخرى لا تقل أهمية عن ذلك كانت وراء انهيارهم والإطاحة بهم وطردهم وعجلت بتطهير المنطقة منهم .

اليعاربة العمانيون ودورهم في هزيمة البرتغال :

بعد أن طرد البرتغاليون من هرمز سنة ١٦٢٢ م اتجهوا إلى مسقط وبين عامي ١٦٢٥ و ١٦٤٠ م ازدادت أهمية القاعدة البرتغالية فيها ، فأخذوا بالتحصينات مجدداً ، ففي الباطنة استعاد البرتغاليون صحار وعملوا على تضييق الخناق على اليعاربة [2] .

ففي عام ١٦٣٤ م قام البرتغاليون بترميم قلعة مسقط وقد أصبحت قلعة لا تقهر سنة ١٦٤٩ م ، والواضح أنه لم تبدأ عمليات عسكرية ضد البرتغاليين قبل عام ١٦٣٢ م [3] حيث حدثت صدامات بين القوات العمانية والبرتغالية في مسقط وكان النصر حليفاً لليعاربة ، وقد هدم عدد كبير من الحصون والأبراج التي كان يتمركز فيها البرتغاليون وكذلك فقد خسروا أعداداً كبيرة منهم مما اضطرهم لعقد الصلح بين الطرفين ومن شروط الصلح التي كانت لصالح العمانيين :

١ – يتنازل البرتغاليون عن الأراضي والمباني التابعة لهم في منطقة صحار .

٢ – يدفع البرتغاليون جزية سنوية للإمام .

---

(١) تاريخ الخليج العربي ص ٨٩ و ٩٠ .

(٢) انظر تفاصيل أكثر في كتاب : عمان في التاريخ ص ٣٧٤ و ٣٧٥ ، وكذلك انظر ص ٣٧٢ و ٣٧٣ و ٣٧٦ وما بعدها من المرجع نفسه .

(٣) تاريخ الخليج العربي ص ٩٣ ، والخليج العربي (دراسة الجغرافية السياسية) ص ٣٥ و ٣٦ .

٣ ـ يتعهد البرتغاليون بمعاملة المسلمين في مسقط ومطرح معاملة حسنة .

وقد انصاع البرتغاليون لهذه الشروط ، وبالرغم من أن هذه المعركة لم تؤد إلى سقوط مسقط إلا أنه ترتب عليها نتائج عديدة منها :

-كانت بمثابة البداية والنهاية للوجود البرتغالي .

-تغير الوضع عما كان عليه سابقاً حيث أصبح البرتغاليون في موقف دفاع بدلاً من الهجوم ، كما أن قبولهم لدفع الجزية يعد تسليماً ضمنياً للتبعية العمانية .

-كان هذا النصر دافعاً مشجعاً للعمانيين لمواصلة تصديهم للبرتغاليين وتحرير أراضيهم(١) .

وقد دفعت هذه النتيجة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي إلى وضع خطة بعيدة المدى وهي العمل على تجريد البرتغاليين من قواعدهم تدريجياً على طول الساحل الممتد من البصرة إلى عمان ثم إلى سواحل أفريقيا قبل شن الهجوم الكبير على القاعدة الرئيسة في مسقط (٢) .

وفي عام ١٦٣٤ م تمكن الإمام من تخليص مينائي صور وقريات من الهيمنة البرتغالية ، وخلال عشرة الأعوام التالية تمكن الإمام ناصر من تطهير الساحل العماني كله عدا صحار ومسقط(٣) .

وفي ٧/١١/١٦٤٣ م تمكن العرب من الاستيلاء على صحار بعد أن قتل الجنود البرتغاليون ، وأسر بعضهم الآخر ، أما خورفكان فيحتمل أنها سقطت في سنة ١٦٢٣م.(٤) .

أما عام ١٦٤٨ م فقد شهد المرحلة الحاسمة في تحرير السواحل العمانية وذلك بالقضاء

---

(١) دولة اليعاربة ص ٧٠ و ٧١ .

(٢) تاريخ الخليج العربي ، ٩٣ و ٩٤ ، وانظر The Promise and the Fulfilment - P. 59 ,and 61.

(٣) تاريخ الخليج (السابق) ص ٩٥ وانظر أيضاً عمان في التاريخ ص ٣٧٥ .

(٤) دليل الخليج ، ج ٢ ، ص ٦٣٤ .

على القاعدة الرئيسة للبرتغاليين في مسقط حيث قضت عليهم القوات العمانية بقيادة مسعود بن رمضان في الفترة بين ١٦/٨/١٦٤٨ و ١١/٩/١٦٤٨ م وتمكنت من معظم تحصينات الميناء ، مما اضطرت الحامية البرتغالية لطلب الصلح وتضمنت الشروط التي عرضها القائد العربي تسليم قلعتي صور وقريات ، وعدم فرض الضرائب على البضائع العربية في مسقط التي يجب إزالة أسوارها وأن يعاود البرتغاليون دفع الجزية [١].

لكن القائد البرتغالي دي نورونها استثقل هذه الشروط مما أدى إلى استئناف القتال بين الطرفين وقد نجحت القوات العمانية في الاستيلاء على المرتفعات المشرفة على القلعتين الكبيرتين واستمر الضغط بإصرار متزايد على البرتغاليين ستة أسابيع أخرى مما أضعف معنوياتهم وولد اليأس في نفوسهم واضطر دي نورونها لطلب الصلح مجدداً موافقاً على الشروط العربية وقد تم توقيع اتفاقية في ٣١ أكتوبر ١٦٤٨ م تضمنت :

١ – أن يدمر البرتغاليون القلاع التي أقاموها في مطرح وقريات وصور وتسوى بالأرض.
٢ – أن يدمر الإمام القلعة التي أقامها في مطرح وإعلان حياد هذه المنطقة.
٣ – مرور السفن العربية دون تفتيش على أن تأخذ تصريحاً من البرتغاليين عند عودتها.
٤ – إعفاء رعايا الإمام من دفع الضرائب الشخصية والتجارية عند دخولهم مسقط أو خروجهم منها.
٥ – ضمان حرية التجارة .
٦ – أن يدمر العرب كل التحصينات التي أقيمت في أثناء فترة الحصار ، وألا يقيم البرتغاليون أية تحصينات على أنقاضها .

كانت هذه الشروط تعني الدمار المالي للقاعدة البرتغالية وبداية النهاية للوجود البرتغالي في مسقط [٢] .

---

(١) تاريخ الخليج ص ٩٥ وعمان في التاريخ ص ٣٨٢ و Oman the modern state P. 33-37.
(٢) تاريخ الخليج العربي،ص٩٦ .

وقد توفي الإمام في ٢٣ / ٤ / ١٦٤٩ م بعد أن حقق الوحدة الوطنية وأنجز المرحلة الأصعب من مراحل طرد البرتغالين .

وبعد عام ١٦٤٩ م فشل البرتغاليون في كل محاولة لاستعادة أمجادهم الدموية ،في كل مكان رفعوا راياتهم على الجماجم فعام ١٦٥٠ م وعام ١٦٥٢ م كانت بعثاتهم فاشلة وقوتهم كالريشة في مهب الريح وفي عام ١٦٥٥ م بدأ العد التنازلي ، فقد طاردهم العمانيون ولاحقوهم عاماً بعد عام أينما وجدوا حتى تصفيتهم نهائياً في عام ١٦٩٨ م وإلى الأبد [١].

المرحلة التركية الأولى :

المرحلة التركية من سنة ٩٥٨ هـ إلى سنة ١٠٨١ هـ :

كما ذكرنا سابقاً أرسل القطيفيون وفداً إلى بغداد لمقابلة السلطان العثماني سليمان القانوني سنة ٩٤١ هجرية إذ يعتبر الأتراك بمثابة المرجعية الأولى للخلافة الإسلامية ، ومنذ تلك السنة حتى سنة ٩٥٨ هجرية ، وهم في حرب سجال بينهم وبين البرتغاليين ، إلا أنه في عام ٩٥٨ كان الاستقرار الفعلي لوجود الأتراك في مشيخة القطيف حيث تحولت إلى سنجق يتبع بغداد واستمر الحكم التركي للمرة الأولى حتى سنة ١٠٨١ هـ ، أي بين عامي ١٥٥٠ - ١٦٧٠ م [٢]. وتعد بداية هذه المرحلة التركية من سنة ٩٥٨ هـ أيام السلطان سليم الثاني (ولد في سنة ٩٣٠ هـ وتوفي في ٢٧ شعبان سنة ٩٨٢ هـ) وهو ابن السلطان سليمان القانوني والذي امتد حكمه بين عامي ٩٧٤ - ٩٨٢ هـ .

---

(١) وعن طرد البرتغاليين انظر : الخليج العربي لويلسون ص ٢٤٩ - ٢٦١ وانظر أيضا يوم سقطت هرمز فهو يذكر سقوطهم بدءاً من عام ١٦٢٢ م ، وأيضاً : الوثيقة في عددها رقم ٢٠ الصادر في يناير ١٩٩٢ م في عوامل سقوط الحكم البرتغالي في الخليج العربي لكاتبه : د. محمد حسن العيدروس ، أما عن النتائج لما حدث من صراع بين البرتغاليين والعثمانيين فيمكن الرجوع إلى : الصراع البرتغالي العثماني في القرن السادس عشر ، ص ٢١٣ - ٢٤١ . وانظر ايضاً : . The Promise & The Fulfilment , P. 61

(٢) منطقة الاحساء عبر أطوار التاريخ ، ص ١٥٥ . وانظر أيضاً : Oman the Modren State , P. 33

صراع آل مغامس وآل حميد :

دام اسـتـيـلاء الأتراك بين سنتي ٩٨٢ – ١٠٨١ هـ (أي لحكم دام ١٢٠ سنة) وخـلال المرحلة الأولى من هذا الحكم بدأ صـراع القـوى المحليـة وكـان بين آل مـغـامس الذين حـاولوا استعادة نفوذهم وآل حميد منافسين لهم ولكن كفة القوة رجحت صوب الخوالد فبسطوا نفوذهم واستولوا على البلاد وامتد سلطانهم إلى بلاد نجد وكان في مقدمتهم براك بن غرير ، ثم إن ضعف الدولة التركية جعل لقبيلة بني خالد هيمنة ومكانة سياسية ، وفي هذه الفترة شهدت المنطقة (القطيف / الأحساء) صراعين ، صراع الدولة البرتغالية (الكافرة) وصراع الدولة التركية (المسلمة) ومع هذا تزامن أفول الدولتين مرة واحدة في فترة شبه متقاربة .[١]

تصفية الوجود البرتغالي

تحالف الإنجليز والهولنديين مع الإيرانيين ضد البرتغاليين :

لقد احتدم الصراع ضد البرتغاليين ، فقد تحالف الإنكليز والهولنديون على تجارة الشرق ، ففي سنة ١٦٥٨ م تدخلوا فاستمالوا الشاه عباس الصفوي ليقف ضد البرتغاليين والأتراك ومنحهم امتيازات تجارية فمهدوا له السيطرة على الخليج والتغلب على البرتغاليين [٢] ، ويرى فريق من المؤرخين أنه شوهد لأول مرة أربعة تجار إنجليز سنة ١٥٨٣ م ومعهم رسائل من الملكة اليزابيث إلى ملك كمبوديا وإمبراطور الصين [٣] .

وفي سنة ١٦٠٢ م امتد نفوذهم إلى جزيرة آوال بمساعدة أهاليها وفي الفترة بين ١٦١٢– ١٦١٥ م توالت هزائمهم أمام القوات الإنجليزية .

---

(١) حيث ضعفت تركيا وسميت بالرجل المريض إلى جانب انشغالها في حرب البلقان الأولى سنة ١٣٣٠ هـ وحرب البلقان الثانية سنة ١٣٣٢ هـ إلى جانب حرب القوقاز في العام نفسه على الرغم من وجود ٧٥٠ ألف جندي يحملون السلاح ! !

(٢) منطقة الأحساء عبر أطوار التاريخ ، ص ١٥٥ . وانظر أيضاً : Oman the Modren State , P. 33

(٣) صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي ص ١٤٤ .

وشهد عام ١٦٢٢ م احتلال الشاه عباس القاعدة المنيعة للبرتغاليين وهي جزيرة هرمز بمساعدة الأساطيل الإنجليزية والهولندية ففقدت تلك الجزيرة أهميتها منذ ذلك العام، فقد نجح أسطول إنجليزي هولندي مؤلف من ثماني سفن في دحر الأسطول البرتغالي بالقرب من هرمز وبذلك انطوت أسطورة البرتغاليين في الخليج بعد أن صالوا وجالوا في مياهه ودمروا خيراته وأسالوا دماء أبنائه خلال ١١٩ سنة من سنوات الاحتلال[١] .

يجدر بنا أن نشير إلى أن العلاقات الإنجليزية – البرتغالية كانت ، خلال هذه الفترة عامة، علاقات تحالف ، أما العلاقات الفارسية – البرتغالية فكانت تقوم على الاتفاق الحسن . وهكذا كان على العمانيين مواجهة المحتل البرتغالي ولا سند لهم إلا قواهم الذاتية. بل إنه كان عليهم في منطقة جلفار محاربة القوات البرتغالية والفارسية معاً باعتبارهم المدخل الرئيس للخليج والجزيرة العربية .

وقد هيأ الإمام ناصر بن مرشد جيشاً عهد به إلى علي بن أحمد ، مدعوماً بأحد أقربائه من اليعاربة . وبعد يومين من المعارك أحرزت قوات الإمامة نصراً واقتلعت البرتغاليين والفرس من منطقة جلفار في آب (أغسطس) ١٦٣٣ م وكان ذلك أول انتصار عسكري على القوات الأجنبية .

وبعد سنة في عام ١٦٣٤ م ، وقعت منطقة صور وقريات في قبضة الإمامة، في حين ظلت صحار ومسقط خاضعتين للقوات البرتغالية . وفي عام ١٦٤٤ م ، دخلت قوات الإمامة حروباً متقطعة مع القوة البرتغالية ، ولكنها لم تكن قادرة على اختراق السور المحيط بمسقط الذي كان البرتغاليون قد بنوه في الوقت الذي كانوا قد بنوا فيه سنة ١٥٨٧ م قلعتي الميراني والجلالي [٢] والتي يسميها البرتغاليون قلعة القديس غوا وقلعة القبطان .

ومن جديد ، في عام ١٦٤٨ م جردت القوات العمانية حملة بقيادة مسعود بن رمضان ،

---

(١) السابق ص ١١٠ ، وانظر : عمان في التاريخ ص ٣٧٤ والخليج العربي (دج س) ص٣٦و٣٧

(٢) عمان (الديمقراطية الإسلامية) ص ٩٧ و ١٠٩ .

وخميس بن سعيد لفرض الحصار على مسقط وتحريرها، وفي ١٦ آب (أغسطس) ضرب حصار دام حتى ١١ أيلول (سبتمبر) أرغم العمانيون البرتغاليين في نهايته على قبول الشروط التي حددها الإمام . وفي تشرين الأول (أكتوبر) وقّع اتفاق من خمسة بنود ، ينص واحد منها على إلغاء القانون المتعلق بالضريبة المفروضة على العمانيين من قبل البرتغاليين وكان هذا أول اتفاق فرضته قوة وطنية على مستعمرين . كان نصراً سياسياً للعمانيين بقدر ما كان نصراً معنوياً . لكن البرتغاليين لم ييأسوا ، فقد طلبوا من قادتهم في الهند نجدات جديدة . فلم يكونوا يجهلون أنهم إذا فقدوا مواقعهم في مسقط فسوف يفقدون نهائياً كل مواقع منطقة الخليج (١) . ثم جاء بعده السلطان سلطان بن سيف اليعربي (١٦٤٩ – ١٦٨٨ م) وهو أحد أقرباء السلطان ناصر وأحد قواده العسكريين الذي شارك في المرحلة الأولى من بناء الدولة اليعربية وكان مشهوراً بحكمته وإرادته بشهادة المؤرخة الفرنسية لوكور غرانميزون (Lecour Gramdmaison) (٢) وفي عهده نقض البرتغاليون الاتفاقيات المعقودة بينهم وانقلبوا عليه فبدأ العد التنازلي لأفول شمسهم على يد قواته وما أن حلّ ٢٣ / ١ / ١٦٥٠ م حتى خرج آخر برتغالي من عمان ولم يكتف الإمام بذلك بل طارد البرتغاليين خارج حدود عمان (٣) .

المرحلة الهولندية البريطانية

وضع البريطانيون قدمهم بفضل اتصالاتهم مع فارس . وقد جرى أول اتصال بين بريطانيا وفارس بمبادرة شخصيات شبه رسمية ، لاسيما مبادرة البريطاني روبرت تشارلي (Robert Charly) ثم جاء زمن العلاقات الأكثر رسمية ، زمن الاتفاق المتين ، وأخيراً زمن التحالف بين البلدين ، وهكذا توصل البريطانيون ، في الخليج إلى إيجاد مكان لهم تحت الشمس ،

---

(١) عمان (الديمقراطية الإسلامية) ص ١١٠ و ١١١ . وانظر أيضاً : الخليج العربي (د ج س) ص ٣٧ .

(2) PRESENTAION DU SULTANAT D'OMAN , P.267.

(٣) دليل الخليج ، ج ١ ، ص ٢٣ ، وأيضاً الخليج الفارسي ص ٩٤ ، وأيضاً عمان (الديمقراطية الإسلامية) ص ٩٨ .

على حد تعبير مؤرخيهم .

كان على الإنجليز ، أولاً أن يفرضوا أنفسهم على مزاحميهم الهولنديين الذين كانوا قد أسسوا عام ١٦٠٣ م ، شركتهم الشرقية المنافسة لشركة الهند الشرقية التي أسسها البريطانيون بمرسوم ٣١ كانون الأول (ديسمبر) عام ١٦٠٠ م [١] والتي نشطت في منطقتي إندونيسيا والهند الشرقية . وبسرعة دخلت هاتان الشركتان في منافسة حادة على مناطق النفوذ . وامتد المشهد من السواحل الإندونيسية والهند الشرقية حتى الخليج . وفيما بعد ، وبفضل التحالف الفارسي البريطاني ، استطاعت شركة الهند البريطانية اتخاذ موقع في ميناء جسك ، (بندر جسك) الواقع على ما يقرب من ١٥٠ كم من ميناء هرمز . وهكذا سجل الإنجليز نقطتهم الأولى .

بصورة موازية لذلك ، بدأت السياسة الفارسية تنشط بصورة غير مباشرة أولا ثم بصورة مباشرة ، لصالح السياسة البريطانية ، ففي عام ١٦٠٢ م أنزل الشاه عباس الأول ضربة قاسية أولى بالبرتغاليين في منطقة البحرين ثم عبّر الشاه في وقت لاحق عن رغبته في التحالف مع الإنجليز . وفي نحو ١٦١٨م حصلت شركة الهند الشرقية البريطانية بهذه الطريقة على امتياز لشراء كل أنواع الحرير الفارسي . وهذا الاحتكار وهو الأول من نوعه أعطى دفعاً ملموساً للعلاقات التجارية بين البلدين وعزز الحضور الإنجليزي في الخليج [٢] .

وهكذا تحول اتجاه الرياح ، ووجد التفوق البرتغالي نفسه منذ ذلك الحين منافساً من جانب جبهة مصالح قوية . وفي عام ١٦١٠ م قرر الشاه عباس تحويل منطقة غمبرون (Gamberu) المقابلة لجزيرة هرمز إلى مرفأ رئيس سماه بندر عباس [٣] . وقد ظلل هذا

---

(١) Oman the Modern State , P. 33 & 35، انظر أيضاً :دليل الخليج، ج١،ص٢٣، وانظر كذلك :الخليج الفارسي ص٩٤ وكذلك :عمان (الديمقراطية الإسلامية) ص٩٨ .

(٢) عمان (الديمقراطية الإسلامية) ، ص ٩٩ .

(٣) دليل الخليج ص ٤٣ وأيضاً : عمان (الديمقراطية الإسلامية) ص ١٠٠ . و الخليج العربي (د ج س)ص٣٥ أيضاً.

الميناء الجديد على إشعاع هرمز ، مما انعكس سلباً على النشاط التجاري البرتغالي . ورد البرتغاليون على هذا التحدي بمهاجمة بندر عباس واحتلالها عام ١٦١٢ م وبقيت تحت سيطرتهم حتى أخرجهم الفرس منها عام ١٦١٥ م .

وقد جرى أول اشتباك بين القوات البريطانية والبرتغالية عام ١٦١٢ م ، وتبعته اشتباكات أخرى عام ١٦١٥ م . وقد هزم الأسطول البرتغالي على سواحل سورات(Surat) وهو ما سمح للإنكليز بالحصول على امتيازات أخرى في الهند . وفي عام ١٦١٣ م أسسوا في سورات فرعاً لشركة الهند الشرقية .

واستطاع سكان الساحل العربي ، وقد شاهدوا اهتزاز الهيمنة البرتغالية ، البدء في التعبير عن استيائهم والمراهنة على مساعدة من الجار الفارسي . وبالفعل حاول الشاه في البدء الاستفادة من هذه الحركة فتعاون مع السكان لطرد البرتغاليين من منطقة جلفار . ولكن الفرس لم يلبثوا أن أصبحوا المحتلين الجدد للساحل العربي . وفضلاً عن ذلك عُقد في مناخ التصالح الذي أعقب رحيل القوات من هرمز اتفاق بين الفرس والبرتغاليين . فأعاد هؤلاء محاصرة المنطقة وبنوا فيها قلعة جديدة قريبة من تلك التي احتلتها القوات الفارسية في جلفار . أما بالنسبة إلى الشاه فقد بقي محتفظاً برأس جسر على الساحل، وهكذا رأى سكان البلاد المخذولون أن أراضيهم محتلة من جانب دولتين أجنبيتين ، بدلاً من دولة واحدة [1] .

لم يكن وارداً أن تبقى الأمور عند هذا الحد بالنسبة إلى أي طرف من الأطراف . فاتفق الفرس والبريطانيون على التخلص في مرحلة أولى من خصومهم البرتغاليين في هرمز . وعقد اتفاق بين الشاه وشركة الهند الشرقية للقيام بعمل عسكري مشترك ضد الموقع البرتغالي القوي . وقد نص هذا الاتفاق وهو الأول من نوعه هو أيضاً من بين بنود أخرى على اقتسام الموارد الجمركية لهرمز مستقبلاً ، بالتساوي مع الإنجليز وإعفاء التجارة الإنجليزية

(١) عمان (الديمقراطية الإسلامية) ص ١٠١ ، وانظر أيضاً : الخليج العربي (د ج س) ص ص ٣٦ - ٤٠ ،
وانظر كذلك : . Oman the Modern State , P 33 & 34

من الرسوم .

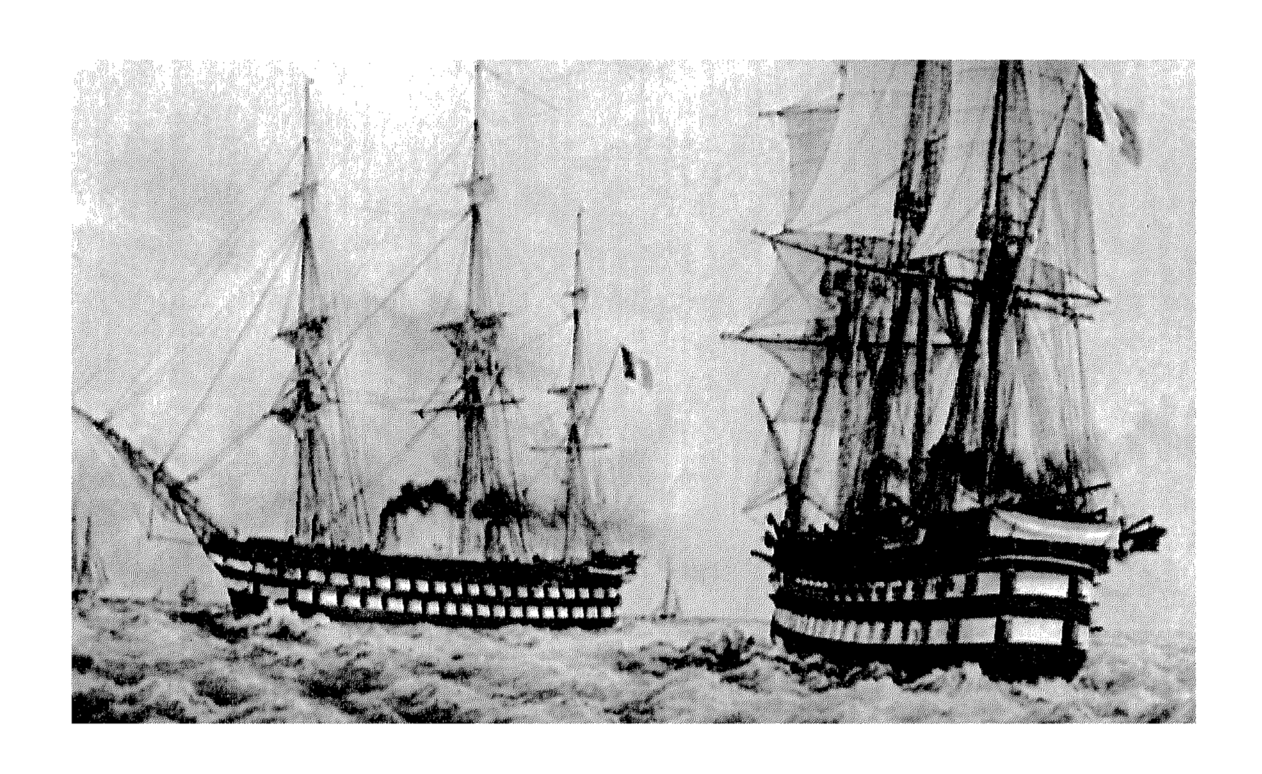
كانت المطامح الإنجليزية واضحة، كما كان واضحاً أن ما يسعى إليه القادة الإنكليز من وراء الأهداف التجارية ، هو تنمية مصالحهم في المنطقة ، ومراقبة نقاطها الاستراتيجية لتأمين سيطرة واضحة ودائمة على الشرق وثرواته وطرق مواصلاته . وفعلاً امتدت هذه السيطرة كما سنرى ، لأكثر من ٣٠٠ سنة .

حاصرت القوات المتحالفة ، الفرس والإنجليز ، موقع هرمز بعد أن احتلت جزيرة قشم وهي مصدر تموين هرمز بالماء والغذاء . وفي ٢١ نيسان (أبريل) ١٦٢٢ م سقطت هرمز في أيدي القوات الفارسية والإنكليزية بعد تدمير المدينة واستسلام البرتغاليين . وقد عقد اتفاق لنقل ما بقي من القوات على سفن إنكليزية إلى قلعتهم في مسقط .

وانتهت السيطرة البرتغالية على هرمز ، وانتهى معها ازدهار المدينة التي تُركت للخراب والدمار . وقد أفاد هذا التخلي ميناء بندر عباس الذي جعلت منه الشركة الهندية مركزها الرئيسي . وعلى الرغم من هذه الضربة القاسية ، ومن الأفول المطرد لإمبراطورية البرتغاليين ، استطاع هؤلاء أن يحافظوا لفترة أخرى ، على مواقعهم حول عمان ، ولاسيّما مسقط .

وفي هذه الأثناء ، ومع وفاة الشاه عباس ، فقدت بريطانيا صديقاً وحليفاً . وقد اجتازت فارس فترة انطواء نسبي حتى مجيء نادر شاه . واستفاد الهولنديون من هذا الانكفاء لينمّوا مصالحهم الاستعمارية . فأحرزوا انتصاراً على البرتغاليين في منطقة الساحل الهندية ووطدوا حضورهم في إندونيسيا. وهكذا أسست الشركة الهولندية باتافيا (Batavia) (جاكارتا لاحقاً)، عام ١٤١٩ ، ونجحت في طرد البرتغاليين من مالاقة (Malaga عام ١٦٤١م) ومن أفضل أسواقهم في الهند . وقد عرفت الشركة المذكورة طيلة القرن السابع عشر ازدهاراً كبيراً وضمنت احتكار تجارة البهارات مع إندونيسيا .

نماذج من السفن البريطانية



نماذج من السفن الفرنسية في القرن التاسع عشر ويلاحظ أنها تستخدم الشراع والبخار في آن واحد (لاحظ فتحات المدافع الكثيرة)

وقد أدى تعاون الهولنديين مع الإنكليز ضد الأسطول البرتغالي ، إلى الحصول على امتيازات هولندية في فارس مماثلة للامتيازات التي كان يتمتع بها الإنكليز . وعلى غرار الشركة الإنكليزية تبنت الشركة الهولندية بندر عباس مركزاً رئيساً لها . وبالتدريج وصلت النشاطات التجارية الهولندية إلى ذروتها في الخليج خلال النصف الأول من القرن السابع عشر . بل وصل بها الأمر إلى حد تهديد النشاطات البريطانية بالاختناق . فقد كانت كل تجارة الاستيراد والتصدير لفارس بين أيدي تجار هولنديين . وكانت سفنهم تمخر المنطقة ، ولم يترددوا في استعمال العنف لضمان احتكار التجارة المحلية على حساب المصالح الإنكليزية .

وهكذا بدأت مراكز القوى البحرية والتجارة لبريطانيا وايرلندا ترى مصالحها في الشرق كما في أوروبا تتعارض إلى درجة لا يمكن إلا أن تؤدي إلى مواجهة عسكرية . وفي أقل من عشرين سنة ، من ١٦٥٢ إلى ١٦٦٧ م، اندلعت أربعة نزاعات إنكليزية هولندية في أوروبا وفي المناطق المستعمرة ، (وخاصة حول بندر عباس ١٦٥٤) وإذا كانت هذه الحروب لم تغير شيئاً من موقع الهولنديين في الخليج ، فإنها سمحت للبريطانيين بإرساء التفوق المؤكد لإمبراطوريتهم [١] .

---

(١) عمان (الديمقراطية الإسلامية) ص ١٠١ ، وانظر أيضاً : الخليج العربي (د ج س) ص ص ٣٦ - ٤٠ ، وانظر كذلك : . Oman the Modern State , P 33 & 34



الخاتمة

لقد وضح تاريخ منطقة القطيف في البابين الاول والثاني وكل ما له علاقة من جغرافيا وتاريخ واحة القطيف، وكل ما واجهه القطيفيون منذ عصر الرسالة حتى مجيء البرتغاليين.

حكام كثيرون عبر عصور متعددة، وحروب طاحنة كان هدفها الإستيلاء على خيرات القطيف، ولكن القطيفيين كانوا أكثر صلابة وجلادة في وجه المعتدين والغزاة، لم يغمد لهم سيف ولم تلن لهم قناة، دائمو الاستعداد للذود عن حياض وطنهم ضد كل غاز ومعتد أثيم يريد النيل من هذه الواحة المعطاء وكان هذا ديدنهم عبر عصور طويلة.

وقد سجل التاريخ نقطة مهمة أغفلها جميع المؤرخين وهي أن القطيفيين لم يغزوا أو يحاربوا أية دولة أو أية مدينة أو أية أمة أبداً عبر التاريخ، لقد كانوا مسالمين إلى أبعد حد إلا أنهم شديدوا الحماس في صد أي معتد، وعندما جاء المستعمرون البرتغاليون لم يستكينوا ويستسلموا بل هبوا ولبوا النداء مستميتين في إعلاء راية الوطن خفاقة فكافحوا على مدى أربعة عقود سالت على أثرها أنهر من الدم.

وبعد ...

فليس كل ما حواه هذا الكتاب عن العصر البرتغالي في أبوابه الأربعة، الثالث والرابع والخامس والسادس هو كل تاريخ منطقة القطيف في تلك الحقبة الزمنية، فلا شك أنّ صفحات منه بقيت مجهولة عن الغزاة البرتغاليين مما هو واضح في المقدمة ، وكما يقال لا يسقط الميسور بالمعسور،فهذا كل ما تيسر لنا ولعل الأيام كفيلة باطلاعنا على بعض الوقائع والاحداث ، لنتمكن من تحليلها ودراستها ،وإذا كانت القطيف إحدى الحواضر المهمة في التاريخ الاسلامي فانها لم تحض بالدراسة عبر مراحل التاريخ،ولعلي بوضع هذه الدراسة المتواضعة أكون قد أسهمت بسد ثغرة من تاريخها المجيد.

والله الموفق.

شكر خاص

يطيب لي في نهاية هذا الكتاب أن أقدم الشكر الجزيل مع طاقة ورد للأفاضل الذين ساعدوني بإعارة الكتب أوالملاحظات أو الخرائط أوغيرها من المعلومات وهم :

١- المؤرخ محمد حميد السلمان من البحرين.

٢- السيد عمران بن السيد موسى الرفاعي من النجف الأشرف بالعراق.

٣- الأستاذ/ جمعة بن عبدالله القبيسي الوكيل المساعد لشؤون دار الكتب الوطنية المجمع الثقافي في أبوظبي.

٤- الأستاذ/ محمد بن جاسم الخليفي مدير إدارة المتاحف والآثار بالدوحة في دولة قطر.

٥- الأستاذ/عبد الحميد الحشاش أمين المتحف الإقليمي بالدمام.

٦- الأستاذ/ محمود الهاجري الباحث الأثري في المتحف الأقليمي بالدمام.

٧- الدكتور/عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، من مركز زايد للتراث والتاريخ بمدينة العين، على بعض التوجيهات التاريخية.

٨- الدكتور /فالح حنظل - أبوظبي، على بعض التوجيهات والملاحظات التاريخية.

٩-الاستاذ/ميرزا حسين أحمد الضامن، المحاضر بقسم الاجتماعيات في كلية المعلمين بالدمام.

١٠- ادوارد بيريرا القنصل البرتغالي في الرياض على الترجمة البرتغالية المختصرة.

١١- الدكتور/ عبد الهادي الفضلي على مراجعة الكتاب والتقديم له.

١٢- الدكتور أحمد بن محمد المعتوق،الاستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران.

الخرائـــط

١ – خريطة الجزيرة العربية وقلاعها رسم لازارو لويس سنة ١٥٦٣ م وهي خريطة مختارة من مجموعة من الخرائط البرتغالية التي نشرتها مؤسسة غولبنكيان في البرتغال اللوحة ٢٢١ من المجلد الثاني .

٢ – خريطة الجزيرة العربية رسم نيكولاس سانسون نشرت عام ١٦٥٢ م.

٣ – خريطة الجزيرة العربية .

٤ – خريطة بحر القطيف من أطلس هونديوس وأطلس بلاو تعود لعام ١٦٦٥ م .

٥ – Carte des trois arabies باريس سنة ١٦٥٤ م.

٦ – خريطة بحر القطيف تعود لعام ١٦٥١ م .

٧ – خريطة وضعها ابراهام اورتيليوس سنة ١٥٧٦ م .

٨ – خريطة بحر القطيف من خلال خارطة للإمبراطورية التركية مجهولة الرسام .

٩ – إقليم العروض رسم الإدريسي .

١٠ –مخطط لقلعة القطيف .

١١ – خريطة البرتغال .

١٢ – خريطة برتغالية للبحرين سنة ١٥٢١ م .

الجـــداول

- جدول مسميات بحر القطيف .
- جدول مصطلحات القطيف عبر الخرائط .
- جدول لمفردات برتغالية .
- نماذج من السلع مع سعرها في القطيف تعود لعام ١٥٧٩ م .
- العملات المتداولة في العصر البرتغالي .
- قلاع القطيف ايام الاحتلال البرتغالي .
- جدول أمراء آل شبيب وفترة حكمهم في البصرة والأحساء والقطيف .
- جدول حكام آل شبيب في الأحساء والقطيف .

المراجع (الكتب والبحوث)

العربية والإنجليزية والبرتغالية والفارسية والروسية

١- أبو الفدّاء، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر تقويم البلدان.

دار الطباعة السلطانية - باريس.

٢- تحفة الأنظار.

٣- العسكري، د. سليمان.

التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي.

القاهرة، ١٩٧٢م.

٤- قلعجي - قدري

الخليج العربي- بحر الأساطير.

بيروت، س ١٩٦٥م ، دار الكاتب العربي (مطابع دار الغد)

٥- الحموي - شهاب الدين أبو عبد اللّه ياقوت الرومي البغدادي

معجم البلدان دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر- بيروت ١٣٧٤هـ- ١٩٥٥م.

٦- علي، جواد

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام.

٧- زيدان، جرجي ، العرب قبل الإسلام،دار الهلال القاهرة.

٨- عزّام، عبد الوهاب.

مهد العرب

دار المعارف للطباعة والنشر- القاهرة

٩- طبقات ابن سعد ج١

١٠-الأحسائي، محمد عبد القادر

تحفة المستفيد بتاريخ الحساء في القديم والجديد. ج١ الرياض، س ١٩٨٢م.

١١- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير تاريخ الأمم والملوك ج٣، دار الكتب

العلمية،بيروت ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٢-الظاهري، أبو عبد الرحمن بن عقيل أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء.

١٣-العيوني،علي من المقرب -شاعراً الحلو:عبد الفتاح -محققا ديوان ابن المقرب. نشر مكتبة التعاون الثقافي بالأحساء مطبعة البابي الحلبي -- مصر-١٣٨٣هـ١٩٦٣م.

١٤-القلقشندي،شهاب الدين أبوالعباس أحمد بن علي. الخاقاني، علي تحقيق وتعليق. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب. مطبعة النجاح ببغداد، س ١٣٧٨هـ- ١٩٥٨م.

١٥-القلقشندي أيضاً: صبح الاعشى في كتابة الإنشا. ج٥، القاهرة، س١٩١٥م المطبعة الأميرية.

١٦- ابن خلدون العِبَر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ج٢،

١٧-البلادي،الشيخ علي

أنوار البدرين- في تاريخ علماء القطيف والأحساء والبحرين. مطبعة النعمان- النجف الأشرف- العراق، س ١٣٧٧هـ

١٨-آل إبراهيم صالح بن محمد. صفوي- تاريخ ورجال. ط١،س١٩٩٢م،بيروت،دار البيان العربي.

١٩- دائرة الآثار.مقدمة عن الآثار، المملكة العربية السعودية.وزارة المعارف- الرياض.

٢٠-منطقة الخليج العربي.

٢١-الدرورة،علي بن إبراهيم، شعراء الموال في جزيرة تاروت (١٢٥٨-...) ١٤٠٨هـ ط١،س١٤٠٨هـ،الجبيل

٢٢-الدرورة،علي الشيخ محمد الفيحاني(١٢٦٠-١٣٢٤هـ)

جريدة اليوم، ع٢٠٦٨،ص١٣،الأحد ٢٨ رجب ١٤٠٤هـ.

٢٣-الأحمد،د. سامي سعيد

تاريخ الخليج العربي(من أقدم الأزمنة حتي التحرير العربي)ط١٩٨٥،بغداد.

٢٤-الجزيرة العربية ج٢،

٢٥-المسلم،محمد سعيد .

كتاب :القطيف .

٢٦-آل سلهام،حسين بن حسن بن مكي- مؤلفاً

الدروة، علي - مقدما

من تاريخ مدينة سيهات ط١،س١٩٩٨م،بيروت .

٢٧-التنبيه والإشراف .

٢٨-الطبري، محمد بن جرير تفسير الطبري ج٧،

٢٩-الجاحظ، البيان والتبيين.

٣٠-الخطي،الشيخ جعفر بن محمد .

ديوان أبو البحر، علق عليه وأخرجه الخطيب علي بن حسين الهاشمي،طهران،س ١٣٧٣هـ. ٣٢ - الوهبي، عبدالله بن عبد الكريم المنيف .

بنو خالدوعلاقتهم بنجد. ١٦٦٩- ١٧٩٤م. ط١،س١٤١٠هـ ١٩٨٩م، الرياض .

دار ثقيف للنشر والتأليف

٣١-الوذيناني، خلف بن دبلان بن حضر، الأحساء في القرن الثاني عشر الهجري.(رسالة ماجستير غير منشورة) .

٣٢-الدولة العثمانية والشرق العربي .

٣٣-زيادة، محمد مصطفى

مصر والحروب الصليبية

٣٤-التيارات السياسية في الخليج العربي. منشورات دار المعرفة. الكويت

٣٥-أبا حسين، د.علي،

الجبور عرب البحرين أو عربان الشرق .

الوثيقة ،ع٣،س١٩٨٣,١م

٣٦-نفورالجبورفي شرق الجزيرة بعد زوال سلطتهم الساسية .

٣٧–مجلة العرب .ص٢٠٣٥ج١١س ٢في ج١س ١٣٨٨هـ

٣٨– الأوضاع السياسية والإمارات للخليج العربي

٣٩–حقائق الأخبار عن دول البحار

٤٠–سلفا، نو نو بي (صفحات عن الغزو البرتغالي للبحرين)الوثيقة العدد ٨،س٤ ،ربيع الثاني ١٤٠٦هـ–يناير ١٩٨٦م،ص ص ١٢٤–١٣٠ ،والمادة منشورة أيضا في العدد نفسه بالإنجليزية على ص ٢٠١–٢٠٧

٤١–العناني،أحمد

(البرتغاليون في البحرين وحولها)

الوثيقة العدد ٤ ،س٢يناير ١٩٨٤ ،ص٧٤–١١٧ .

٤٢–بوشرب،أحمد

(مساهمة المصادر البرتغالية في الكتاب تاريخ البحرين)

الوثيقة العدد٤ ،س٢،يناير ١٩٨٤ ،ص ١١٨–١٤٠ .

٤٣–(هذا الكتاب وهذا الكاتب) . . الوثيقة ع١ ،س١ ،ص ١٠٨ ,١١٥ ،رمضان ١٤٠٢م،يوليو ١٩٨٢ .

٤٤–(صفحات من تاريخ النفوذ البرتغالي في البحرين) الوثيقة، ع١ ،رمضان ١٤٠٢ ،يوليو ١٩٨٢،ص ص ١١٦ و ١٥٠

٤٥–أمين،عبد الأمير محمد (نظرة جديدة للإنجازات السياسية والعسكرية والتجارية البرتغالية في آسيا (دراسة في عوامل تدهور وانحطاط الإمبراطورية البرتغالية) .

الوثيقة ص ١٠٠ ١٣٢ ، من العدد١٣ ،س٧ – ذو القعدة ١٤٠٨هـ يوليو ١٩٨٨م .

٤٦–بو شرب، د . أحمد

(مساهمة الوثائق البرتغالية في كتابة تاريخ الغزو البرتغالي لسواحل المغرب والبحر الأحمر والخليج العربي)

الوثيقة ع ١٠ ،س ٥ ،جمادي الأولى ١٤٠٧– يناير ١٩٨٧ .ص ١٤٤–١٨١ .

٤٧–حنظل،فالح

(معارك البحرية العثمانية ضد البحرية البرتغالية في الخليج العربي)

الوثيقة،ع١٧ ،س٩,١٢ / ١٤١٠ھـ،٦ / ١٩٩٠م،ص٢٧–٤٣

٤٨–السروجي، محمد محمود

(المقاومة العربية الإسلامية للبرتغاليين في الخليج العربي)

الوثيقة،ع١٧ ،س٩,١٢ / ١٤١٠ھـ –٦ / ١٩٩٠م ص ٥٨– ٦٩.

٤٩– د. بلطه جي مجاهد

(صراع الدولتين العثمانية والبرتغالية في الخليج العربي)

(البصرة والحجاز)

الوثيقة ع ١٥ ،س٨ ، ١٢ / ١٤٠٩ھـ–٦/ ١٩٨٩،ص ٥٧–٦٣.

٥٠–خوري، إبراهيم

(توسع الدولة العثمانية في الخليج العربي ونتائجه الاقتصادية في القرن العاشر ومطلع القرن الحادي عشر الهجري السادس عشر والسابع عشر الميلادي).

الوثيقة ع ١٥، س ٨، ٨/ ١٤٠٩ھـ–٦/ ١٩٨٩م ص ١٠٨– ١٤١.

٥١– الثقفي، يوسف بن علي بن رابع.

(موقف المماليك ودول الخليج العربي من النفوذ البرتغالي في القرن السادس عشر الميلادي)

الوثيقة،ع١٥، س ١٢,٨ / ١٤٠٩ھـ، ٧/ ١٩٨٩م، ص١٧٨–١٩١.

٥٢– قاسم، جمال زكريا.

الأوضاع السياسية في الخليج العربي إبان الغزو البرتغالي

الوثيقة ع ١٢ ،س٦ ،جزء ١– ١٤٠٨ھـ–١–١٩٨٨م ص٤٠–٧٩

٥٣– لوريمر،ج،ج.

دليل الخليج،ج١ ،ق ت .

الدوحة في قطر.
٥٤- تاريخ الخليج والبحر الأحمر في أسفاربيدو تيخسيرا.
ترجمة د . عيسي أمين، البحرين ،ط١،س١٩٩٦م.
٥٥- تاريخ البرتغاليين في الخليج العربي (الموسوعة البرتغالية)
مذكرات دوراتي بربروسا وجون هيوفان لينخوتن ومقالة تشارلز بوكسر ترجمة د.
عيسى أمين ١٩٩٦م؟، البحرين،إصدار مؤسسة الأيام.
٥٦- يوم سقطت هرمز (الموسوعة البرتغالية)
مذكرات القائد البحري روي فيرا اندرادي.
ترجمة د.عيسى أمين.
١٩٩٦م،البحرين ،إصدار مؤسسة الأيام.
٥٧- موسى،محمد العزب، صفحات من تاريخ البحرين.
ط١، س١٩٨٩، ١٤٠٩هـ، البحرين.
٥٨-العقيلي ،د، محمد أرشد، الخليج العربي في العصور الإسلامية.
ط٢،س١٩٨٨م،١٤٠٨هـ، دار الفكر اللبناني - بيروت.
٥٩- المسلم،محمد سعيد المسلم ،ساحل الذهب الأسود.
ط٣، س١٩٦٢م. منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت.
٦٠- نوار، د. عبد العزيز سليمان
الشعوب الإسلامية(التاريخ الحديث) الأتراك العثمانيون- الفرس- مسلمو الهند.
دار النهضة العربية في بيروت- ١٩٧٣م
٦١- سعيد ،أمين .
الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثه
دار الكاتب العربي، ط.د.ت- بيروت.
٦٢-البصير، عبد الرزاق

الخليج العربي والحضارة المعاصرة– ١٤٠٦– ١٩٨٦–الكويت
٦٣– الحرستاني،محمود شاكر
البحرين(الأحساء– الكويت– البحرين– قطر)شبه جزيرة العرب–٤
المكتب الإسلامي، ط١، س١٤٠١هـ– ١٩٨١م.
٦٤–الحمداني ، د.طارق نافع
الرحالة البرتغاليون في الخليج العربي خلال القرنيين السادس عشر والسابع عشر.
الوثيقة– ع٥، س٨,١٢ / ١٤٠٩هـ٧/ ١٩٨٩م ،ص ١٥٨– ١٧٧
٦٥–الحرستاني ، محمود شاكر
تركيا موطن الشعوب الإسلامية في آسيا–١٢
مؤسسة الرسالة – بيروت –١٣٩٤هـ ١٩٧٤م
٦٦–الأمين، إسماعيل
العمانيون رواد البحر .
السلسلة العمانية دارللكتب والنشر لندن
ط١،سبتمبر ١٩٩٠م.
٦٧–الربيعي، هيفاء عبد العزيز .
غزاة في الخليج
(الغزو الهولندي للخليج العربي والمقاومة العربية دراسة تاريخية)
جامعة الموصل– س ١٩٨٩م.
٦٨– أبو حاكمة،أحمد مصطفى– تأليفاً.
عبدالله ،محمد أمين– ترجمة
تاريخ شرقي الجزيرة العربي (نشأة، وتطور الكويت والبحرين)
منشورات دار مكتبة بيروت– ١٩٦٥م.

٦٩- الدرورة،علي إبراهيم.
من تاريخ جزيرة تاروت.
الجبيل،ط١،س١٤١٠هـ.
٧٠- الدرورة،علي إبراهيم.
(الجوانب المفقودة في تاريخ مناطق القطيف).
محاضرة تاريخية للمؤلف ألقيت بتاريخ ٢٧/٩/١٤١٩هـ، ولم تنشر.
٧١- بوكسر، ك.د.،مؤلفاً.
جلال،شوقي،مترجماً.
إمبراطورية هولندا البحرية(١٦٠٠-١٨٠٠)
THE DUTCH SABORNE EMPIRE (1600-1800C.R.)
ط١،س١٩٩٤م، أبوظبي- منشورات المجمع الثقافي.
٧٢-حسون،د.علي.
تاريخ الدولة العثمانية .
المكتب الإسلامي-دمشق-ط١، س١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
٧٣-العابد،د. صالح محمد.
الصراع العماني البرتغالي خلال ق ١٧م.
الوثيقة،ع١٣-س٧,١١/١٤٠٧هـ-٧/١٩٨٨م،ص٣٢-٤٧.
٧٤-أوروبا.
المجلد الثاني،موسوعة تاريخ أوربا العام.
منشورات عويدات بيروت ،لندن ،ط١،س١٩٩٥م.
٧٥-العدوي،د.إبراهيم أحمد.
تاريخ العالم الإسلامي.
ج٢(عصر التنمية والعطاء)

مكتبة الإنجلو المصرية،القاهرة،١٩٨٤م .

٧٦-الشباط،عبدالله بن أحمد .

صفحات من تاريخ الأحساء .

ط١،س١٤٠٩هـ١٩٨٩م،الرياض- الدار الوطنية الجديدة- الدمام / الخبر.

٧٧-Portugal(fodorps . books 2nd edition) 1995

teditor:conrad little paulus

٧٨- الغريب،خالد .

منطقة الأحساء عبر أطوار التاريخ .

ط١،س١٤٠٧هـ،الدمام المكتبة الوطنية بالخبر.

٧٩- النشار،مملكة البرتغال .

ط١،س١٩٩٥م عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بالجيزة

٨٠ - د. حسين عبيد غانم غباش .

(عمان) الديمقراطية الإسلامية وتقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث (١٥٠٠- ١٩٧٠م)

دار الجديد- نقل النصوص إلي العربية .

د .أنطوان حمصي،ط٣،س١٩٩٨م .

٨١- Geoffrey Regan

The Guinness Book of Decisve battels.

Conopy Books,New York

First Published in The United State of America 1992

٨٢- Richad Humble.

Naval warfare

An illustrated history

Fore word by :peter kemp.

New york 1983

٨٣-ابن إياس: محمد بن أحمد الحنفي.

زيادة،محمد مصطفي، تحقيق وتقديم.

بدائع الزهور في وقائع الدهور

٥ أجزاء، القاهرة ١٩٦١م.

٨٤-أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية ٥-٧ محرم ١٤٠٨ هـ

الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج العربي وشرق أفريقيا(١٨ بحثاً) الجزء الأول، الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي.

٢٩-٣١ آب /أغسطس ١٩٨٧م.

إصدار مركز الدراسات والوثائق بالديوان الأميري- رأس الخيمة.

٨٥-السلمان، محمد حميد.

الغزو البرتغالي للجنوب والخليج العربي ١٥٠٧-١٥٢١م.

(رسالة ماجستير في التاريخ الحديث،١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، مخطوطة).

٨٦-سخنيني،د. عصام.

مملكة هرمز أسطورة الخليج التجارية (١٣٠٠-١٦٢٢م).

معارف إنسانية رقم ١١ ،ندوة الثقافة والعلوم، دبي ١٩٩٧م.

٨٧- حنظل،د. فالح.

العرب والبرتغال في التاريخ (٩٣-١١٣٤هـ ٧١١-١٧٢٠م)

منشورات المجمع الثقافي - أبوظبي.

ط١،س١٤١٨هـ١٩٩٧م.

٨٨- الصيرفي ،نوال حمزة يوسف .

النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في ق ١٠هـ،١٦م.

مطبوعات دارة الملك عبد العزيز(٣١).

الرياض،ط١ .س ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٨٩- أبو زيد، د. راشد توفيق.

النابودة،وداد خليفة.

تاريخ الخليج العربي منذ العصورالإسلامية حتى أواخر القرن ١٩ .

ط١، س١٩٩٨م ،دبي.

٩٠- بطي، أحمد محمد عبيد.

الصراع البرتغالي العثماني في القرن السادس عشر.

كتاب ندوة الثقافة والعلوم (٤) .

دبي، ط١،س ١٩٩١م.

٩١- historia de portugal (1245-1640)

direccao de jose hermano saraiva

Dirigida por jose hermano saraivaVolume 2, publiacoes alfa 1983.

٩٢-بيتر فاين.

تراث عمان.

دار إيميل للنشر المحدودة - ١٩٩٥م.

٩٣- قلعجي، قدري.

الخليج العربي بحر الأساطير.

ط٢، س١٤١٣هـ ١٩٩٢م بيروت لبنان.

٩٤- د. محمد نصر مهنا.

الخليج العربي(التطور الحديث والمعاصر) :

(نط. حد . مع.) مؤسسة شباب الجامعة،١٩٩٦م مصر.

٩٥- آداموف ،الكسندر، مؤلفاً.

التكريتي ،د. هاشم صالح، مترجماً عن الروسية.

ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها.
ج٢ ،س١٩٨٩م، البصرة.
٩٦- مراد، شهيرة - مراجعة.
الفحام، د.شاكر -مقدماً.
صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي (جذوره التاريخية وأبعاده).
ط ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م- بيروت.
٩٧- الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي.
تقسيم الإمبراطورية العمانية ١٨٥٦- ١٨٦٢م.
ط١، س ١٩٨٩م دبي
٩٨- الحميدان، د.عبد اللطيف الناصر
(إمارة آل شبيب في شرق جزيرة العرب ٩٣١- ٩٦٠هـ ١٥٢٥- ١٥٥٣م)
الرياض ١٤١٨ هـ١٩٩٧م.
٩٩- حسين، كامل يوسف مترجما.
هول،ريتشارد-مؤلفاً.
إمبراطوريات الرياح الموسيمية.
إصدار مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية-الطبعة الأولى.
١٩٩٩م- دراسات مترجمة (٧).
١٠٠- العبادي، الدكتور أحمد مختار.
سالم،الدكتور السيد عبد العزيز.
تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام.
ط س ١٩٨١م-دار النهضة العربية- بيروت.
١٠١-الملا، عبد الرحمن بن عثمان.
تاريخ هجر.

جزءان، ط٢،س١٤١١هـ الأحساء .

١٠٢ – إبراهيم،د .عبد العزيز عبدالغني .

علاقة ساحل عمان ببريطانيا (دراسة وثائقية) .

الرياض –١٤٠٢هـ ١٩٨٢م –مطبوعات دارة الملك عبد العزيز (٢٥) .

١٠٣ – ويلسون، السير أرنولدت . مؤلفاً .

يوسف ،د . عبد القادر مترجماً ومقدماً .

الخليج العربي (مجمل تاريخي من أقدم الأزمنة حتى أوائل القرن العشرين) .

الكويت– مكتبة الأمل (د.ت) .

١٠٤ – السيوف والدروع (الأسلحة الإسلامية) .

معرض أقيم في قاعة الفن الإسلامي– مركز الملك فيصل للبحوث .

والدراسات الإسلامية .

الرياض ١٤١١هـ .

١٠٥ – أنيس،د . محمد .

الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤هـ ١٩١٤) .

مكتبة الانجلو المصرية– القاهرة –١٩٩٠م .

١٠٦ – أباظة،د . فاروق عثمان .

الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢–١٩١٨ .

دار العودة بيروت،ط٢،س١٩٧٩م .

١٠٧ – د.علي عبدالله أحمد فارس .

شركة الهند الشرقية البريطانية ودورها في تاريخ الخليج العربي .

١٦٠٠–١٨٥٨ .

ط١،س ١٩٩٧ .

١٠٨ – الموسوعة العربية العالمية .

الجزء الرابع –ط١، الرياض ١٤١٦هـ١٩٩٦م.
مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع.
١٠٩– المسلم، محمد سعيد.
القطيف واحة على ضفاف الخليج.
ط٢، س ١٤١١هـ– ١٩٩١م – الرياض.
١١٠–وزارة الإعلام العمانية.
سلسلة سلطنة عمان ومسيرة الخير بمناسبة العيد الوطني سنة ١٩٨٦م.
١– محافظة العاصمة (مسقط).
٢– المنطقة الداخلية والوسطى.
٣– المنطقة الشرقية.
٤– منطقة الظاهرة.
وكل هذه الكتب تحمل المعلومات نفسها عن البرتغاليين وعن علاقتهم بأحداث الخليج وكذلك عن الملاحة والمعاقل والمواجهات وما إلى ذلك من أمور.
١١١– السيار، د. عائشة علي
دولة اليعاربة في عمان وشرق أفريقيا في الفترة من ١٦٢٤–١٧٤١م
ط٢، أبوظبي ،د.ت.
١١٢– Fox,Mary Virginia
Bahrain (enchantment of the word) Chicago,1992
١١٣– Facey,Welliam.
The story of the Saudi Arabia.
Stacey international
London, 1994.
١١٤– Hawley, sir Donland

s renaissance.;oman& i

Stacey international

London and New Jersey 1990.

١١٥- حقي، د. ممدوح.

عجمان في ذاكرة الزمان.

الديوان الأميري عجمان.

طبع في دبي، (د .ت).

١١٦- مجموعة المؤلفين.

عجمان في التاريخ.

دار أميل للنشر، لندن - إصدار وزارة الإعلام، سلطنة عمان- سنة ١٩٩٥م.

١١٧- الهيتي، د. صبري فارس.

الخليج العربي (دراسة الجغرافية السياسية) (دج س) ط٢ ، س١٩٨١م، سلسلة دراسات (٢٧٢).

دار الرشيد للنشر، بغداد.

منشورات وزارة الثقافة والإعلام - العراق.

١١٨- Oman and modern state

Minstry of ingformation

Sultanate of Oman

produced by alrayyes & associates ltd. (with out date)!

١١٩- The promise and the fulfilment

(Sultanate of Oman throut 20 years)

Ministry of information

printed in Italy

with out date! nov. 1989!.

١٢٠- ابن الأثير: الشيباني، علي بن أحمد بن أبي الكرم محمد عبد الكريم.

١٢١- الجاسر، حمد.

المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية (البحرين قديماً).

٤ أجزاء، ١٣٩٩ هـ- ١٤٠٢ هـ، الرياض.

١٢٢- الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الرومي.

معجم البلدان.

٥ أجزاء، بيروت ١٩٨٤م.

١٢٣- أبا حسين، د. علي.

الجبور عرب البحرين، أو عريان الشرق.

الوثيقة، ع٣، س١، ١٩٨٣م، البحرين.

كلارك، أنجيلا

جزر البحرين، دليل مصور لتراثها.

البحرين، س١٩٨٦م.

١٢٤- الدرورة، علي إبراهيم.

دارين المسك والشعر واللؤلؤ.

الجبيل، ط١،س١٩٨٨م.

١٢٥- الحميدان، عبد اللطيف بن ناصر.

نفوذ الجبور في شرق الجزيرة بعد زوال سلطتهم السياسية.

مجلة كلية الآداب، ع١٧،س١، البصرة ١٩٨١م.

١٢٦- الفونسو البوكيرك (الابن) - مؤلفاً.

د. عبد الرحمن بن عبد الله الشيخ - معرباً.

السجل الكامل لأعمال أفونسو دلبوكيرك، ألفه وجمع وثائقه من أرشيف لشبونة

والمصادر الأرشيفية الملكية: ابنه غير الشرعي - ترجمة عن البرتغالية: والتر دي جراي

بيرش (الكتاب في أربعة أجزاء اطلعنا عليها قبل طبعها منسوخة على CD في المجمع الثقافي في أبوظبي).

الجزء الرابع: الذي اعتمدنا عليه وجارٍ طباعته مع الأجزاء الثلاثة الأولى في نهاية سنة ١٩٩٩ بداية ٢٠٠٠ في أبوظبي – الإمارات العربية المتحدة، الطبعة العربية الأولى، ١٩٩٩/٢٠٠٠م.

١٢٧– Michael Rice.

The arachaeology of the Arabian Gulf, C5000 - 323BC.

Routledge - London & new yourk

©1994 - New york - first edtion.

١٢٨– مصطفى، نادية محمود وآخرون.

العصر المملوكي (من تصفية الوجود الصليبي إلى بداية الهجمة الأوروبية الثانية) (٦٤٢–٩٢٣هـ – ١٢٥٨ – ١٥١٧م).

العلاقات الدولية في التاريخ الإسلامي – الجزء العاشر.

إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١, ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م) القاهرة.

١٢٩– الرمّال، غسان علي محمد.

صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر.

(خلال القرن العاشر الهجري – السادس عشر الميلادي).

جدة، ط١، س١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م.

١٣٠– فلسفي، نصر الله – مؤلفاً.

الريس، محمد فتحي يوسف – مترجماً.

إيران وعلاقتها الخارجية في العصر الصفوي ٩٠٦ – ١١٤٨هـ – ١٥٠٠ – ١٧٣٦م، ط١، القاهرة، س١٩٨٩م، دار الثقافة للطباعة والنشر.

١٣١– جمعة، د. بديع.

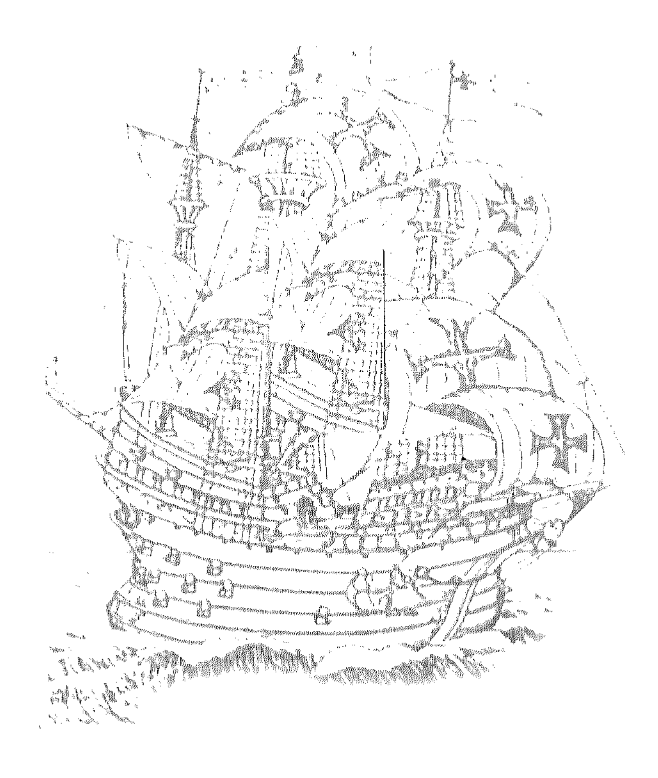
الشاه عباس الكبير – ٩٩٦–١٠٣٨هـ – ١٥٨٨ – ١٦٢٩م.
دار النهضة العربية، ط١، بيروت، ١٩٨٠م.
١٣٢– الشاذلي، محمود ثابت.
المسألة الشرقية – دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية ١٢٩٩ – ١٩٢٣م.
مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، س١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.
١٣٣– أحمد ، د. محمد عبد العال –دراسة وتحقيق .
(البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه) – نصوص جديدة مستخلصة من مشاهدات المؤرخ اليماني بامحزمه كما سجلها في مخطوطة قلادة النحر)، ١٩٨٠م– الهيئة المصرية العامة للكتّاب.
١٣٤– إيڤانوف ، نيقولاي –المؤلف.
عطا الله ، يوسف – المعرب.
ضاهر ،د.مسعود– المراجعة والتقديم .
الفتح العثماني للأقطار العربية ١٥١٦–١٥٧٤م الفارابي –سلسلة :تاريخ المشرق العربي رقم ٣ط١، ١٩٨٨م وهذا المرجع وضع بالروسية وعنوانه:
H.A. BAHOB .
OCMAHCKOE 3ABOE BAHXE
ARA CKNX CTPAN 1516-1574.
MOCKBA 1984.
١٣٥– الخليفة مي محمد .
محمد بن خليفة ١٨١٣–١٨٩٠م – الأسطورة والتاريخ الموازي.
المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ٢، ١٩٩٩م .

فهرس









هذا الكتاب

مساحة تاريخية مترامية الأطراف ، زمناً وأرضاً ، جالَدَ فيها العرب عوادي الحدثان، على مدى مئة وتسع عشرة سنة، من دون أن يغمض لهم جَفنٌ أو تفتر لهم عزيمة، وأثبتوا للتاريخ أنّهم يمتلكون الأرض ولا تمتلكهم، وقد قدَّموا لها طيِّب النجيع، سقياً ورعياً ، وهم يصونون طهارةَ ماء خليجهم من دنس الأرجاس، أسهمت فيه (القطيف) وقلاعها على مدى أربعة عقود، ولقَّنت فيه البرتغاليين درساً قاسياً، وأغرقت أطماعهم في بحر جهاد أبنائها العرب المسلمين.

إنه تسجيل أحداث لتاريخ القطيف الذي يحاول فيه (الدرورة) ومن خلاله إعادة صياغة الوقائع التاريخية لأحداث الخليج، وإزاحة غبار الزمن المتراكم فوق صراخ الأطماع الاستعمارية، وجهاد أبنائها عن الماء والتراب الذي مافتئ يُعدُّ كنزاً، يغري لمعانه الأبصار، وفي كلِّ حين.



منشورات المجمع الثقافي

Cultural Foundation Publications

ابوظبي ـ الإمارات العربية المتحدة ـ ص. ب 2380 ـ هاتف : 6215300

ABU DHABI - U . A . E . - P .O. BOX : 2380 - TEL. 6215300 Cultural Foundation

Email:nlibrary@ns1.cultural.org.ae

http://WWW.Cultural.org.ae

الغلاف : علي الجاك سعيد

السعر 15 درهماً